

مراحل تطور الدرس النحوي

تأليف
الدكتور عبد السيد حميد الخثران

مراحل تطور الدرس النحوي

تأليف
الدكتور عبد الله بن محمد النخشان

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية
٢٠ ش. سويس - الإسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

لقد حظي تاريخ النحو العربي بعناية ملموسة من قبل الدارسين المحدثين . فدرسه بعضهم دراسة شاملة لمذاهبه وأطواره . ودرسه بعضهم من خلال مدرسة أو مذهب معين . ودرسه آخرون من خلال مسألة من مسائله مثل مسألة واضعه أو مسألة مدرسه .

ومما نلاحظ على هذه الدراسات ، ولا سيما على الدراسات الشاملة لمراحل الدرس النحوي ومذاهبه أنها تركز على دراسة رجال النحو ، فتدرس النحو وتاريخه من خلال حياة رجاله وآرائهم ، فلا يكاد المطلع عليها يخرج بتصور واضح بمراحل تاريخ النحو وخصائص كل مرحلة وتطورات الدرس النحوي من مرحلة إلى أخرى .

ومن هنا بدا لي أننا في حاجة إلى دراسة جديدة تنظر إلى النحو نظرة شاملة ، وتدرسها من خلال أطواره ومدارسه مرتكزة على خصائص شاملة لكل مرحلة وتطورات الدرس النحوي من مرحلة إلى أخرى .

فكانت هذه الصفحات نتيجة تلك الدراسة ، علما أنني قد استفدت فائدة كبيرة من جهود العلماء السابقين في دراسة تاريخ النحو فكانت كتبهم من مصادري الأصيل إلى جانب مصادر التراث العربي .

وقد قسمت دراستي هذه إلى ثلاثة أبواب :

فأما الباب الأول فقد درست فيه نشأة النحو العربي ، وقسمته إلى ثلاثة فصول :

تناولت في الفصل الأول وضع النحو من حيث زمانه ومكانه وأسبابه .

وفي الفصل الثاني درست آراء القدماء والمحدثين في وضع النحو .

وأما الفصل الثالث فقد درست فيه المصطلحات التي تدور حول نشأة النحو وبداياته .

وفي الباب الثاني درست مراحل النحو العربي وقد قسمته إلى أربعة فصول وفق مراحل الدرس النحوي :

ففي الفصل الأول درست المرحلة الأولى من تاريخ النحو العربي تتمثل هذه المرحلة في أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه ، وابن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء وأقرانها . وقد سميتها مرحلة الوضع والتأسيس . وقد قسمت رجالها إلى طليقتين ، ودرست كل طبقة وإسهاماتها في الدرس النحوي وخصائصها ومميزاتها .

وفي الفصل الثاني درست المرحلة الثانية من تاريخ النحو ، وهي مرحلة النمو والإبداع وتتمثل في الطبقة الثالثة والرابعة والخامسة من النحاة البصريين والطبقة الأولى والثانية والثالثة من الكوفيين . وتناولت بالشرح والتوضيح خصائص الدرس النحوي وتطوراتها في هذه المرحلة بعد الإشارة المختصرة إلى أبرز رجالها ومدارسها .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته لدراسة المرحلة الثالثة من تاريخ النحو ، وهي مرحلة النضوج والاكتمال ، وتتمثل في الطبقة السادسة والسابعة من البصريين ، والطبقة الرابعة والخامسة من الكوفيين . وقد ذكرت أسماء أبرز رجال هذه المرحلة ثم بينت بتفصيل الجهود الإبداعية في هذه المرحلة من تاريخ النحو .

وفي الفصل الرابع درست المرحلة الرابعة من الدرس النحوي ، وهي مرحلة الترجيح والاختيار والاجتهاد وتتمثل في امتزاج المذهبين البصري والكوفي وأرثهما المتباينة في بغداد بعد وفود علماء المذهبين إليها وارتداد طلبة العلم لمجالسهم جميعا . وقد ناقشت في الأول آراء العلماء في بداية هذه المرحلة ونهايتها ، وتطور مصطلح « البغداديين » ، ثم فصلت الحديث عن خصائص الدرس النحوي ومميزاته في هذه المرحلة من تاريخه .

وأما الباب الثالث فقد خصصته لدراسة المدارس النحوية ، وقد قسمته إلى خمسة فصول :

ففي الفصل الأول درست مصطلح « المدرسة النحوية » وناقشت الخلاف في وجود مدرسة أو مدارس نحوية في درس النحو العربي ، وتوصلنا إلى أنه قد وجدت مدرستان في درس النحو العربي ليس غير ، وهما المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية .

وفي الفصل الثاني درست مصادر المدرسة الأولى ، أي المدرسة البصرية ، فتناولت بالتفصيل والشرح موقفهم من السماع عن العرب مشافهة ، وعن القرآن الكريم وقراءاته ، وعن الحديث النبوي والشعر العربي .

وفي الفصل الثالث درست خصائص المدرسة البصرية .

وأما الفصل الرابع والخامس فقد درست فيهما المدرسة الثانية ، وهي المدرسة الكوفية ، فدرست في الفصل الرابع مصادرهما ، وفي الفصل الخامس درست خصائصهما .

لقد كان اهتمامي مرتكزاً على دراسة تاريخ النحو من حيث أطواره وخصائص كل طور ومميزاته ، ومن حيث مدارسه ومذاهبه . فلم أقف عند حياة رجاله ، وإنما اكتفيت بإحالة إلى مصادر تراجهم . وحيث قد تناول تاريخ النحو العربي بالبحث والدراسة كثير من الباحثين المحدثين من عرب ومستشرقين ، فأثيرت في عديد من المسائل تساؤلات وإشكالات وشكوك واتهامات . وقد حاولت دراسة هذه المسائل بالقدر الممكن من الموضوعية والحياد العلمي في ضوء الأدلة والبرهين الملموسة ، لا بالافتراض والتخمين والعاطفة .

ولم تشمل دراستي هذه العصور المتأخرة من تاريخ النحو ، وإن كانت قد تطرقت إلى بعض رجالها مثل ابن مالك وأبي حيان وغيرهما عند مناقشتنا بعض المسائل . وذلك على أمل أن أقوم بدراسة تفصيلية لخصائص الدرس النحوي في العصور المتأخرة بعد هذه الدراسة التي بين يدي القارئ .

والله تعالى أسأل أن يتقبل جهودنا ويسدد خطانا ، وهو ولي التوفيق .

د . عبد الله بن حمد الخثران

الباب الأول

نشأة النحو

- الفصل الأول : زمن وضع النحو ومكانه وأسبابه .
- الفصل الثاني : آراء في واضع النحو .
- الفصل الثالث : مصطلحات نشأة النحو العربي .

الفصل الأول
زمن وضع النحو ومكانه وأسبابه

أولاً : الفترة الزمنية لنشأة النحو

من الحقائق الثابتة أن علم النحو لم يكن معروفاً عند العرب قبل الإسلام ،
واسبب في ذلك يعود إلى أن العرب لم يكونوا في حاجة إليه لسلامة فطرتهم ،
وجودة هرائحهم ، فلم يكن قبل الإسلام ما يحتملهم على النظر فيه ؛ لأنهم
يطلقون عن سديعة حبلوا عليها ، بخلافهم بعد الإسلام حين احتلوا بعيرهم
من الأمم كالفرس والروم

فقد نشأت اللغة العربية قبل الإسلام في أحضان الحرية العربية حائلة
لأبنائها نقيه سليمة مما يكدش كرامتها ، وما يشيها من أدران اللغات الأخرى
هذه العرلة جعلت اللغة العربية تحتفظ بخصائصها وصفاتها وأصالتها ،
فسمت مفرداتها ونظمها التركيبية والتصريعية^(١) فسلمت العربية من داء
النحس كما حدث بعد ظهور الإسلام حين اختلط العرب بعيرهم

وقد اتفق جمهور العلماء على أن العربي لا يخطيء ، وأنه حجة في كل
ما يقول ؛ لأنه صاحب اللغة يصرفها كيف يشاء ، وأما ما ذكره العلماء من
الأخطاء كالتي ذكرها أبو القاسم الحسن بن بشر ابن يحيى لأمدي
(ت ٣٧١ هـ) في كتابه « الموارنة بين الطائيتين » ، وخلال الدين عند
الرحمن بن الكمال أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)^(٢) في « المرهر »
والقاصي أبو الحسن علي بن عبد العزيز خرخاني (ت ٣٩٢ هـ) في مقدمة
« ابوساطة بين المتنبى وحصومه » فهو من باب اختلاف اللهجات يقول
الرافعي « نقطع بأن النحس لم يكن في الجاهلية أبنة ، وكل ما كان من بعض
القبائل في حور الطباع وانحراف الأنسبه فإنما هو نعات لا أكثر »^(٣)

ومن الأسباب أيضاً لبعدهم عن المعرفة بالنحو في العصور الحديثة أنه
« بس في العصور الحاضرة ما يدعو إلى تعدد مستويات النعوية السانحة عن

(١) نظر فقه اللغة ، د علي عبد الوحد ، في ، صبح القاهرة سنة ٩٦٨ م ص ٢٣٦

(٢) نظر ترجمته هدية نزار في ٥٤٣ ٥٤٤ ، كشف ظهور ١ ٥

٣ نظر ، ج لأدر العربي لرافعي ٢٣٤

تطور الحياة الاجتماعية التي تؤدي إلى تعدد المستويات في الناس (١) ، لأن أصل علم النعمة عند جميع الأمم هو قيام نضاد بين لعتين من لغة واحدة مثل هجة العامة ولهجة الأوائل في الكتب المقدسة (٢)

رأي أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) (٣)

ذهب ابن فارس إلى أن النحو العربي قديم ، وأن العرب قبل الإسلام كانوا على معرفة بمصطلحاته ، وأهم كانوا يتأملون مواقع الكلام ، وأن كلامهم ليس استرسالاً ، ولا ترجيحاً ، بل كان عن حيرة يبدون العربية بقول : إن هذين العميين (أي النحو والعروض) قد كان مديدي ، وأنت عليهما لأيام ، وقلًا في أيدي الناس ، ثم جئتهما هذان الإمامان (أي أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ) (٤) والخليل بن أحمد الصريدي المتوفى سنة ١٧٠ هـ (٥) (٦)

وهذا لقول الذي ذكره أحمد بن فارس يعوره السند التاريخي حيث إن ابن فارس قد يذكر لنا دليلاً واحداً على رعمه

وقد أخذ بهذا الرأي بعض المحدثين (٧) ر عما أن النحو العربي كان موجوداً قبل أبي الأسود الدؤلي ، ولكنه لم يحدد هل كان ذلك في العصر الجاهلي أم أنه

(١) انظر في تاريخ النحو العربي قبل سيبويه ، د محمد خير الحويدي مؤسسه الرساله ، الطبعه الأولى ١٣٩٩ هـ ٩٧٩ م ص ٨

(٢) انظر تاريخ الأدب كاز بروكلمان ترجمه عبد عليم البحار د معارف ١٢٣ ٢٤

(٣) انظر ترجمته بإيه الرواه ١ ٢٧ — ١٣ وبنيه الوعاه ١ ٣٥٢ — ٣٥٣ ومعهده محمد بكتابه الصحاحي ص ح — هـ

(٤) انظر ترجمته أخبار النحويين البصريين ١٣ وطبعات الزبيدي ٢١ ٢٦ ووجهات الأعيان ٢ ٥٣٥ ٥٣٩ وسير أعلام النبلاء ٤ ٨١ ٨٦ ومراتب النحويين ١ وبنيه الوعاه ٢٢ ٢

(٥) انظر ترجمته أخبار النحويين البصريين ٥٤ ٥٦ وطبعات الزبيدي ١٧ ٥١ وإيه الرواه ٥ ٣٧١ ٣٨٢ وسير أعلام النبلاء ٦ ٤٢٩ — ٤٣

(٦) الصحاحي في فقه اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ، عقيق أحمد صفر ، طبعه عيسى عيسى القاهره ص ١٣

(٧) انظر الموجز في نشأة النحو د محمد الشاطر ص ١٨

في بداية العصر الإسلامي الأول ؟ وقد استدل على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال « رحم الله من أصلح من سابه »^(١)

مفسرا لإصلاح اللسان بأنه طريقه لنصر فيما كان له قانون

والاستدلال بهذا الحديث باطل ، حيث إنه من الأحاديث الضعيفة الواهية ، وقد ذكر المحدث الناقد أبو الفرج ابن الخوري (ت ٥٩٧ هـ) في كتابه « العلل المشاهية في الأحاديث الواهية » أن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ؛ حيث وصف أحد رواته ، وهو الحكم بن عبد الله ، بأنه « ليس بشيء » ووصفه الإمام الناقد أبو حاتم الرزاري (ت ٢٧٧ هـ) وغيره بأنه كذاب ووصاع^(٢)

وقد استدل أيضا بقول عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — « تعلموا العربية ، فإنها تثبت العقل ويريد في المروءة »^(٣) والصحيح أن مصطلح « العربية » هنا لا يتجه إلى المعنى الاصطلاحي الذي جاء مؤجرا بمعنى « النحو » ؛ لأن مدلوله لم يظهر إلا في عصور متأخرة عن عصر الإسلام الأول . ولكن المقصود من « العربية » في قول عمر بن الخطاب هو التمرس بحفظ النصوص العالية التي تمكن المتكلم من امتلاك ملكة الفصاحة والبلاغة ، أو بمعنى أدق هو المعرفة التامة باللسان العربي الذي أمر به القرآن الكريم

ولكن الذي تدل عليه الشواهد ومراحل تطور النحو العربي أن شأنا النحو العربي بدأت بعد مجيء الإسلام ، وبالتحديد في الصدر الأول منه ؛ لأن علم النحو ، ككل العلوم ، قانون تنطليه الحوادث وتقتضيه الحاجات ؛ لأنه لم يكن قبل الإسلام ما يحمل العرب على التفكير والنظر فيه ؛ لأهم ، كما أسلفنا ، يظهرون عن سليقة حبلاؤها ، فهم عيون عن تعرفه .

(١) الحديث رواه الفصاع في مسند الشهاب ١ ، ٣٣٨ ، وابن الخوري في العلل المشاهية في الأحاديث الواهية ٢ ، ٢١٥

(٢) نظر العلل المشاهية في الأحاديث الواهية ٢ ، ٢١٥ ونظر أيضا شرح الأصداد لمخاطب عم والنحاس و مساويء سيبويه ٢ ، ١٥٧ ، ونظر الخصائص ٣ ، ٢٤٦ ومعجم الأدباء ، ص ٧٠

(٣) نصر صيغ العرب والنحوين و عمرو ١٣ ، ونفاصل ٤ ، وريح الوقف والانداء ٣ ، ومعجم الأدباء ١ ، ٧٧

ولكننا لا نذكر أنه كان في العصر الجاهلي حركة نشطة في تعلم الكتابة والقراءة هيأت للدرس النعوي في العصر الإسلامي الأول فوجد من العرب الجاهليين من تعلم القراءة والكتابة ، ولا سيما في الخواصر ، كالخيرة وبنو ودومة والحيدل والطائف ومكة والمدينة هروى التاريخ لنا أن هناك من العرب من تعلم الكتابة بعبر العربية كريد العبادي ، وابنه عدي الشاعر ، ولقيط بن يعمر ، فكان من هؤلاء من يكتب بالعربية والفارسية ، ويعملون مترجمين في بلاط كسرى (١)

وهذا يدل على أن العرب كان هم حيرة بالتحليل الصوتي بلغة لأن الكتابة تحتاج إلى تغيير الكلمات بعضها عن بعض ، ومعرفة نواحيها وسوايقها (٢)

وامتد هذا الاهتمام إلى العصر الإسلامي الأول فوجد في هذا العصر من تعلم الكتابة وعلمها ، كالحكم بن عفيان بن العاصي وجفينة العبادي (٣) بل تعلم بعض المسلمين لغة أخرى ، فكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يقرأ بالسريانية (٤) كما وجه الرسول ﷺ ريد بن ثابت ليتعلم العبرية فتعلمها (٥) كما ذكر لنا التاريخ أن كتبة رسول الله ﷺ كانوا ثلاثين أو أربعين كاتباً

وم تقتصر الكتابة على الرجال . بل وجدت النساء الكاتبات كالشعاع بنت عبد الله القرطبية ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وعائشة بنت سعد ومن الشعراء سويد بن الصامت والبرقان بن بدر وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك ، وأمية بن أبي الصلت (٦)

(١) انظر مجمع الأمثال نسيدني ، القاهرة ١٣٥٩ هـ ١ ٤١٢ . وانظر تفصيل ذلك في كتاب
١. لفصل في تاريخ العرب ، الخوادر علي في الفصل الذي عني به الكتاب ،
ص ٢٤٨ ٢٩

(٢) انظر تفصيل في تاريخ النحو العربي ، د محمد خير خلواني ص ٦٦

(٣) انظر لفصل في تاريخ العرب ٨ ٢٩٢ ص ٣

(٤) انظر طبقات ابن سعد (٥١٩ ص ٤) ٢٦٢

(٥) انظر الإصناف في تغيير الصحابة لابن حجر العسقلاني ، القاهرة ١٣٩٩ م ص ٥٦١

(٦) انظر لفصل في تاريخ العرب ٨ ١٣٧ ١٣٨

ولا شك أن هذه حركة المتمثلة في تعلم لغات والكتابة كانت إحدى
المجهودات للدرس لعوي في عصر إسلامي لأول : لأن طبعه الخط ندعو
إلى لأحد بأسباب لوعي الدعوي^(١)

ولكننا نشير في الوقت نفسه أن البحث لعوي والنحوي م يكن من
الدراسات إسلامية المبكرة : لأن هتاه المسمين نصت في أول لأمر على
لعلوم الشرعية والإسلامية : كالفقه ، والتفسير ، والقراءات فقد ذكر
لسيوطي أنه عند منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسمين يسجلون
الحديث النبوي ، ويؤلفون في الفقه الإسلامي ، والتفسير القرآني وبعد أن م
تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهه أخرى نحو تسجيل علوم غير لشرعية ،
ومن بينها اللغة والنحو^(٢)

وقد ذكر أحمد أمين . أن أكثر اللغة كتب في عصر الإسلامي لأول ،
لا قبله^(٣)

(١) انظر لمصيل في ربح النحو ٦٧

(٢) انظر ربح الخفاء لسيوطي ١٧٣ والبحث الدعوي عند العرب ، د . أحمد محار عمر ٦١

(٣) صحاح الإسلام ط سابعه ١ ٢٩١١

ثانياً مكان وضع النحو العربي

كان نشوء النحو العربي في العراق ، وخاصة في البصرة ، حيث كان لأهلها ميل بطبيعة شائنتهم إلى الاستعانة من هذا الفن وقد نبه العلماء على أقدمية البصرة في العناية باللغة العربية يقول اللغوي والأديب البصري محمد بن سلام الحمصي (ت ٢٣١ هـ) : « وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العربية عناية »^(١) كما ذكر أبو المرح محمد بن إسحاق النديم الوراق البغدادي (ت نحو ٣٨٥ هـ) عنه تقديم البصريين على الكوفيين في كتابه فعال . « وإنما قدمت البصرة أولاً ؛ لأن علم العربية عندهم أحد »^(٢)

والظروف تختم أن يكون العراق مركز تقدم هذا العلم ؛ لأنه كان قبل الفتح الإسلامي موطن الحكم ، وبعد الفتح أقبل عليه المسلمون من كل حذب ؛ حيث كان من أحصب البلاد الإسلامية ، فاستوطنت العرب والحكم .

ونقصد بالعراق هنا البصرة والكوفة ، لا بغداد ؛ لأنها تأسست في فجر الإسلام أما بغداد فلم تحيط إلا في صدر الدولة العباسية التي اتخذتها مقر لحلافة جاء في مراتب السجويين : « وأما بغداد فمدينة ملك ، وليس عندية علم وما فيها من العلم فمفقول إليها ومحلوب للحلفاء وأتباعهم ورعيته »^(٣)

وكان أكثر المشتغين به من الموالي وددت ليتقوا به اللحن الذي كان يرري بصاحبه فقد مر التابعي عامر بن شراحيل المعروف بالشعبي (ت ١٠٣ هـ) بفوم من الموالي يتذكرون النحو فقال : « لئن أصبحتموه إنكم لأول من أفسده »

وقد كان العراقيون ذوي عهد بالعلوم والتأليف ، ولهم فيها حبرة بليدة متوارثة وفيهم شعف لتعرف على الوسائل التي تقوم ألسنتهم وقد استأثرت البصرة بهذا العلم مائة عام

(١) طبقات سجون سمر ، ١ ، ٢

(٢) المهرج ص ٢ ، ١

(٣) مراتب السجويين

وهذا ملخص الأسباب لنشأة الحو في العراق في لاي

١ — احتلال العرب و لمحم في العراقين البصرة والكوفة بعد نصح
الإسلامي

٢ — ضعف لمواي معرفة وسائل تعلم العربي و ندين الإسلامي

٣ — ما عرف عن العراقيين من خبرة بالعلوم والتأليف فيها^١

(١) نظر نشأة الحر الشيخ محمد البطاوي^{١٣}

ثالثاً : أسباب نشأة النحو

فيما يلي أهم الأسباب التي دفعت علماء العرب إلى وضع نحو لهم

١ - شيوع اللحن

يعد اللحن الباعث الأول والسبب الرئيس لنشأة النحو العربي وتكوين اللغة وجمعها واستنباط القواعد وتصنيفها . فلقد كانت حوادثه المتتالية تدير الخطر هب على صوته أولو العيرة على اللغة العربية والدين الإسلامي^(١)

وكان ظهوره خفيف وناذراً أيام الرسول ﷺ ، فقد روي أن رجلاً لحن بحضرة النبي ﷺ فقال : « أرشدوا أحاكم فإنه قد صلب »^(٢) .

ويظهر أن اللحن التي سمعها رسول الله ﷺ كانت في قراءة القرآن الكريم ، لأن الرسول ﷺ لم يكن ليسب الضلال إلى رجل مجرد لحنه في الكلام العربي . وقد به إلى ذلك صاحب كثر العمال^(٣)

ولما جاء العصر الأموي كان اللحن قد بلغ مبلغ كبيراً حتى أصبحوا يعدون من لا يلحن جاء في أمالي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ)^(٤) عن اللعوي البصري عبد الملك ابن قريب الأصمعي (ت ٢١٦ هـ)^(٥) قال أربعة لم يلحنوا في جد ولا هرل - الشعبي (التابعي عامر بن شراحيل المتوفى ١٠٣ هـ) وعبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) ، والحجاج بن يوسف (ت ٩٥ هـ) ، وابن القريه ، والحجاج أعصمهم^(٦) .

وحاء في البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الخافظ (ت ٢٥٥ هـ) : « ومن كان لا يلحن ألبته حتى كان لسانه أعراشي فصيح أبو زيد الحوي ، وأبو سعيد المعلم » وفي روايه أخرى قال : « ورغم أبو العاصي أنه لم ير قروياً قط

(١) انظر من تاريخ النحو ، سعيد الأفغاني ٨

(٢) انظر كثر العمال نهدي ١ ١٥١ وخصائص ٢ ٨

(٣) انظر ترجمته طبقات الريدي ص ٩ ١ ورواه الرواد ٢ ١٦١ وبيعة الوعاة ٢ ٧٧

وسير أعلام النبلاء ١٥ ٤٧٥ ٤٧٦

(٤) انظر ترجمته أخبار النحويين البصريين ٧٢ ٨ وطبقات ريدي ١٦٧ ١٧٤ والإبواب

٢ ١٩٧ ٣ ٥ وبيعة الوعاة ٢ ١١٣ والأعلام ٤ ١١٢

(٥) نهدي الزجاجي ٢

لا يبحر في حديثه وفيما يجري بينه وبين الناس إلا ما تفقده من أبي زيد
السحوي ، ومن أبي سعيد المعلم (١) .

ومهم أيضا لسحوي البصري عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) (٢) ،
وقد قال عنه الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) : « كان عيسى لا يدع الإعراب
شيء » (٣) . ومهم السابعي الفاري السحوي يحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ) (٤)
الذي قال عنه الورير أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤ هـ) :
« وكان يحيى بن يعمر يطق العربية المختصة واللغة الفصحى طبعه فيه غير
متكلمة » (٥) .

فلم يسلم من البحر البلعاء والأمرء ، وصاروا يحدرون منه كل الحذر : لأنه
من الصعفات التي تنزل بقدر الرجل في المجتمع يقول عبد الملك بن مروان حين
قيل له : « أسرع إليك الشيب » ، قال : « شبي ارتقاء أسائر محافة
البحر » (٦) . وقال فقيه العراق قاضي الكوفة أبو شيرمة عبد الله بن شيرمة
(ت ١٤٥ هـ) : « إن الرجل يلحن وعليه لحن الأذكار فكأن عليه أحلاقا ،
وتعرب وعليه أحلاق فكأن عليه الحن الأذكار » (٧) .

ولقد أمتع النبي ﷺ وتربته عنه ، ولا أدن على ذلك من قوته عليه نصلاه
والسلام : « أنا أعريكم أنا من قريش ، ولساني لسان بني ساعد بن بكر ، فأنى
يأتيني اللحن » (٨) .

-
- (١) البيان والبيان ١ ، ١٦٣ ، ٢ ، ٢١٩ ، طبعه عام ٩٤٩ م .
(٢) انظر ترجمته طبعات الريدي ٤ : ٤٥ وأخبار النحويين البصريين ٤٩ : ٥ وزياد الزيادة .
٢ : ٣٧٤ - ٣٧٧ وغاية النهاية ١ : ٦١٣ .
(٣) طبعات النحويين والمعويين للريدي ٤١ .
(٤) انظر ترجمته طبعات الريدي ٢٧ : ٢٩ وأخبار النحويين البصريين ٤٠ : ٤١ وزياد الألباء .
١٩ : ٢٤ - ٢٧ وزياد الألباء ٥ : ٢٢٢ .
(٥) زياد الرواه ٤ : ٢٧ .
(٦) عيون الألباء لاس هيبه ٢ : ١٥٨ .
(٧) طبعات النحويين والمعويين للريدي ١٣ .
(٨) روي الحديث يرويه بن ماجة ، انظر في ذلك الجامع الصغير للسيوطي ٣ : ٤ ،
وانظر مر ب النحويين ٢٣ : ٢٩٧ .

وقد استقبحه الخلفاء والعلماء والأمرء ، قال مسلمة بن عبد الملك
« اللحن في الكلام أقبح من الجذري في الوجه »^(١)

واللحن يكثر غالباً على ألسنة الشعوب التي تعربت بعد دحوها الإسلام ؛
لأن اللغات إذا اتصل بعضها ببعض فلا بد أن يظهر أثر هذا الاتصال
والاندماج بظهور اللحن والنكسة ؛ حيث إن اللغات تتصل بسلاسل القوم
ومكائهم ، واسعتان إذا التقتا في النسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما
الصيغ على صاحبتها ، كما قرر ذلك المحافظ^(٢) لأن الشعوب تحتفظ بكثير من
عاداتها اللغوية مما يصح المجال لتحريف وشيوع اللحن^(٣) . وقد به على هذه
الظاهرة النحوي الأندلسي أبو بكر محمد بن الحسن الريدي
(ت ٣٧٩ هـ)^(٤) في طبقاته حيث يقول « ولم ترل العرب تنطق على
سحيتها في صدر إسلامها وماضي جاهيتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر
الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا ، واجتمعت فيه الألسنة
المتفرقة ، واللغات المختلفة ، فصا الفساد في اللغة العربية »^(٥) كما به مدرّس
في العصر الحاضر ، حيث يقول « إذا احتكت لغتان إحداهما بالأخرى أثرت
كل منهما في صاحبتها »^(٦) .

آراء الباحثين المحدثين .

على الرغم من هذه الروايات عن شيوع ظاهرة اللحن التي مسقت بشاة
السحو العربي والتي نعد من الممهّدات لشأنه ، على الرغم من ذلك يرى كثير
من الباحثين المحدثين يقولون أن تكون ظاهرة اللحن من الأسباب الداعية إلى
التفكير في وضع قواعد السحو ومن هؤلاء الباحثين ، على سبيل المثال الأستاذ
الدكتور حسن عون في كتابه « اللغة والسحو » الذي به أن يكون ظهور

(١) عون الأخبار ٢ ٥٨

(٢) البيان والتبيين

(٣) انظر كتاب « تحقيق بن أحمد بن عيسى أعماله ومبجحه » ر مهدي الخرومي ومدرسه الكوفة
به ٣٤ من ٣٥ والندرس السحو به ١١ شوقي صيف ١١

(٤) انظر ترجمه زبانه انرواة ٣ ٨ ، ٩ ١ وبعده المغة ١ ٨٤ ٨٥ ونارخ علماء
بالأندلس لاس نعرصي ٢ ٩٢ والأعلام ٦ ٨٢

(٥) طبقات الريدي من ١ ومعنى « سالا » طوائف

(٦) اللغة مدرّس ترجمه النوح والقصاص ٣٤٩

النحو مدعاه موضع اسحو ، أو استمكير فيه ؛ لأنه لو كان مجرد اللحن في اللمعة مدعاة لموضع النحو لوجدنا على لأقل محاولات فيه أيام الرسول ﷺ أو أيام الخلفاء الراشدين ، إذ إن لحن موجود في البيته العربية من ذلك التاريخ ؛^(١)

إن ما أشار إليه الباحث من وجود النحو في العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين قليل جداً بالنسبة لما حدث بعد الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام حيث لم يكن يمثل حصاراً عظيماً على اللغة العربية ، وإنما كانت تعد أخطاء فردية .

رأى يوهان فلك في كتابه « العربية »

ذهب هذا المستشرق إلى أن النحو الذي يطبقه علماء اللغة والنحو على الخطأ في اللغة إنما اكتسب هذا المذبذون نتيجة لاتفاق عربي على تغيير معناه الأصلي في وقت متأخر ؛^(٢) . وقال أيضاً : « ولا يزال يمهض بعد كل دليل يبين متى نقل لفظ النحو إلى معنى الخطأ في الكلام ، وأعجب لظن أنه استعمل لأول مرة بهذا المعنى عندما تنبّه العرب بعد احتلالهم بالأعاجم إلى فرق ما بين التعبير الصحيح ولتعبير لمحوه »^(٣)

وما ذكره هذا المستشرق غير صحيح ؛ لأن النحو بمعنى الخطأ في اللغة كان معروفاً بهذا الاسم في العصور المتقدمة على نشأة النحو ، ويدل على ذلك ما أورده من قول الرسول ﷺ : « أنا أعربكم أنا في قریش ، وساني لسان بني سعد بن بكر هاشمي يا بني النحو »^(٤) وما روي عن أبي بكر رضي الله عنه من قوله : « لأن أقرأ فأسقط أحب إليّ أقرأ فألحن »^(٥) وما روي عن لسان أبي الأسود الدؤلي الذي يسم إليه وضع النحو ، فقد قال : « إني لأحد للنحو عمراً كعمر اللحم »^(٦)

(١) اللغة والنحو ، د . حسن عور ١٥٦

(٢) العربية ٢٣٦

(٣) ص ٢٤٥

(٤) سبق تخريجه

(٥) مراتب النحويين ٢٣

(٦) طبقات النحويين ٢٢ وغيون الأحبار ٢ ، ١٥٨١ ، والمعجم بالتحريك يخ اللحم وما يعلو باليد

من دسمة

رأى المستشرق هون كريم

وقد شارك هون كريم الباحثين السابقين في إنكار أن يكون الفساد في اللغة العربية هو السبب في ضرورة وضع النحو حيث يقول : « وهناك رواية يساقها الناس في أغلب الأحيان وعقمتها كان سرب الفساد إلى اللغة العربية في البصرة هو السبب في ضرورة وضع قواعد النحو ، لإنقاذ اللغة العربية من الاضمحلال والفساد في المستقبل ، ولا حاجة هنا إلى القول إن هذه الرواية لا يعول عليها إطلاقاً »^(١)

إن المستشرق يوهان فث والمستشرق هون كريم هذا التشكيك يريدان أن يتوصلا إلى رأيهما المعروف في البحث النحوي ، وهو أن النحو العربي ليس من وضع العرب ، وإنما هو من وضع الأجانب من الآراميين أوحدهته الحاجة التي أحسوا بها لتعلم اللغة العربية وقراءتها على وجه صحيح^(٢) وهذا الرأي التشكيكي يعني أثر القراءة القرآنية الأساسي في نشأة النحو^(٣)

(١) مختاره الإسلاميه ومدى تأثيره على تأثيرات الأحياء ، هون كريم ، العرب الدكتور مصطفى طه

در ص ٨٩ - ٩

(٢) نفسه ٩

(٣) مفصل في تاريخ النحو -

مظاهر اللحن التي سبقت نشأة النحو

تتمثل مظاهر اللحن التي وقعت في لغة العربية تركيباً وبناءً في المظاهر الآتية

أولاً الخطأ في الإعراب :

بعد الإعراب أول ما احتل من كلام العرب ، وأحوج إليه النعلم^(١) ، لأن هذه الحركات تتطلب قدراً من التشبه والاتفات يكاد يستعده المنكسر في إبانته عما يريد الإبانة عنه فكانه لا يجد في نفسه فصلاً من الجهد يبذله في إقامته التصرف الإعرابي^(٢)

كما بعد اللحن في الإعراب أشد استكثاراً من اللحن في اللغة أو بنية الكلمة ، لأن نصوص القرآن الكريم كانت مدونة ، ولا سبيل للحرف عنها من الخطأ في بنية الكلمات . وإنما الخوف كان من ناحية الشكل الذي لم يكن قد ثبت بعد . ثم إن هناك ترابطاً قوياً بين الإعراب والمعنى ، ذلك لأن الكلام المنطوق سابق للكلام المكتوب ، فذلك كانت الحركات والعلامات الإعرابية وسيلة للتوكيد والتشبيه

ومن أقوى الأدلة على الترابط القوي بين الإعراب والمعنى في اللغة العربية وأصالتها فيها من قديم الزمان تواتر القرآن الكريم ووصوله إلينا معرب الكلمات ، وإن رسم المصحف العثماني نفسه مع تجرده من الإعجام بالشكل يرمز إلى كثير من علامات الإعراب العرعية ، أي الإعراب بالحروف ، مثل (المؤمنين) ، وعلامات إعراب المنصوب المود ، مثل (رسولا) ، و (حسياً) ، و (بصيراً) وقد بلغت هذه الخاصية في القرآن الكريم مبعاً إعرابياً تمثل في التسامع بين الخاصه الموسيقية الناتجة من حركه الإعراب والمعنى حين تناسق المعاني والنعيمات والفكرة والجرس أحسن تناسقاً ولسطر إلى هذه الآيات التي تصور ركض الخيل بقول الله تعالى : (والعاديات صبحاً ، فاموريات قدحاً ، فالمعيرات صبحاً ، فأثرن به نفعاً ، فوسطن به جمعاً)^(٣)

(١) مراتب النحويين ٢٣

(٢) عيوب الأخبار لابن خبيرة ٢٤٢

(٣) سورة العاديات - الأبيات ٥ -

إن هذه الفتحات في بحر كل كلمة تصور لنا عدو الخيل وركضها وقره فونه تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)^(١) ، فإن المعنى يحرص رفع لعلماء فاعلا ونصب اسم الجلالة معولا به ؛ لأن المراد هو حصر الخوف من الله في العلماء ، لا حصر الخوف من العلماء في الله . قال أبو بكر بن الأبياري سمعت أحمد بن يحيى ثعبا يقول : « كان أحد الأئمة يعيب السحو ويقول أول تعلمه شغل ، وأجره بعي ، والعام به من يرري به الناس ، فقرا يوم . (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع لفظ الجلالة ونصب لعلماء ، فقليل له كهوف ، من حيث نجعل الله يخشى العلماء ، فقال ، والله ، لا طعب على علم يؤدي إلى معرفة هذا أبدا »

ومن أمثلة اللحن في الإعراب ما يأتي

١ - قدم أعرابي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « من يقرئي شيئا مما أرسل على محمد ؟ فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللحن (وأدان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله)^(٢) بكسر لام (رسوله) فقال الأعرابي : « إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه » فبلغ عمر عقالة الأعرابي فدعاه فقال : « يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة . . . وقص عليه القصة فقال عمر : « ليس هكذا يا أعرابي » ، فقال : « كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : « (إن الله بريء من المشركين ورسوله) فقال الأعرابي : « وأنا أبرأ ممن بريء رسوله منهم » فأمر عمر ألا يقرئ القرآن إلا عام باللغة^(٣)

٢ - روي أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بقوم ، وفي رواية ، بصبيان يرمون فأساؤوا الرمي ، فقال : يئس ما رميتم ، فقال بعضهم : إنا قوم

(١) سورة فاطر ٢٨

(٢) سورة التوبة ٣

(٣) انظر الخصائص لأبي جني ٢ ، ٨ ، وقد اختلف العلماء في رواية هذه القصة ، منهم من يذكر أنها حدثت في عهد عمر بن الخطاب ، وبعضهم يحسبها في زمن زياد بن أبيه ، وبعضهم يجعلها في زمن علي بن أبي طالب . انظر أحبار النحويين البصريين للسرياني ، عميد طه الرضي ومحمد عبد السلام حجازي مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م ، ص ١٢ ، ومراتب النحويين ص ٢٩ والمهرج لأبي الدليم ، دار المعرفة ، بيروت ص ٦

متعمين فقال إساءتكم في لحكم أشد من إساءتكم في رميكم (١)

٣ — روي أن كاتباً لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه « من أبو موسى » ، فكتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنهما « إذا أتاك كتابي فاصربه سوطاً واصرفه عن عملك » (٢) ، وفي روايه « أن قُتِبَ كاتبك سوطاً » (٣) .

٤ — روي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنه فقال : « يا أبا ، ما أشدُّ الحرُّ ؟ » فقال : « الرمضاء في الهاجرة » فقالت : « لم أَرِدْ ذلك ، وإنما أحرَّتكَ عما هو فيه الآن » فلما سمع منها ذلك قال لها : « هولي إداً . ما أشدُّ الحرُّ ! » (٤)

٥ — ودخل رجل على الوالي الأموي على العراق — البصرة والكوفة — رباد ابن أبيه (ت ٥٣ هـ) فقال : « إن أيساً هلك ، وإن أحياء عصبوا ميراً من أباء » ، فقال : « ما صيغت من نفسك أكثر مما صيغت من مالك » (٥)

ثانياً الخطأ في بنية الكلمة صوتاً وحروفاً :

لم يقتصر اللحن على الإعراب ، بل سَرَبَ إلى المادة اللغوية صوتاً وحروفاً وبنية ومن أمثلة ذلك

١ — روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ برجلين يرميان فقال أحدهما : « أَسَيْتُ » ، يريد « أصيبت » بإبدال الصاد سينا ، فقال عمر : « سوء اللحن أشد من سوء الرمي » (٦)

(١) انظر إيضاح الوقف والابتداء ١ - ٢١ - ٢٢

(٢) مراتب النحويين ص ٢٣ وإيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأباري ، تحقيق محي الدين عبد الرحمن ريسان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، سنة ٣٩ هـ ١٩٧١ م ١٢٥

(٣) الخصائص ٢ - ٨

(٤) طبقات النحويين والنحويين ص ٨ ، والفواصل للميرد ، تحقيق عبد العزيز البيهقي ، نشر دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧٥ هـ ٩٥٦ ، ص ٢١ ، وإليه أثروا على نبيه الجاه ١ - ١٦

(٥) الشفاة والعلوية ، البيهقي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر بهمة مصر للدراسات والبحوث ، سنة ٣٨ هـ ١٩٧٤ م ٢٠٩

(٦) الأدب المفرد لبيحاي ص ٢٢٧

٢ — ما رواه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت ٢٥٥ هـ) « أن أول من بالبادية . هذه عصاتي ، بدل (عصاي) ، وأور لحن سمع بالعراق « حي على الصلاة » بكسر الياء ، بدل فتحها »^(١)

٣ — وما روي من قول صاحب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرحبين « قما » ، بدل (قوما)^(٢)

وبذلك يقول إن اللحن الذي يريده هو خروج الكلام المصحيح عن معنى الصحة في بنية الكلام أو تركيبه أو إعرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع أولاً بين العامة من الناس ، ويسرب بعد ذلك إلى لغة الخاصة^(٣) .

ولكن الذي يجب تسجيله هنا أن يوارد اللحن وأعراص الفساد هجعت أولاً على الإعراب ونظام التركيب قبل هجومها على مفردات الكلام

٤ — الحرص على المحافظة على كتاب الله والسنة المطهرة

إن السبب الثاني من أسباب نشأة اللحن هو حرص المسلمين على المحافظة على كتاب الله والسنة المطهرة

فإذا كان جمع القرآن الكريم وحفظه من الصياح يمثل الخطوة الأولى للعناية بالقرآن الكريم فإن اللحن العربي يمثل الخطوة الثانية في العناية به والمحافظة على سلامته بعد أن أحد اللحن ينشر ويشيع على الألسنة حتى سمع في القرآن الكريم كما ذكرنا ذلك آنفاً

فهذه الخطوة الثانية بمثابة رد الفعل المباشر لتسرب اللحن إلى لغة القرآن الكريم على الخصوص ، فلا بد أن يكون العرص بعد هذا إبعاد هذا الخطر عن بصره ، ولن يتأتى ذلك إلا بوضع صوابط وقواعد عملية للغة التي مر بها القرآن الكريم وسها رُويت ودُوِّنت السنة المطهرة

(١) البيان والتبيين ٢ ٢١٩

(٢) الخصال وخصائص أبيه ٣ ١٥٩

(٣) نظر كتاب « مظاهر الطائفة على المصحف » د محمد عبد . عام الكتب ، القاهرة .

١٩٨ م . ص ٢

وقد أكدت كل المراجع القديمة التي تحدث عن بداية شأة النحو العربي أنه جاء استجابة لوعي ديمي يتمثل في الحفاظ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أن يلحقهما اللحن والتحريف ، ومن ثم إبقاء الطريق إلى فهمهما واستخراج مكوّناتها واصحابها ميسورا

ولا أدل على ذلك من أن الخطأ في قراءة القرآن الكريم هو أحد الأسباب التي دفعت أبا الأسود الدؤلي إلى التفكير في عمل النحو العربي .

فالمستعملون لم يخافوا اللحن على البيان وحده ، ولكن على القرآن الكريم أولا ، لأن اللحن في آياته يؤدي إلى فساد كبير وشرّ مستطير . ولا أدل على ذلك من أن الصحابة والتابعين والخلفاء والعلماء حذروا من اللحن في القرآن الكريم أشد التحذير . فقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : « لأن أقرأ فأخطيء أحب إليّ من أن أقرأ فألحن . لأنني إذا أخطأت تعلمت ، وإذا حلت اقتصرت »^(١) وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصرب ولده على اللحن في كتاب الله عز وجل^(٢) وعن شيخ القراء والمفسرين التابعي مجاهد بن حبر (ت ١٠٣ هـ) أنه قال : « لأن أخطيء الآية أحب إليّ من أن ألحن في كتاب الله »^(٣) وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ، أحد سادات التابعين (ت ١١٠ هـ) . « إن الرجل قد يقرأ الآية فيفتي بوجوهها فيهلك فيها حيله »^(٤) وروي عنه أيضا أنه قال : « من لحن في القرآن الكريم فقد كذب على الله عز وجل »^(٥) .

هذا اكتسبت اللغة العربية صفة القداسة الذهبية قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (ت ٥٠ هـ) « تعلموا العربية ، فإنها لسان الله الذي يخاطب به الناس يوم القيامة »^(٦) كما نقل عن ابن جرير عن بعض السلف

(١) مراتب النحويين ص ٢٣ و مرمر ٢ ٣٩٧

(٢) ربيع الوفاء والاسماء ١ ٢٤

(٣) المصدر السابق ١ ٢٦

(٤) مصدر السابق ٢٧

(٥) سبب الأخطاء على فضائل الإعراب للمصري ، محميو معبصر بن مساعد العمري ، دار عبي

سنة ٤١٠ هـ ١٩٨٩ م ص ٩

(٦) مصدر سابق ص ٧٦ - ٧٧

قوله « عليكم بالعربية ، فإنها المروعة انظاره » ، وهي كلام الله عز وجل
وأسائه وملائكته »^(١)

ويبدو أن ارتباط الدرس الدعوي والسحوي بالكتب المقدسة كان أمر قديم
فقد عرف عن السحو الهدي أنه نشأ في خدمه (العيدا) وأنه اكتسب من
الدين قداسة واحترمه وتذكر الرويات قوهم . « إن اداء هو أقدس شيء
على الأرض ، والكتب المقدسة أكثر قداسة من الماء ، ولكن السحو أكثر قداسة
من الكتب مقدسة »^(٢)

وقد قصر بعض الباحثين نشأة هذا العلم على هذا السب ، وهو المحافظة
على كتاب الله وفهمه ؛ لأن العلوم الإسلامية كلها نشأت لخدمه القرآن
الكريم . هناك فرق بين محاربة اللحن وإرادة الفهم . فهو كان المقصود هو
محاربة اللحن لاقتصر على وضع صوابط الصحة والخطأ في كلام العرب . وأما
الفهم فإنه يعصد به البحث عن كل ما يمد في استطاق النص ومعرفة ما يؤديه
التركيب القرآني على وجه الخصوص باعتباره أعلى ما في العربية من بيان^(٣)

وقد به على ذلك من قبل الزجاجي في كتابه « الإيضاح في علل السحو » ،
حيث يقول « فإن قيل فما الفائدة في تعلم السحو ؟ . فالجواب في ذلك أن
يقال له : الفائدة فيه للوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير
مبطل ولا معير ، وتقويم كتاب الله عز وجل الذي هو أصل الدين والدينا
والمعتمد ، ومعرفة أخبار النبي ﷺ ، وإقامه معانيها على الحقيقة ؛ لأنه لا يفهم
معانيها على صحة إلا بتوحيثها حقوقها من الإعراب »^(٤)

ولا شك في أن وضع السحو بدافع من الدين للحرص على القرآن الكريم
مردّة إلى كثره اللحن والتحريف في اللغة العربية التي هي وسيلة لفهم القرآن
العظيم والسنة المطهرة .

(١) الإيضاح في علل السحو للزجاجي ، تحقيق د . مازن المبارك ، دار النفائس ص ٩٥

(٢) انظر البحث الدعوي عند المنود ، د . أحمد مختار عمر ، در الثقافة ، بيروت ، سنة ١٩٧٢ م
ص ٧٣

(٣) انظر كتاب « السحو العربي والدرس الحديث » ، دكتور عبده الراجحي ، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر ، بيروت ص ٧٩

(٤) الإيضاح في علل السحو ص ٩٥

٣ - حاجة الجيل الجديد إلى فهم اللغة العربية

وأما السبب الثالث نشأة النحو فهو أنه نشأ حين جديد في الإسلام ويتمثل هذا الجيل في المواقف الذين أخذوا يكتبون وينشرون في أرجاء الأقطار الإسلامية وقد نطق هؤلاء العربية على قدر ما هأنه لهم أُنسبتهم ، غير أن أنسبتهم لم تكن حالصه النطق ، بل كانت مشوشة بكنة أعجمية ، ومن ذلك ما روي عن صهيب الرومي ، صاحب رسول الله ﷺ ، حيث قال : « إنك لهاش » ، يريد : « إنك خائش » (١)

كما نشأ شيء جديد من العرب أيضا ولدوا بعيدا عن تحريرة العربية فأخذوا يتكلمون بعبر أساليب العربية بالإضافة إلى أنه واحد كثير من أبناء العرب ولدوا لأُمّهات أجنبيات فتأثروا بظلمهم فكان هؤلاء في حاجة لتوقوف على أعراض اللغة ومراميتها حتى تمكنهم ذلك من فهم القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم الحصول ثانياً على مكانة الرفعة في المجتمع الذي يعد المصاحح والبلاغة من يرفع قدر الإنسان ويدل على ذلك قول فقيه العراق وقاصي الكوفة أبو شيرمة عبد الله بن شيرمة (ب ١٤٥ هـ) : « إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر من كان في عينك عظيما فعم العربية ، فإنها تحريك على الصق وبديك من سلطان » (٢)

وقد حاول بعض الخلفاء والأمراء إرسال أولادهم إلى البادية موطئ المصاحح ليتفصّحوا وتندرب أُنسبتهم على اسطق بالعربية نطف سبما ، وليربو ملكاتهم اللعوية حتى يكسبوا ود الخلفاء والأمراء ومحبي اللغة العربية

٤ - فساد الملكة اللغوية بالاختلاط

وأما السبب الرابع لوضع النحو فإنه يرجع إلى فساد ملكة لعوية لدى أبناء لعربية بالاختلاط فقد اتسعت رجة الإسلام بسبب الفتوحات الإسلامية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأقبلوا إليه أرسالا ، حيث اتسعت الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرفا إلى سري لسد

(١) البيهقي ١٠٢

(٢) عيون الأخبار لابن حبه ٣٠٥

وجنحون ، وعرب إلى الشام ومصر وفي عهد بني أمية شرقاً إلى هند ولبصر
وشمالاً إلى سببريا ، وعرب ما وراء جبال البرنس بالأندلس كما امتدت إلى
حرث نبحر الأبيض المتوسط

فأصبحت لعواصم إسلامية مربداً للداحلين في دين الله ، واحتضت هؤلاء
بالعرب مصاهره وحواراً ومعاملة في شؤون الحياة ، « عصر لاشيء الجديد
يسمع في العبارة عن المقاصد كيميائياً أخرى غير لكيميائيات التي كانت للعرب
فغير عن مقصوده » كما قرر ذلك العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
(ت ٨٠٨ هـ) (١)

وقد أشار إلى هذه الظاهرة التي هي أحد أسباب نشأة النحو أبو الأسود
دؤلي حيث روي أنه جاء إلى ريد بن أبيه الذي كان والياً على لبصره
ولكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقال « إني رأيت
العرب قد حالصوا هذه الأعاجم وفسدت أنسبها ، فتأذن لي أن أصح للعرب
ما يعرفون به كلامهم » (٢)

وقد أبان عن هذه الظاهرة العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
(ت ٨٠٨ هـ) حيث يقول « علم جاء الإسلام ، وفارقوا الحجار لطلب
الملك الذي كان في أيدي الأمم والدور ، وحالصوا العجم تعيرت تلك الملكة بـ
ألقى إليها السمع من المخالعات التي للمستعربين من العجم والسمع أبو
الملكات النسانية ، ففسدت بـ ألقى إليها مما يعايرها جوحها إليه باعنياد
السمع وحشي أهل الخنوم منهم أن تصد تلك الملكة رأيت بطون العهد
فيعشق القرآن والحديث على لفهوم ، فاستبطوا من مجاري كلامهم قوايين
تلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقبسون عليها سائر أنواع الكلام ،
وينحقوق الأشباه بها بالأشباه » (٣)

هذه هي في رأيي أهم الأسباب التي أوجدت الحاجة إلى « علم النحو » ،
وإن كانت هذه الأسباب محتمة تنصب في سبب واحد ، وهو المحافظة على
اللغة العربية التي هي وسيلة لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة

(١) المقدمة لابن خلدون ص ١٢٦

(٢) طبقات يزيد ص ٢٢

(٣) المقدمة ص ٥١٥

الفصل الثاني

آراء القدماء والمحدثين في واضح الحو

أولاً آراء القدامى

تعددت الرويات عند القدماء في واصل علم النحو ، ونكاد نحصر الرويات في كتب الطبقات والأدب وكتب النحو على النحو الآتي

- ١ - طائفة منهم نسبته إلى العلامة التابعي لعاضل أبي الأسود الدؤلي وحده ، واسمه على الأشهر طدم بن عمرو بن علي ، وكان وفاته سنة ٦٩ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي
- ٢ - وطائفة نسبته إلى أبي الأسود بامر من علي بن أبي طالب
- ٣ - وطائفة نسبته إلى أبي الأسود بامر من زياد بن أبيه
- ٤ - وطائفة نسبته إلى أبي الأسود بلاشتراك مع تلامذته
- ٥ - وطائفة نسبته إلى أبي الأسود بتشجيع عبد الله بن عباس
- ٦ - وطائفة نسبته إلى أبي الأسود بامر من عمر بن الخطاب
- ٧ - وطائفة نسبته إلى علي بن أبي طالب وحده
- ٨ - وطائفة نسبته إلى أحد تلامذة أبي الأسود ، فهناك رواية نسبته إلى نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ) (١) وحده ، أو عبد الرحمن بن هرم (ت ١١٧ هـ) (٢) وحده ، أو يحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ) وحده

هذه هي عمل الآراء لمناثره في كتب الطبقات والأدب

ويعد ابن سلام الحمصي (ت ٢٣٢ هـ) أول من نسب وضع النحو العربي إلى أبي الأسود الدؤلي وحده جاء في طبقات فحول الشعراء * وكان لأهل البصرة في العربية قدمة ، وباسحو ونعاث العرب والعريب عدية ، وكان أول من أسس العربية ، وفتح بابها ، وأسهج سبيلها ، ووضع قياسها أبا الأسود الدؤلي حين اضطرب كلام العرب فعبت لسليقة ولم تكن بحوية ، فكان سرارة

(١) انظر ترجمته أخبار النحويين البصريين ٣٨ - ٣٩ وطبقات الترمذي ص ٢٧ وبيان رواه

٣٤٣ ٣ ٣٤٤

(٢) انظر ترجمته أخبار النحويين البصريين ٤ وطبقات الترمذي ص ٢٦ وبيان رواه

١٧٣ ١٧٢ ٢

الاسم يندرجون ، فوضع باب المفاعل ، والمفعول ، والمصاف ، وحروف الجر ،
ورفع ، والنصب ، وحرم »^(٤)

ثم شاعرت الروايات الكثيرة في سببه وضع سحويته جاء في « مراتب
السحويين » لأبي الطيب عبد الواحد لدعوي (ت ٣٥١ هـ) « كان أبو من
رسم لباس السحوي أبو الأسود الدؤي »^(٥) وجاء في « الإصباح في تغيير
المصاحبة » لابن حجر العسقلاني « أبو من وضع العربية ونظم مصاحف أبو
الأسود الدؤي »^(٦) كما ذكر أبو لفرح محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن
لوراق لبعدي (ت نحو ٣٨٥ هـ) أنه رأى بنفسه نحو أبي الأسود الدؤي ،
ودعث في قمطر كبير رآه رجل من أهل « الحديث »^(٧) قال « رأت
ما يد على أن السحوي عن أبي الأسود ما هذه حكاية هي أربعة أوراق من
ورق نصيبى ترجمتها هذه فيها كلام في المفاعل ، والمفعول عن أبي الأسود
رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر »^(٨)

وهذا ندي ذكره ابن السديم يتفق مع ما قاله أبو محمد عبد الله بن مسلم بن
قبة الديوري (ت ٢٩٦ هـ)^(٩) في كتابه الشعر والشعراء من أن أبا الأسود
لدؤي ألف كتابا في السحوي^(١٠)

كما تحدثت بعض المصادر عن سببه لأبي الأسود الدؤي أيضا ، ولكن كان
ذلك بأمر من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد سئل أبو الأسود الدؤي
عن فتح به الطريق من الوضع في السحوي ، وأرشده إليه فقال « سمعته عن
علي بن أبي طالب رحمه الله » ، وفي رواية أخرى قال « ألقى بي علي أصولا
الحديث عليها »^(١١)

(١) طبقات سحويين انشع ١ ٢

(٢) مراتب السحويين ص ٢٤

(٣) الإصباح ٢ ٢٤٢

(٤) الحديث بفتح الحاء وكسر الدال يطلق على عدة مواضع منها حديثه بوضع ، وحديثه العرب
ونحدي قرى دمشق ، ويقال لها حديثه حرم ، انظر معجم بندا ٢ ٢٣

(٥) انظر قصصهم في التمهيد ص ٤٦

(٦) نظر لترجمة سير أعلام النبلاء ١٣ ٢٩٦ ٣٠٢ وطبعات التريدي ٨٣ وإليه الرواد

٢ ١٣٤ - ١٤٧ ويحيى الوعاء ٢ ٦٣ ٦٤ ولأعلام ٤ ١٣٧

(٧) الشعر ، الشعر ٢ ٧٣٣

(٨) طبقات التريدي ص ٢١

وقد تحدث أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأسدي بعددي
(ت ٥٧٧ هـ) (١) في « ترهة الأبناء » عن الذي ألقى إليه علي بن أبي طالب
بعد قيل : إنه ألقى إليه صحيحه فيها . بسم الله الرحمن الرحيم . لكلام اسم
وفعل وحرف . فالاسم ما أبدأ عن المسمى ، والفعل ما أبدأ عن حركة
المسمى ، والحرف ما أبدأ عن معنى ليس باسم ولا فعل . ثم قال : تثبته ورد
عليه ما وقع لك ، واعلم أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشيء ليس
بظاهر ولا مضمر ، وإنما يتناول العلماء في معرفه ما ليس بمضمر
ولا ظاهر (٢)

كما ذكر الورير علي بن يوسف الفعطي (ت ٦٢٤ هـ) أنه رأى مضمر من
الطلب بأيدي الوراقين جرعا فيه أبواب من النحو ، يُجمعون على أنها مقدمة
علي بن أبي طالب التي أحدها عنه أبو الأسود الدؤلي (٣)

وتذكر بعض المصادر خلاف ما سبق ، إذ تذكر أن وضع أبي الأسود
للنحو كان بأمر من الوالي الأموي على العراق زياد ابن أبيه (ت ٥٣ هـ) فقد
روي أن زيادا بعث إلى أبي الأسود وقال له : «عمل شيئا تكون فيه إماما يستمع
الناس به ، وتعرب به كتاب الله ، فاستعماه من ذلك ، حتى جمع أبو الأسود
قارئا يقرأ » . أن الله برىء من المشركين ورسوله (٤) بكسر اللام فقال
ما كنت أظن أن أمر الناس صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال : أن أعمل ما أمر
به الأمير ، فليجي كاتبنا ليقا بعمل ما أقول . فأتى بكاتب من عند العيس فمه
برصه ، فأتى بأحر ، فقال له أبو الأسود إذا رأيتي قد فتحت فمي بالحرف
فانقط نقطة فوقه على أعلاه . فإن صممت فمي فانقط نقطة بين يدي
الحرف . فإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف . فإن أنعت شيئا من ذلك
عنة فاجعل مكان النقطة مبطتين (٥)

(١) انظر ترجمته سير أعلام النبلاء ٢١ ١١٣ ١١٥ ووفيات الأعيان ٣ ١٣٩ ١٤ وزياد

الرواه ٢ ١٦٩ ١٧١ وعبه الوعاة ٢ ٧٦ ٨٨

(٢) ترهة الأبناء ص ٤ - ٥ . انظر زياد الرواه ١ ٣٩ ومعجم الأدباء ١٤ ٤١ و حيار النحويين
البصريين ٣٤ والفهرست ٣٤

(٣) زياد الرواه ١ ٤٠

(٤) سورة التوبة ٣

(٥) أحبار النحويين البصريين ص ٣٤ والفهرست ص ٦ . إناء الرواه ١ ٤٠

وهذا رواية أخرى تقول إن زياد هو الذي أرسل برجل وطلب منه أن يرصد أبا الأسود في طريقه ويعرف شيئا من عمر بن هرم بن الحرم ويتعمد فيه النحر ، عنه يعتمد ما طبعه منه^١

وهذا بعض الروايات التي شئت مع أبي الأسود في نوصع تلامذه فقد جاء في طبقات الزبيدي « فكان أول من أصل دنت وأعمل فكره فيه أبو الأسود طالع بن عمرو الدؤي ، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرم فوصعوا النحو أيوب ، وأصنو له أصولا فذكروا عوامل لرفع ونصب والحرم ، ووضعوا باب الفعل والمفعول وانتعجت والمصاف وكان لأبي الأسود في دنت فصل السبق وشرف التقدم »^٢

وقد أشير أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨ هـ)^٣ في هذا الاختلاف بين العلماء فقال « اختلف الناس في أول من رسم النحو ، فقال فائون أبو الأسود الدؤي ، وقال آخرون نصر بن عاصم الدؤي وقال آخرون عبد الرحمن بن هرم ، وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤي »^٤

وقد اقتصر بعض المصادر والروايات على نسبة وضع النحو إلى واحد من تلامذته ومن ذلك ما رواه محبوب السكري عن خالد خذاء بن مهران البصري (ت ١٤١ هـ) « أن نصر بن عاصم أول من وضع النحو »^٥ كما روى بن خيعة (ت ١١٧ هـ) عن أبي نصر قال « كان عبد الرحمن بن هرم أول من وضع نحرية وكان أعلم الناس بأسباب فريش وأحد القراء »^٦

كما ذكرت بعض المراجع القديمة أن أبا الأسود الدؤي وضع نحو يأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أثبت دنت العقاد في كتابه « عبقرية

(١) محكم في نظم مصاحف أبي عمر بنادي ص ٣

(٢) طبقات الزبيدي ص ١١ - ٢

(٣) نظر لترجمته طبقات الزبيدي ١١٩ و ١٨٥ وزياد الرواق ١ ٣٤٨ ٣٥ وبعية الوعاء

١ ٥ ٧ ٩ ٥ ٩ والأعلام ٢ ١٩٥ ٩٦

(٤) أخبار النحويين البصريين ص ٣٣

(٥) المهرج ص ٢

(٦) أخبار النحويين البصريين ص ٤ والمهرج ص ٣٩

عمر ٨٠^١ جاء في إنباه برويه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري، وهو على نصره^٢ ما بعد فتحهم في يدين، «نعمو لسه، ونفهمو عربيه، ونعمو طعن لثبته»^٣، وأحسنوا عاده لرؤيا، وليعنم أبو الأسود أهل نصره لإعرب^٤»

على حين تذكر بعض مصادر^٥ أن الأسود بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال: «بي أرى ألسنة عرب قد فسدت فأردت أن أصنع شيئاً لهم يُقَوِّمُون به ألسنتهم» قال: «لعلك تريد النحو، أم ربه حق»، «ستعين سورة يوسف»^٦ وقد كان أبو الأسود كاتباً لابن عباس حين كان وزيراً على لبصره من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً^٧

وقد اقتضرت بعض الروايات على سببه النحو إلى علي بن أبي طالب وحده وذكر أبو الحسن لقمطي (ب ٦٢٤ هـ) أن ذلك رأي الجمهور من أهل الرواية^٨ ومن مصادر أخرى سبب وضع النحو إلى علي بن أبي طالب وحده الفاضل للمبرد^٩ والريه مرري^{١٠} والإيضاح في علم النحو للرجاجي^{١١} ومعجم الأدباء^{١٢} ووفيات الأعيان^{١٣}

(١) بحريه عمر ص ٢٤٦

(٢) ما يتعم عليه الطعن

(٣) إنباه الرواه ١ ٥

(٤) إنباه الرواه ١ ٥١ وروى العباس ص ٨

(٥) الأعيان ١٢ ١ ٣ معناه طبعه د الكثر

(٦) انظر إنباه الرواه ٢٩

(٧) انظر الفاضل ص ٥

(٨) انظر ربه ٧١

(٩) انظر الإيضاح في علم النحو ص ٨٩

(١٠) انظر معجم الأدباء ١٤ ٤٩

(١١) انظر وفيات الأعيان ٢ ٢٢٢ ٢٣٧

مناقشة الآراء السابقة

في الآراء لسابقة ما يستدعي المساءلة ومناقشته ، ومن أبرز ذلك

أولاً قد سبب إلى أبي الأسود ندوي أو علي بن أبي طالب عدد من المصطلحات والتسميات والتعريفات فمن هذه المصطلحات ما عمل ، والمفعول ، والمضاف ، وحروف الرفع ، والنصب ، والجر ، وجرم ، والتعجب ، وإن وأحوالها ومن هذه التعريفات تعريف الاسم ، وعمل ، والحرف هل صحيح أن هذه المصطلحات والتعريفات قد تحددت بهذه التسميات في عهد أبي الأسود الندوي أو علي بن أبي طالب ؟

ثانياً ما المراد بالقياس الذي نسبته ابن سلام حمحي إلى أبي الأسود بقوله « ووضع قياسها » ؟

فأما العقدة الأولى من المناقشة فليس من المعقول أن تكون هذه المصطلحات والتعريفات قد نصحت وتخدمت في هذا العصر ؛ لأن عصر أبي الأسود ليس عصر تقسيم وتبويب وتعريف ، وإنما كانت الدراسات اللغوية يومئذ عبارة عن تفسير آية أو جمع حديث أو تعريف وكيف تنصح هذه المصطلحات والأبواب وهي غير متصحة عند العلماء الخائفين من أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه ؟

فهذا الخليل بن أحمد (ب ١٧٠ هـ) يطلق الفتح مثلاً على حركة آخر الفعل انصارع إذا كان منصوباً ، نحو (بن يصر) ، كما يطلقها على فتح انباء في نحو (صيرت) كما يطلق الضم على ما وقع في أعجاز الكلم غير موزن ، نحو (يفعل) ، و (جاء الرجل) ويطلق الكسر على ما وقع في أعجاز الكلم غير موزن ، نحو لام (الحمل) من قولنا (للحمل) والجر يطلقه على ما وقع في أعجاز الأفعال المحرومة عند استقبال ألف الوصل ، نحو (م يذهب الرجل)^(١)

(١) معانيج علوم نحو ، ص ٣

وهذه سبويه أبو بشر عمره بن عثمان بن قيس (ب ١٨٠ هـ) لم يُعرف
 لاسم ، فعل و حرف ، وإي كتنفى لأمثته فهي معرفة للاسم والفعل
 ، حرف اكتنفى بتقسم نكلمه إلى نوع ، ثم سطرص جميع التماذج التركيبية
 التي يوجد فيها كل فرع

فقد سبويه في تعريف الاسم « فالاسم راجل ، فرس وحائط » ، ثم قال
 معروف كل فعل من الأفعال الثلاثة « فأماء ، ماضي ، مضى ، وسمع ،
 ومكث ، وحمد ، وأما بناء ما يقع فيه كقوت مر أذهب ، وأقبل ،
 وصرب ، وعجرا يقل ، ويذهب ، ويصرب ، ويقبل ،
 ويصرب »^١

هكذا سنعى عن التعريفات المذكورة لأمثته ونقسم الكلمة إلى أنواع ،
 وعرض التماذج التي يوجد فيها كل نوع ، ولم تتضح هذه المصطلحات إلا في
 عهد متأخر عند البصريين ، حيث جعلوا الصم والكسر والفتح والسكون
 علامات بناء ، والرفع والنصب والجر علامات إعراب في سبويه ، رفع
 والجر والنصب والجرم في الإعراب ، وأما الفتح والكسر والصم والوقف
 (اسكون) فلأسماء غير ممكنة^٢

ثم إن الترام هذه المصطلحات على هذا الوجه تدقيق مدى يفرق بين
 علامات الإعراب وعلامات البناء ، يكتب لا استقرار إلا عند البصريين
 متأخرين ، حيث ظل الخط في استخدام هذه المصطلحات و رد عدهم في
 بعض المواضع جاء في كتاب سبويه « ورفعو مفرد كما رفعوا (قبل)
 و (بعد)^(١) وقال عند إعراب ممدى الذي م يصف « وانفرد رفع ،
 وهو في موضع سم منصوب^(٢) » وقد تابعه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد

(١) نظر راجع حيز سبويه البصري ٣ ٢٤٦ ٢ ٣٦ وبعده الوعاء ٢ ٢٢٩ ٢٢ والأعلام ٥ ٨ وتقديم المحقق للحجاز
 في الجزء الأول ٣ -

(٢) الحساب ١٢

(٣) نعه ٣ ٥

(٤) نعه ٢ ٨٣ - ٨٤

(٥) نصد السادس ٢ ١٨٣

(ب ٢٨٥ هـ) ١ - أحد أبرز حرك المذهب بصري من بعده - في هـ
الخط ٢

ذلك بالإضافة إلى أن المصطلحات عند سيبويه تقوم على الوصف لوصفي
لتطاهره معوية ، يظهر ذلك من تعريفاته التي قد تستطيل في بعض المواضع
كما يدل على عدم بصحتها في عصره ، بله عصر أبي الأسود الدؤلي مما يدل على
أن هذه المصطلحات والتعريفات المنسوبة لأبي الأسود ليست من وضعه ، وإن
نسبت إليه

ويبدو أن الواقع أنه أول من فكر في وضع علامات الإعراب رفع
ولصب والجر والنون ، فقد سُمي بعض العلماء صروب رفع فاعلا ،
وبعض صروب نصب مفعولا قالوا إن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع باب
الفاعل والمفعول ، وإن كان هو م يعرف فاعلا ولا مفعولا ، بل ربما لم يعرف
نصبا ولا رفعاً (٣) ، لأن عمله بمثابة ملحوظات منشورة ناتجة عن رصده
لتطوُّر المتبدل في التراكيب العربية إدراكاً منه لتصرف الكلمات ووظائفها في
التركيب وما ينتج عن ذلك من اختلاف الحركات ، وذلك من خلال
ما توصل إليه من نطق المصحف (٤)

وأما الفقرة الثانية من أساقته ، وهي نسبة القياس إلى أبي الأسود كما فعله
ابن سلام الحمصي ، فيبدو في طسأ أن المراد بالقياس عنده هو القياس
المطري ، أو البدائي - وهو ما يسمى بالاستقراء - وليس القياس الصناعي
المطقي الذي عرف متأخراً

فالمراد هنا العلم بالقواعد المنصودة التي يحال بها بين انتكس والخطأ في اللغة ،
وهو ما أشار إليه النحوي المصري عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ،
المعروف بابن الحاجب (ب ٦٤٦ هـ) (٥) حين ذهب إلى أن رفع الفاعل

(١) انظر ترجمته في أخبار النحويين البصريين ١٥ - ١٣ وطيحات الزبيدي ١٠١ - ١
ومراتب النحويين ٨٣ ورواة الرواة ٣ ٢٤١ - ٢٥٣

(٢) مقتضب ٣

(٣) صحن الإسلام ٢ ٢٨٧

(٤) نظر لمصنف في معجم سحر ص

(٥) انظر ترجمته في معجم المعاني ٢ ٣٤ - ١٣٣ ومعجمه المختص كتابه الكافي

ونصب معمول قد ثبت بالاستقراء ، وليس ، فليس لذي رفع من
بعنه ثم ثبت بهيئته من عدة من الأسس ، لكن مردها وصف الظواهر
وصف عوي

ثانياً آراء المحدثين

ذهب طائفة من المحدثين إلى نفي جهد أي للأسود الدؤبي في بلاد
السحري ومن هؤلاء محدثين المستشرق بروكلمان الذي ذكر في توصيفه
أن الأسود الدؤبي من دراسات لغوية ، وعنه دلت من الأساطير^(١) ،
يكتف بدلت ، بل أنكر ما نسب إلى تلامذه أيضاً ، حيث يقول
« وما يروى عن تلاميذ أي الأسود المزعومين فهو أمر غير أكيد أيضاً مثل
علاقة أي الأسود نفسه بهذه الدراسة » ويرى أن البديهة لصحيحة لدرج
السحري من طبقة أسانده الخليل ومسويه^(٢)

فما المستشرق « يوهان فث » فإنه يستبعد عدم أي مستشرق الخلد ،
ويقصد بهم غير العرب قال « وعلى الرغم من أن هذه الروايات متفرقة
امتصارتها غير تاريخية بالمعنى الصحيح فإنها تحتوي على إدراك عميق » لأن هذا
المستشرق حدد لغة العرب سبباً لهم كان هو الدافع الأول لملاحظات
السحوية^(٣) على حين يرى المستشرق « فون كرينر » أن لسحري من وضع
الآراميين والعبرانيين^(٤)

وأما « شينر » ، واضح مائة « عو » في دثره معارف الإسلامية يرى
أن مائة الأوبه نعم اسحو العربي جاءت من سطق الأرسطوطاليسي الذي
نتهى إلى العرب عن طريق لسريان ، وأن مسألة وضع لغوية ووضع كنه
« نحو » نفسها محوطة بكثير من العوض ، ولكنه في نهاية الأمر يرى أن لأي
الأسود الدؤبي صلوا في شأن اسحو بكثره روايات ونصاهاها^(٥)

(١) تاريخ الأدب العربي ، ترجمه عبد الحليم السج ، ١٢٢ ٢

(٢) مصدر نفسه ١٢٨ ٣

(٣) العربية ص

(٤) نص خاصة الإسلامية ، مدى تأثيرها ، ص ٩

(٥) نص عث « وضع الحجم » لاسعد أظهير في محله مجمع علمي دمشق مجلد ١٤ ص ٢٧٤

وقد سار على هذا المبدأ من التشكيك في واصل النحو كثير من الباحثين العرب الذين تأثروا بأقوال المستشرقين ومن هؤلاء الأستاذ أحمد أمين الذي تصمت آراؤه بعض الشك في الروايات التي تحدد واصل النحو ، ووصفها بالتناقض والاختلاف ، فيقول : « ومن حسن الخط أنه ليس محل اتفاق بين العلماء فمنهم من قال : إن واصل النحو عند الرحمن بن هرم المتوفى سنة ١١٧ هـ في خلافة هشام ، ومنهم من قال إنه نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هـ . والقائمون بهذا من غير شك يكررون بسبته إلى علي وأبي الأسود » (١) .

ولكنه في الوقت نفسه يرى أن عمل أبي الأسود الدؤي اقتصر على وضع نقط المصحف يقول : « وواصل أن هذه الخطوة أولية في سبيل النحو تتمشى مع قانون الشئ » ثم انتهى إلى رأيته النهائي في هذه المسألة بأن النحو بدأ بالنحوي البصري المقرئ العلامة عبد الله بن أبي إسحاق الحصري المتوفى سنة ١١٧ هـ (٢) .

وقد أخذ برأي أحمد أمين الأستاذ إبراهيم مصطفى الذي يرى أن أبا الأسود م يصب قاعنة نحوية من قواعد النحو ، ولا أصل أصلاً من قواعده وإنما وضع النقط التي تصبط لها أواخر الكلمات بحسب ما تقتضيه السليقة العربية

وقد استدل على رأيه بأن أقدم كتاب في النحو هو كتاب سيبويه الذي كان يحرص كل الحرص على أن يسب كل رأي إلى صاحبه م يمسد قاعنة نحوية لأبي الأسود وتلامذته وإنما هو كثير النقل عن الخليل بن أحمد ، بل إن أكثر الكتاب عنه ، وهو ينقل عن أبي عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، ولكنه لا يتجاوز عبد الله بن أبي إسحاق صاعداً ثم انتهى إلى أن أول من وضع القواعد والأصول هو عبد الله بن أبي إسحاق ، وأن مهمه أبي الأسود الدؤلي لا تتجاوز فقط المصحف بمط الشكول ؛ لأنه من البعد جداً أن يصب أبو الأسود في ذلك العهد العهد العاطف العاغل والمفعول

(١) انظر لفصل في تاريخ النحو ص ٥٢

(٢) صحى الإسلام ٢ ٢٨٥ وما بعدها ، وانظر ترجمته أخبار النحويين البصريين ٤٢ - ٤٥

وطيحات الريدي ٣١ ٣٣ والإبهاء ٢ ٤ ١ ٨

و تتعجب على حين يذكر مصادر « من جمع » عند «هـ» بن أبي إسحاق «هـ»
من عمل النحو و منذ لباس »

« قد ناقش الأستاذ إبراهيم مصطفى بعض « حش » « مه » دكتور عبد
و هب حمودة و دكتور محمد خير الحوي « قد حصل هذا الحساب في
رد على إبراهيم مصطفى باستأنح لآيه

١ - محاولة عبد الله بن أبي إسحاق لا يخرج عن محاولات من «م» كشي
عن سيموا ابن أبي إسحاق ، كبحي بن يعمر ، « عبد الرحمن بن هرم ،
« نصر بن عاصم ، غير أن هؤلاء مد بهم «راء» لا كتب النحو ؛ لأنهم في
أول «مرهم» من «قرأ» حتى بن أبي إسحاق

٢ - أن ابن أبي إسحاق أحد عن ميمون لأفون (ب ١١٧ هـ) «^١ ،
ويحيى بن يعمر ، وعيسى بن معاذ «عيل» (ت نحو ١٠٠ هـ) «^٢ ، ونصر
« عاصم ، هؤلاء بلاميد أبي الأسود ، و سميد يمثل لأساده

٣ - أن في أبي الأسود من لصفات ما يؤهله لوضع النحو

٤ - أن لاغناد على كتب سيبويه وحده في تدبيل ما ذهب به بعض
سبح بعدا عن العممية وعن تحقيق اعرض منه ؛ لأن «سبح» انعمي تصحيح
يقتضي النظر في النحوت النحويه السانفه على سبويه ، وهد غير متحقق لما
لفهد بعض انتراث النحوي ، وخاصة ما أعفه عيسى بن عمر و «نو» جعفر
الرؤسي و يونس بن حبيب والأحفش و لكساني

٥ - أن «مرحلة» التي عاش فيها أبو الأسود كانت مرحلة ابتداء حايه من
الأراء الناصحة التي تصح سفل عند طبقه سبويه و «راء» على « بعض
الكتب قد أشارت إشارات طفيفه إلى «و» هذه مرحله ، ككتاب « معاني
المرآة » للبراء^(٤)

(١) انظر «م» مفصلا في محله كلية الاداب جامعة القاهرة ، العدد العاشر ٢ « ٢٠٠٠ »
أ. من وضع النحوي

(٢) انظر ترجمته ص ٢٣٠ و «باء» الرواة ٢٣٠ ٣٣٨٤

(٣) نصر ترجمته «جاء» النحوي ، البصر ٤ ٢٩ ٢٩ ٣ « و «باء» الرواة
٣ ٣٨١ ٣٨٢ و ترجمه الأبياء ١٥

(٤) انظر محله كلية الاداب جامعة القاهرة ، عدد ٣ « ٢٠٠٠ » ص ٣٣ ٣٤ و مفصل في
« تاريخ النحوي » من سبويه ص ٥٠ - ٥٧

ولعلنا سارع فعول إن لصحيح أن واضح علم الحو هو أبو الأسود
لدؤي ، ويشهد لدث

١ - أن الروايات والمراجع والمصادر لم ينفه تكاد تجمع على وصفه بأنه
وصح الحو ، أو رسم العربية ، سوء كان دث من عند نفسه أو بأمر من علي
بن أبي طالب رضي الله عنه أو بأمر من عمر بن الخطاب ، أو بتشجيع من عند
الله بن عباس رضي الله عنهم ، أو بأمر من زياد ثم إن المؤرخين حتى هاية
المقرن الثالث هجري لم يدكروا إلا أبا الأسود وغيرهم ذكر بعد هد
لتاريخ ، بالإضافة إلى أن رواه الذين سبوا إليه توصع يتصلون به في الرمان
والمكان^(١)

ولعل شهادة ابن السديم أكثر دلالة على ذلك ؛ لما عرف عن الرجل من كثرة
البحث والتفتيش عن الأمور القديمة ، وكثرة الرعة في انتقاء الكتب
وجمعها وذكر أخبارها وأخبار مصنفها ، ومعرفة المتقدمين ، كما أنه ثقة بشهادة
أهل الحديث . فقه أحد عه الإمامان لخليلان المقيهان أحمد بن حنبل ويحيى
بن معين^(٢)

كما شهد به بدث أيضا الباحثون الأجاب قالت لأعابية لا سيحريد
هو مكنه ، « هو من أشهر تجار الكتب ، كما كان من كبار العلماء ، وكان
على جانب عظيم من العلم والمعرفة . فقد حصر بحصر مشهيرة عصره ، كما
تروور معهم وكان على صلة قوية بهم ، وبحضرة الجهات العلمية في عصره ،
وكان صديقا لكثير من العلماء^(٣) »

٢ - ما يسمع به أبو الأسود الدؤلي من الصفات العظيمة التي تؤهله هذا
العمل فقد قال عنه لحافظ : « أبو الأسود معدود في طبقات من لاس ،
وهو بها كلها مقدم ، ماثور عنه الفصل في جميعها كان معدود في التابعين ،
والفقهاء ، والمحدثين ، والشعراء ، والأشراف ، والعلماء ، والأمرء ،
والدهاة ، والحويين^(٤) »

(١) نظر المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه ص ٤٦ وما بعدها

(٢) معجم الأدباء ١٨ ٢٠٤

(٣) فصل العرب على أوربا ، ترجمة مؤاد حسين على ص ٢٩٤

(٤) خزانة الأدب ١ ١٣٦ وانظر اليان والبيان ١ ٣٢٤ والأعالي ٧ ٩٩/٧ معجم الأدباء

١٢ ٣٤ وتاريخ الإسلام سدهي ٣ ٩٦ ونبيه الوعاة ٣ ٢٢

٣ إجماع أكثر الباحثين محدثين عنه فهذا أحمد أمين على الرغم من
شككه السابق فإن بره يفر في موضع آخر أن نسبة لحو إلى أبي الأسود هـ
أساس صحيح قال « ويظهر من أن نسبة لحو إلى أبي الأسود هـ أساس
صحيح ، ودلت أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا
النوع »^(١) ويقول الشيخ محمد الخطاوي « فالذي حده فريدا من
الواقع ، ويرتضيه سطر أن أبا الأسود هو واضع هذا الفن »^(٢) ويقول
الأسد سعيد الأفغاني « من يقرأ بمعاني ترجمته أبي الأسود لدؤي في تاريخ
بين عساكر مثلاً ثم يفكر في توارده أكثر المصادر على جمعه واضع الأساس في
بناء لحو لا يستبعد ذلك ، فارجح دو دكاء بادر وحواف حاصر ونديه
بره »^(٣)

ويقول مصطفى صادق الرافعي إن أول من كتب في أدب صحفه أبو
الأسود لدؤي^(٤)

ويقول حسن الزيات « أجمع مؤرخون أن أبا الأسود لدؤي اسقى منه
٦٩ هـ واضع لحو »^(٥) ولكنه في الوقت نفسه يرى أن أبا الأسود هـ يصعب
من ذات نفسه ، حيث يقول « بما أظن أنه أم بالسريانية ، وقد وضع لحوها
قبل العربية ، وانصل بفسادها » وسوف ندرس هذه تهمته ونناقشها عند
حديثنا عن مصطلح « لفظ »

ونقصد بالوضع هنا وضع الابدو الأولى ونسب السيرة في البناء المتكمن
الذي انتهى في عصور متأخرة وليس مقصود أنه وضع عندما كاملاً ناصح
قرع أصوله ونوع مسائله وأطلق مصطلحاته ؛ لأن المعنوي ككل كائن حصصه
لشوء ولألفاء

(١) صبح الإسلام ٢ ٢٨٠

(٢) نساء النجم ٥٥ يخ أسير النجاء ص ٩

(٣) من تاريخ لحو ص ٢٧

(٤) تاريخ أدب اللغة العربية ٧٧ « نظرنا في أدب اللغة العربية فخرجنا بهذا ١ ٢٢٢

(٥) تاريخ الأدب العربي ، الطبعة السادسة ص ٢

الفصل الثالث

مصطلحات شأه النحو العربى

ترددت في كتب الطبقات وكتب الأدب بعض الاصطلاحات بعين معناه ،
ومن هذه الاصطلاحات لنقط ، والعربية ، وعين لإعراب ، وسمو

أولاً النقطة نقط الإعراب ونقط الإعجام

١ - نقط الإعراب

حاء في الإصانة لاس حجر العسقلاني * نول من وضع العربية ، ونقط
المصاحف أبو الأسود الدؤلي (١) ،

وقد روي أن ريادا (ب سنة ٥٣ هـ) ، وكان وي معوية من أبي سفيان
على البصرة والكوفة ، بعث إلى أبي الأسود الدؤلي وقال له : عمل شيخك بكون
فيه ممة ، وعرب به كتاب الله ، فاستعده من ذلك حتى سمع أبو الأسود يقول
يقرأ (أن الله يرى من المشرقين ورسوله) (٢) بكسر لام (سورة) ،
فقال : ما طيب أن أمر الناس صبار إلى هذا ، فرجع إلى رياد فقال له : أما
أفعل ما أمر به الأمير فيسعي كاتباً لقد يفعل ما أقول * فأتى بكاتب من عبد
لقيس فسم بصره ، فأتى باحر فقال له أبو الأسود : إذا رأيتي قد فحبت
فهي بالحرف فانقط نقطه فوقه فإن صمعت فهي فانقط نقطه فوقه على
أعلاه فإن كسرت فجعل نقطه تحت الحرف فإن أصعب منك من ذلك عه
فاجعل مكان النقطه نقطتين (٣) ،

هذه النقط التي تذكر الروايات هي نقط الإعراب ، وليس نقط الإعجام
التي جاءت متأخرة عن عصر أبي الأسود الدؤلي كما سبق ذلك وقد صطح
العلماء على تسمية هذه النقط باسم * نقط الإعراب * ، أو * نقط الشكل * ،
كما تسمى أيضا * لنقط المنور * وقد جاء في بعض في مادة * شكك * شكك * شكك
عن أبي حاتم السجستاني قوله * شكك انكذب شكك فهو مشكوك إذا
قيده بالإعراب * ، فكان هذه لنقط حتى ٢ تزيل الإيهام والإشكال

فوظيفته هذه النقط التفريق بين الحركات المختلفة في النقط ، وقد كان أبو
الأسود دكاً حين اختار هذه لنقط لسهولة استخدامها وسرعة تحسبها وقد

(١) الإصانة ٢ ٢٤٢

(٢) سورة التوبة ٣

(٣) إصاح الوقف والاسماء ٤ - ٤١ : حكيم لأبي عمرو الذي ٧

أحصى الحركات التي يمكن أن يتحركها الحرف فوجدتها ثلاث يرد على كل منها عمة هي : التسوية ، ثم يطر في الحركات التي يتحركها الهم سحدد صوب كل حركه ، فإد هي الفتاح ، وكسر ، وصم ثم وجد في لاصح كها في أعلى ، وفي الانكسار نجها إلى أسفل ، وأما الهم فوسط بينهما ، ويكون بذلك قد حدد أماكن الحركات على الحروف (١) ، على هذا (موضع عنقه من الحرف أعلاه ، لأن الفتحة مستعمل ، وموضع نكسره منه أسفله ، لأن الكسر مستعمل ، وموضع الصمة منه وسطه ، أو أمامه ، لأن الفتحة لئما حصلت في أعلاه والكسرة في أسفله لأجل استعلاء الفتحة وتسفل الكسر بقي وسطه فصار موضعاً للصمة) (٢).

وقد استعمل أبو الأسود النقط الحمراء حركات الإعراب وقد تحدث الإمام الحافظ ، نقرىء أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت سنة ٤٤٤ هـ) في كتابه «النقط» عن كيفية وضع النقط على الحروف (٣).

ومما يحب التنبه إليه أن أبا الأسود لم يفظ كل كلمات القرآن الكريم ، وإلى اقتصر عمله على الضرورات والمشكلات كما قال ابن سدي (ت ٣٣٤ هـ) فإن عمده يكاد يقتصر على أواخر الكلمات : لأن الإشكال يقع على انتكسار واستدئ على السواء وقد عد ذلك أبو عمرو داني بقوله : «لأنه لو شكل الحرف من أوله إلى آخره لأظم الكتاب» (٤).

وهو بعمده هذا يعد أول من وصف عصب من أعضاء الحهاز الصوتي أعني «الشفتين» عند إخراج هذه الحركات فقد أخذ من وضع الشفتين عند التلطف بها أسماء هذه الحركات بقوله : «إد رأيتني فتحت فمي ، وإذا رأيتني صممت فمي ، وإن كسرت» فقد عثر عن علامات الإعراب بالوصف

(١) انظر أبو الأسود النوي ، على المعدي ماصف ، بشر النفس الأعلى مسؤ ، لإسلاميه سنة ١٩٦٨ م ص ١٦

(٢) انظر لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تحقيق د. عمر حسن ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٧ هـ ١٩٦٦ م ص ٤٢

(٣) مصدر السدي ص ٤٣

(٤) انظر كتاب «النقط» ص ١١ كتاب النقط لأبي عمرو الداني ، تحقيق محمد أحمد ، عمان ١٩٧٠ م ص ١٢٠

بمعوي لکن علامہ ، وہ یقیناً عہد اصلاح ہدی ستقر تحریر میں علی ر
ب لاسود م یکن واضحہ نشت مصطلحات کا پری بعض مباحثیں

وقد أهمل أبو الأسود السكون ، ولم يجمعها ضمن حركات مما جعل بعض علماء بخرج السكون من حركات ومن هؤلاء أبو عمرو بندي ، حيث يقول : « انعدم حركات ثلاث فتحه وكسره وصمه »^(١) وقد عده الشيخ محمد الخصري من حركات عندما قال : « به يوت عن أربع حركات لأصوب عشرة أشياء ، فبوت عن صمه واو ولألف و يوت ، وعن فتحة لألف والكسرة و ياء وحذف يوت ، وعن لكسره بضمه و ياء ، وعن لسكون الحذف »^(٢)

والصحيح أن السكون من حركات ، لأن إعدام الحقيقى صوتى
 يسكون لا يعنى إعدام لوطيقه المعوية ، لأن يسكون عنه إعراب ، كما
 أن الحذف فى الفعل مضارع المجزوم ، كما أن السكون أيضا يمثل علامة من
 علامات البناء فى اللغة العربية^(٤) .

و قد جد عذر لاني الأسود الدؤي ، لأ هبمه كان منصبا على خمر كاب
سي يقع فيها الإشكرك على انتكهم ، سديء

عمل الخليل بن أحمد الصراهيدي

وَمَا تَوْصِلُ الْعَمَاءُ إِلَى الْخَرَجِ بِفَتْحٍ لِإِعْجَامِ حُرُوفِ مُنْشَأَتِهِ فِي رِسْمِهِ
شَبَّهَتْ بِفَتْحِ الْإِعْرَابِ عَلَى الْهَاءِ، وَبَدَأَتْ فَلَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى التَّحْقِيقِ بَيْنَ
عِلَاقَةِ الْإِعْرَابِ وَفَتْحِ الْإِعْجَامِ، فَوَصَلَ خَبِيلُ بْنُ أَحْمَدَ إِلَى حُرُوفِ مُنْشَأَتِهِ
وَسُقِيَتْهُ بَدَلَالُهُ عَلَى الْعِلَاقَاتِ الْإِعْرَابِيَّةِ فَجَعَلَ يَسْجُدُ لَهَا صَغِيرَةً مَطْوُوحَةً
عَلَى الْحُرُوفِ مِنْ تَحْتِهَا إِلَى الْيَسَارِ فَوْقَ حُرُوفِ الْمَحْرُوثِ وَجَعَلَ يَصْنَعُ وَرَاءَ
صَغِيرَةٍ فَوْقَ حُرُوفِ الْمُتَحَرِّكِ وَجَعَلَ تُكْسَرُ بِهَا صَغِيرَةٌ مُرْدُودَةٌ إِلَى حَقِيقِ

۹

(٢) الفصل السابق - فصل ٢

٢٢ حاشیه حضرت علی علیه السلام در بیان این حدیث

(٤) د ماس في عظيم الدعوة ، عظيم الأثر ، د خیر و بر و نفع و فواید بسیار .

FF 2

جاء في الكتاب لسيويه . وورعهم الخليل أن الفتحة و كسره . نصمه
روائد ، وهن يحقق الحرف ليوصل إلى نكسهم به و ، هو ساكن ، ي
لا ريدة به والفتحة من الأنف ، ونكسرة من جاء ، نصمه من جز
فكر و حده شيء مما ذكرت لك ، (٢)

ولكن الكسرة نظورت فقد كانت في الأصل ياء صغيرة كما مر ، ثم احتضرت كتابتها^(١) .

وقد اخترع الخليل أيضا علامات أخرى غير علامات أبي الأسود بدولي .
مثل علامات الهمز والتشديد والروم والإشمام^(٥) وجعل على الحروف المشددة
ثلاث أسنان حرف الشين^(٦) مأخوذة من أول كلمة (شديد) وجعل الهمز
رأس عين ، هكذا (ء) ، وذلك لقرب الهمزة من العين في المخرج^(٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب ٢٤٣

نظر همامش الكتاب ٤ ٢٤٢

رحمة الله عليه

محمّد بن عبد الله

نقد العاين ٧

الحمد لله رب العالمين

وقد أحصى لعشاء ما يتكرره الخليل من علامات في عشر علامات هي

- ١ - لفتح (-) ، ٢ - تكسره () ، ٣ - نصحته (-) ،
 - ٤ - الشدة (-) ، ٥ - السكون ، رأس حاء مأخوذ من (حميف) ،
 - هكذا (-) ، ثم تطورت إلى ن نصحت صغرى ، ٦ - المله (-) ،
 - وهي مم صغيرة مع جزء من الدال ، ٧ - نصحته ، أي حركة ألف موصلة ،
 - وهي غيره عن رأس صاد ، هكذا (-) نوصته فوق الألف ، ٨ - همزة
- علامة

وقد كتب هذا العمل الثبوت والاستمرار إلى يومنا هذا ، ولم يدخل عليه
سوى محسبات قليلة ابتدعها الخطاطون لاكتساب الخط العربي جملاً ، غير أن
الخليل بن أحمد حين اخترع هذه العلامات لم يستعمل إلا في كتب الأدب
وانعته دون القرآن الكريم ، ثم امتثلت حيرة في القرآن الكريم ، وبما فعل
الخليل ذلك اتقاء لتهمة البدعة في الدين^(١)

(١) راجع جدول هذه المسائل تاريخ مصحف الدار شيخ عبد الفتاح العاصي ص ٩٠ وحياء
المنع العربي ص ٩٥ وما بعده

آراء المحدثين

ذهب طائفة من الباحثين المحدثين إلى أن أبا الأسود الدؤلي حين وضع مبادئ القواعد النحوية عن طريق القبط كان متأثراً بالسرياني ، ومن هؤلاء الباحثين مصطفى السقا ، والدكتور حسن عوف ، وسراييل ولغسون فقد علق مصطفى السقا على « المصحف الذي كشف في مسجد عمرو بن العاص بالقسطنطينية في مصر ، والموجود حالياً في دار الكتب المصرية ، وهذا المصحف ضبط بواسطة القبط بمئات أحرار حتى لا يزل الكاتب — عنى عليه فقال « ولا يسعد أن يكون أبو الأسود باطلاً في هذا السريانية ؛ لأن كتاب ضبط حركات الإعراب بالنقط »^(١) وقد جرى د حسن عوف « السقا » ، حيث يرى أن أبا الأسود اتصل بالسريانيين وتعلم منهم السريانية^(٢) ، على حين يذكر إسرائيل ولغسون أن اليهود في القديم كانوا يضبطون بعض الحروف بالحركات الإعرابية^(٣) ومن الباحثين من يذهب إلى أبعد من هذا ، فيرى أن الخليل بن أحمد اتصل برجال الثقافة من السريانيين فترجموا له مصطلحات علم النحو^(٤)

وقد وقف طائفة من الباحثين لمناقشة هذه الآراء ، وعلى رأس هؤلاء الدكتور مهدي الخرومي ، والدكتور عبد الفتاح شبي ، فقد أثبت الأول أن السريانيين هم الذين استعادوا من أبي الأسود . واستدل على ذلك بما مرأه في كتاب « المفصل في تاريخ قواعد اللغة السريانية » حيث يذكر صاحب هذا الكتاب أن السريانيين استعانوا بالنقط حوالي سنة ٧٠٠ ، على حين أن الأسود قد مرع من اختراعه للنقط برمس طويل ، لأن نقطه كان في أيام ولايه رباد على العراق ، وكان والياً عليه ما بين ٤٩ — ٥٣ هـ ، ويعاينها في التاريخ الميلادي (٦٧٠ — ٦٧٤ م)^(٥) علماً أن أبا الأسود توفي سنة ٦٩ هـ أي سنة ٦٨٨ أو ٦٨٩ ميلادية

(١) انظر ... في اللغة العربية ، أحمد عبد العصور عطار ص ٦٤ ٦٥

(٢) اللغة والنحو ، د حسن عوف ص ٢٤٨

(٣) تاريخ لغات سامية ص ٣

(٤) محمد الأديب ح ٨ لعام ١٩٥٨

(٥) بل نعله (٦٦٩ - ٦٧ - ٦٧٢ - ٦٧٣ م) انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مسجده

مهدي الخرومي ص ٦٤ وفي قواعد اللغة السريانية محمد الإبراهيمي و ح ٦ ص ٦

وأما الثاني فيسمى إمام أبي الأسود بالسريانية لأسباب منها

- ١ — لم يذكر أحد من الرواة مع تفصيلهم لأوصافه أنه كان مُلمًّا بالسريانية
- ٢ — أن عمية الصبغ بالنقط عملية يسيرة في فكرها وصورها ، فلا توجب مساءلة ولا متعانه ؛ لأن عمية النقط من العمليات التي نتجها إتيه الدهر في هذا المقام (١)

وريادة على ما سلف فإن صفة العرب بالأعاجم كانت ما برز منه الغالب معلوم في عصر أبي الأسود ، ثم إن أبا الأسود أعظم من أن يأخذ من أعجمي ويخلص منه مجلس التلميد من الأستاذ (٢)

٢ — نقط الإعجام

بعد نقط المصحف نقط إعجام المرحلة الثالثة في المحافظة على القرآن الكريم من التصحيف والتحرif والنحس فإن المرحلة الأولى تمثل في جمع القرآن الكريم ، والثانية تمثل في التوصل إلى القواعد النحوية التي كان لها الأثر العظيم في بحارة النحس في آياته الكريمة وقد عرفت النحائي الإعجام بقوله : « غير الحروف المتشابهة بوضع النقاط لمنع النحس » (٣) فهدفه حماية القرآن الكريم من التصحيف ، وبخاصة في الحروف المتشابهة ، كالهاء والناء والشاء ، والحاء والحاء ، الدال والذال ، والسين والشين

وتذكر الروايات أن الذي نذب إلى ذلك الخجاج بن يوسف بأمر من عبد الملك بن مروان وقد احتلقت الروايات في مسند إسه هذا العمل فمن قائل إنه نصر بن عاصم ، ومن قائل إنه يحيى بن يعمر (٤) ومن قائل إنه الحسن المصري (٥) وكان نصر بن عاصم يسمى نصر الحروف (٦) والخليفة أن هؤلاء الثلاثة قد اشركوا في هذا العمل الجليل (٧)

(١) أبو علي الفارسي ، د عبد الغناح سبي ، ص ٣٤٦ و بعد

(٢) أبو الأسود المؤي علي السجدي ناصف ، ص ٣٢

(٣) تاريخ القرآن ندر نحائي ص ٦٧

(٤) المحكم ص ٥ ، ٦ مقدمتنا في علوم الفم - سر أرتو حمري الدهر ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م ص ٢٦٦

(٥) صيفان نصر محمد بن يحيى ٢ ٣٨

(٦) مقدمتنا في علوم الفم ص ٢٧ ، ٢٨ في علوم الفم ٢٥

(٧) نصر القرآن الكريم ، أبو في يد باب نحوية عبد عبد - مكرم ، ص ٣٨

وقد تحدث أبو أحمد الخس بن عبد الله العسكري (ب ٣٨٢ هـ) عن ذلك فقال : « وقد روي في نقط مصاحف أن أساس عمرو ، يروون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه بيها وأربعين سه بن أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعرف ، فصرع الحجاج بن يوسف بن كتابه ، وسأهم أن يصنع هذه الحروف تشبهة علامات ، فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك ، فوضع نقط أفراداً وأرواحاً ، وحالف بين أماكنها ، فعب الناس بذلك ، وما لا يكتبون إلا منوطاً »^(١)

وقد مرهوا بين نقط الإعراب التي اخترعها أبو الأسود ، ونقط الإعجام بأن جعلوا نقط الإعراب نقطا حمراء ، وأما نقط الإعجام فجعلوها من نفس مداد كلمات القرآن الكريم . وهذا يظهر الفرق بين نقط الإعراب التي وضعها أبو الأسود ، ونقط الإعجام التي وضعها نصر بن عاصم ، على أصح الروايات . فنقط الإعجام نقط الحروف في دوائها للتفريق بين المتشابهة منها في الرسم وهذا النقط هو الذي حل إلى يومنا هذا ، سواء كان في المصحف أم في غيره . وأما نقط الإعراب فهو نقط الحروف لتفريق بين الحركات المختلفة في النطق فهو يتم مع الأول في التسمية ، ويختلف عنه في الوظيفة والنوع . وقد انتهى العمل به في العصور المتأخرة ، واستعملت العلامات التي توصل إليها الخليل بن أحمد^(٢)

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف العسكري ص ١٣ ، وبعث الأعيان ١ ص ٢٥

(٢) نظر حياة اللغة العربية ، ج ١ ص ٦٦ وما بعدها

علي بن أبي طالب عرييه^(١) ، وما قاله أيب بن حجر عسقلاني في إصابه
من قوله «أون من صبط المصحف ووضع عرييه أون الأسود»^(٢)

ولما جاءت الطبقة ثلثه والثالثه من البصريين تطور مفهوم «عرييه»
فصار يشمل كل لدرسات اللغوية من نحويه ونصريه وصوبيه وما يتعلق
بها ومن ذلك ما نقله أون نوفل عدد ١١١١ بن نوفل المدني قال سمعت أبي
يحيى بن عمرو بن العلاء «أخبرني عما وضعته مما سمعته عرييه أيدخل فيها
كلام عرب كنه؟» فقال «لا»، فقلت «كف تصنع فيما جاشت
فيه العرب، وهم حجة؟» قال «أعمل على الأكثر، وأسمي ما أحصي
لعاب»^(٣)

ومنه ما نقله لأصمعي (ت ٢١٦ هـ) عن أمير المؤمنين في الحديث،
عام النصره شعبه من بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) قال «كنت أختلف إلى
أبي عقرب فأسأله عن الفقه، ويسأله أبو عمرو عن العربية، فقوم وأنا
لا أحفظ حرف مما سأله، ولا يحفظ حرفاً مما سأله»^(٤) وما قاله أيب
اللغوي الحوي البصري أبو عبد الرحمن يوسف بن حب
(ت ١٨٢ هـ)^(٥) «لو كان أحد يسعي أن يؤحد بقوله كنه في شيء واحد
كان يسعي بقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤحد كله»^(٦)

وقد أخذ سيبويه هذا المصطلح في كتابه حيث يقول «هذا باب ما انكم
من العربية»^(٧) فكتاب الذي يعد أون مؤلف في النحو العربي يشمل كل
لدرسات اللغوية، حيث شملت مباحثه الأصوات والأسية والنركب فهو
يمثل النحو مدلوله لو سع الذي يشمل البحوث النحوية والصرفية والاشتقاقية
وفقه النحوي والبلاغة (البيان والمعاني والبديع)، كما فيه بحوث في المعانيات،

(١) أخبار الحويين البصريين ص ٣٤

(٢) الإصابه ٢ ٢٤٢

(٣) طبقات الربيدي ص ٣٩

(٤) نصير نفسه ٣ ٣٧

(٥) انظر ترجمته أخبار الحويين البصريين ٥١ ٥٤، طبقات الربيدي ٥ ٥٣، وبيان الرد،

٧٤ ٧١ وبعده النعمه ٢ ٣٦٥، الأعلام ٨ ٢٦

(٦) طبقات الحويين السمره ٥

(٧) الكتاب ٢

« في سحويد ، وفي نعروض ، وعوت في نهجوت ، وما يرتب على اختلافها من . »

وهذا مفهوم شامل لعربية ، والمفهوم الشامل سحره ظل مسرماً به عند سحره الخلفين لسيبويه ، من أمثال مرد في « مقتضب » ، ومن أسرار في « لأصول في اسحو » ، والرمحشري في « المفصل » ، وظل سائداً إلى عصر سحره ، فابن مالك في لألفيه قد لزم هذا المفهوم فاشتمل لألفيه على سحوت سحويه وانتصريفة

وأقدم تعريف لسحو طلق هذه الصورة اشموه بند من السحوي هو تعريف أبي عنتح عثمان بن حني الموصلي (ت ٢٩٢ هـ)^(١) في الخصائص ، حيث يقول : « هو شدة سميت كلام العرب في نصرته من إعراب وغيره كانتنة وجمع والتحقيق والتكسير والإصافه والنسب والتركت وغير ذلك ، فيحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في امصاحه فيطو بها وإن لم يكن منهم ، وبشده بعضهم عنها رد به إليهم »^(٢) وهذه لصورة اشامة عربية ولسحو حري في كتابه « الخصائص »

وقد أبان عن ذلك أبو العرفان محمد بن علي لصان المصري (ت ١٢٠٠ هـ)^(٣) عند تعليقه على تعريف نور الدين علي بن محمد لأشموي (ت ٩٠٠ هـ)^(٤) لسحو لذي أحده من أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد ، المعروف بابن عصفور الإشبيلي (٦٠٣ هـ)^(٥) حين قال لأشموي : « المراد بالسحو هو ما يرادف قول عثم العربية ، لا قسم لصرف » ، فقد الصان : « هذا اصطلاح لقدماء »^(٦)

ولكن بعض المأخرين من اتجاه صيغو حدود اسحو في تعريقاتهم حين فسروه على أواخر الكلام إعراباً وباء ، ودبت بتخصيصه بقي إعراب

١ نظر لرحمة إبياد الرواة ٢ ٢٣٥ ٢٤٢ وبعبه وعاء ٢ ٢٢

٢ الخصائص ٣٤

٣ نظر لرحمة هديه العارف ٢ ٢٤٩

٤ نظر لرحمة هديه العارف ٢ ٢٤٩ ، كشف الظن ٥٣

٥ هم لرحمة بعبه المغة ٢ ٢١

٦ حاشية الصان ١٦

والساء ، وعرفوه بقولهم « إنه علم يبحث فيه عن أحوال انكسار إعراب
وباء »^(١) وهذا التعريف الذي يقصر وظيفة النحو على الإعراب وباء
لا يعبر تعبير صادقاً عن كتب النحو المتأخرة لسي تحاور أحكام الإعراب
والبناء واشتملت على ما حدث في حذف وذكر ، والتقدم والتأخر والتعريف
والتكثير ، والتذكير والتأنيث ، والتثنية والجمع ، والتصغير ، والتبسيط ،
وأحكام أهمه والإعلال والإبدال

ثالثاً علم الإعراب

وأما مصطلح علم الإعراب فقد كان له مفهومان

أولهما مفهوم يسبق نشأة النحو العربي ، وهو فيه بمعنى اتحداً سبيل
العرب في الكلام والإبابة ، أو بمعنى تحقيق إعراب الكلام حال القراءة وهو
ما يفهم من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسيد « وليعلمن أني لأسود
أهل لصرة الإعراب »^(٢) ، ومن قول مالك بن أنس رضي الله عنه
« الإعراب حلي انسان فلا تتمعوا ألسكم حائلاً »^(٣) ، ومن قول عمر بن
الخطاب أيضاً « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه »^(٤)

فهذه الأقوال إنما تنحج إلى معنى الإعراب المعوي الذي هو بمعنى « الإبابة
والتوضيح والإفصاح عن الشيء »^(٥) أو أن مراد من « إعراب القرآن » في
قوله عمر بن الخطاب بيان حاله وحرامه ، بمعنى تعرفوه ما فيه من حلال
فأعملوا به ، وعلى ما فيه من حرام فتجنبوه^(٦) وقد كان الصحابة رضي الله
عنه يسمون فهم التعريف إعراب القرآن ، لأنهم يستنبطون معانيه^(٧)

(١) نسخة ١ ١٦

(٢) رواية ١ ١٦

(٣) طبقات الربيعي ص ١٣

(٤) إفصاح الوقف والابتداء ١ ٣٥

(٥) نظر مادة (عرب) في النساخ والفاموس محيط

(٦) نظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات نحوية ص ٢٦

(٧) نظر إعراب القرآن تراجمي ص ٧٥

وأما المصطلح الثاني للإعراب الذي جاء بعد تشدّد نحو فامر د به ما يردف
 نحو وقد ورد كثيرا بهذا المعنى في كثير من كتب طبقات و الأدب جاء
 في لوساطه لمعاصري أبي الحسن علي بن عبد العزيز خراساني (ت ٢٩٢ هـ)
 أن حصوم ينسب أحد رجلي « إما نحوي معوي لا بصر له بصاعه شعر ،
 أو معوي مدقق لا عدم له بالإعراب ، ولا بصر له في أسفه » فقد ذكر
 مع معترض الأول « لنحو » ، ومع المعترض الثاني « عدم الإعراب » ، ثم
 يفهم أنهم عده معنى واحد وقد عمل أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق
 الرحاحي (٣٤٠ هـ) بسمية لنحو ب (الإعراب) بقوله « ب نحوين ما
 رؤوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني وتبين عنها سموات
 إعراب ، أي ساء ، وكأن السبب بها يكون ، كما يسمى الشيء باسم لشيء به
 كان يشبهه ، أو محاورا له » (٢)

وقد جاء مصطلح « عدم الإعراب » بمعنى نحو في شرح لمفصل موفق
 لدين أبي الفاء يعيش بن علي بن يعيش لنحوي نوصلي ثم الحسيني
 (ت ٦٤٣ هـ) (٣) ، حيث قال « ويروى ، ويعني الفقهاء ، الكلام في
 معظم أبواب أصول الفقه ومسائله مبني على عدم الإعراب » (٤) بل قد سمي أبو
 الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) كتابه « سر صناعة الإعراب » ، مع أن
 لكتاب ينحدث عن الحروف والأصوات في كثير مباحثه وسمي أبو محمد
 جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام لأصري نحوي بصري
 (ت ٧٦١ هـ) (٥) كتابه « معني البيت عن كتب الأعريب » وقد جاء
 بهذا المصطلح ، أو بهذه التسمية مؤلفو كتب « عرب القرآن الكريم » ، مثل
 « عرب القرآن » لأبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن السحاس
 (ت ٣٣٨ هـ) (٦) و « مشكل عرب القرآن » لأبي محمد مكّي بن أبي

(١) المساحة ص ٤٣٢ ، ٤٣٨

(٢) الإيضاح في علم النحو ص ٩١

(٣) نظر لرحمة ربه نوعاه ٢ - ٢٥ - ٣٥٢ و سير علامه سبأ ٢٣ ٤٤ ٤٧ ٤٨

الرواه ٤٥ ٥

(٤) شرح مفصل ١٨

(٥) نظر لرحمة ربه أنواعه ٢ ٦٧ - ٧٠

(٦) نظر لرحمة ربه الرواه ١ ١٣٦ - ١٣٩ و ربه نوعاه ٣٦٢ و الأعلام ١٨٢ و مقدمه

لحق الإعراب لقر ٩ ٣٢

صاحب حموش القيسي اللعوي المقرئ القير في سمرقند لمرطبي
(ب ٤٣٧ هـ) (١) ، و « إعراب القرآن » المسبوق في الرحاح

رابعاً : السحو

وأشهر المصطلحات على هذا العلم مصطلح « السحو » ، قد ذكرت
الروايات في نشأة السحو أن التسمية جاءت من قول علي بن أبي طالب رضي الله
عنه عندما عرض على أبي الأسود ما استنبطه من أسس هذا علم وهو له
« اخ هذا السحو » ، أو من قوله حين عرض عليه أبو الأسود ما هتدى إليه
فقال « ما أحسن هذا السحو الذي يحوته » (٢) فيكون هذا المعنى مأخوذاً
من المعنى اللعوي لسحو الذي هو بمعنى القصد قال أبو منصور محمد بن
أحمد بن الأبرار الأبراري (ت ٣٧٠ هـ) (٣) في كتابه تهذيب اللغة « قال
الليث (أي الليث بن المظفر بن نصر بن الحراسي تلميذ الخليل وراوي كتاب
العين عنه) (٤) : السحو : القصد نحو الشيء » (٥)

وذكر بعض الباحثين المحدثين أن التسمية جاءت من استعمال المؤدبين
والمقرئين ، حيث كانوا يستخدمون كلمة (سحو) ليدنووا بها على طريقته تعريته
في عبارة ما ، كأن يقال مثلاً : العرب تسحو في هذا كذا ، وسحو العرب في هذا
كذا ، أو يُسأل : كيف تسحو العرب في هذا ؟ أو من قولهم : فلان يسحو في
كلامه نحو العرب ، فانتقل المعنى اللعوي المعجمي إلى المعنى الاصطلاحي

وما ذكره الباحث صحيح ، ويدل على ذلك تعريف ابن حني السابق ،
الذي يعد أول تعريف شامل للسحو ، حيث قال « هو انحاء سميت كلام
العرب في تصرفه من إعراب وغيره » (٦)

(١) انظر لترجمته إنباء الرواة ٣ ٣١٣ ٣١٩ وبعيد الوعاء ٢ ٢٩٨ ، مقدمته بحسب مشكل إعراب
القرآن ١ ١٠ ٢٥

(٢) انظر لإيضاح في عدل السحو للرجائي ص ٨٩ وزهة الألباء ص ٦ ووجبات الاعيان ٢ ٣١٦

(٣) انظر لترجمته سير أعلام النبلاء ١٦ ٣١٥ - ٣١٧ وبعيد الوعاء ١ ٩ - ٢

(٤) انظر لمرجه مقدمته تهذيب اللغة ٤٣ - ٤٤ وإنباء الرواة ٣ ٤٢ - ٤٣

(٥) تهذيب اللغة ، مادة (سحو) ، وانظر للإيضاح في عدل السحو ص ٨٩

(٦) خصائص ١ ٣٤

وم يذكر كتب الرويات في شأنه سحور ر ل لأسود بدؤني أو أحد
تلاميذه قد سمعوا هذا المصطلح ، اعني « سحور » التسمية بالسحور
جاءت بعد عصر بني لأسود لأنهم « سحور » صفة شاع من المصريين^(١)
فقد جاء هذا المصطلح على لسان عبد الله بن أبي إسحاق خضرمي
(ب ١١٧ هـ)^(٢) حيث سأله بمصداق يونس بن حبيب قال « هل يقول
أحد الصويق بمعنى الصويق ؟ » قال « نعم ، عمره بن كند يقولها ،
وما يريد إلى هذا ؟ » قلت « يا أبا من السحور يطرد » فقال «^(٣)

وقد شاعت هذه التسمية بعد زمن عبد الله بن أبي إسحاق وعلم على
السمات الأخرى ، وهي « تعريه » ، « عم الإعراب » فرددت على
ألسنة اسحاق واللعوين ، وفي أسماء الكتب السحوية ، كالأصوار في سحر لابس
السراج ، وإيضاح في علم السحر سراجي ، ولأشبهه : يطائر في سحر
للسيوطي

(١) سقاء السحر عند الصفاة ص ٢٤

(٢) انظر ترجمته في حبر السحور البصري ص ٢٠٠ ، صفاة ص ٢٢ ، لا .

٢٢ ٢٥ ورسالة رقم ٢٥ ٤

(٣) طبقات البريدي ص ٢٢

الباب الثاني

مراحل الدرس النحوي

الفصل الأول	مرحلة اوضح و تأسيس
الفصل الثاني	مرحلة نمو والإبداع
الفصل الثالث	مرحلة لتوضيح والاكتمال
الفصل الرابع	مرحلة استرجاع والاحياء والاجتهاد

الفصل الأول

مرحلة الوضع والتأسيس

بدأ هذه مرحلة أبي الأسود الدؤلي (ت ٢٩ هـ) وعنه بن عبد
 خليل بن أحمد السجستاني (ت ١١٦ هـ) وقد ساءت ٥٠٠ هـ في هذه
 مدينة بصره دون كوفة، وذلك لانشغال كوفة بمرءة ٥٠٠ هـ في الأسير
 والأجبار.

وقد نبه العلماء على قدمه بصره في العهد السعدي العربي يقول بن سلام
 الحمصي (ت ٢٣١) — كما مر سابقا — «كان أهل بصره في هذه
 فدمة، وبسحو وعاب العرب عليه»^(١) كما ذكر أبو عرج محمد بن
 إسحاق بن عمار في سعد بن (ت نحو ٣٨٥ هـ) عنه عده بصره بن علي
 كوفي في كتابه «المهرست» بقوله «... في فدم بصره»^(٢) لأن علم
 العربية عندهم أحد^(٣)

وقد وجد في هذه مرحلة طيف من اسما بصرين

لطفة الأولى

وتنمئذ في أبي الأسود الدؤلي وعلامته ويمكن أن نسمي مرحلة هذه
 طيفه من مرحل شأه السحو و مرحلة لولاده «و» مرحلة ليدور لأوى «
 بدرس السحو وقبل الحديث عن مسجع هذه المرحلة وما أضافه من
 دراسات لغوية ونحوية فإنه لا بد من تعيين راجع هذه المرحلة، حيث ذكرت
 كتب التراجم والطبقات والأدب راجع هذه طيفه بدين بسمو على شيوخهم
 أبي الأسود الدؤلي

فقد ذكر السير في أخبار السحوين بصرين بعض راجع هذه المرحلة -
 وذكر منهم يحيى بن يعمر، وعيسى بن معد، وقيل، ومحمود لأقر، وبصر
 بن عاصم^(٤)

(١) طبقات السحو - سمرقند ٢

(٢) فهرست ص ٢

(٣) أخبار السحوين البصريين ص ٤ : طبقات السحوين ص

كما ذكرت بعض المصادر من تلامذته أثبت عطاء^(١) وأبا حرب^(٢) والقصبه
 لبحوي المصري أبا نوهل بن أبي عقرب معاوية بن عمرو الدبلي^(٣) ،
 ومحدث والمفسر المصري قتادة بن دعامة السدوسي (ب ١١٨ هـ)^(٤)
 وسعد بن شداد الكوفي المعروف بالرأية^(٥) وحرّ بن عبد الرحمن البجلي
 الفارسي الذي طلب إعراب القرآن أربعين سنة عن أبي الأسود الدؤلي^(٦)
 وقد نقل عنه ابن جني قراءتين^(٧)

وهذا يكون رجال هذه المرحلة علما أبا الأسود الدؤلي هم :

- ١ — نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ)
- ٢ — عبيدة بن معاذ الفيل (ت حوالي المائة من الهجرة)
- ٣ — أبو حرب بن أبي الأسود الدؤلي (ب ١٠٩ هـ) .
- ٤ — عبد الرحمن بن هرم (ت ١١٧)
- ٥ — ميمون الأقرن (ب ١١٧ هـ)
- ٦ — قتادة بن دعامة السدوسي المحدث المفسر المصري (ب ١١٨ هـ)
- ٧ — يحيى بن يعمر العلواني (ت ١٢٩ هـ)
- ٨ — عطاء بن أبي الأسود الدؤلي
- ٩ — سعد بن شداد الكوفي المعروف بالرأية
- ١٠ — أبو نوهل بن أبي عقرب ، معاوية بن عمرو الدبلي
- ١١ — حرّ بن عبد الرحمن

(١) انظر مراتب البصريين ص ٣ ، و نظر لترجمته إنباء الرواة ٢ / ٣٨٠ ونظيره ابن مكرم
 ١٨١

(٢) انظر روضات الجنات لنحواسلوي ص ٣٤٤

(٣) إنباء الرواة ٢ / ٣٨٢ + نظر لترجمته طبقات الريدي ٣١ وإنباء الرواة ٤ / ١٨٥

(٤) انظر الإنباء ٢ / ٣٨٢ و نظر لترجمته سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٩

(٥) معية الوعاة ١ / ٣٨٢

(٦) معية الوعاة ١ / ٤٩٣

(٧) انظر المحاسب ١ / ١٧٧ ، ٢ / ٩٤

مهبج رجال هذه الطبقة

وخير ما يوصف به هذه المرحلة في الدرس الحوي أنها تعتمد على إلهام
والملاحظات في إعراب الكلمات ، حيث كان اهتمامهم بحربه بحث في د
المرن الكرم ، وذلك باختراع الحركات الإعرابية من خلال « نطق » ،
ما يسمى بـ (نطق الإعراب) على يد أستاذ هذه المرحلة أبي الأسود الدؤلي
ومحاربه التصحيف بابتكار نطق الإعجام المنفردة بين الحروف المتساوية على يد
نصر بن عاصم ، كما ذكرنا ذلك فيما سلف

فلم يذكر الروايات أن هم نشاطاً نحويّاً نظريّاً . ولم يصب شيء من لأر
الحوية مسبوياً لأبي الأسود الدؤلي أو لتلميذ من تلامذته .
والنصوص الحوية التي بين أيدينا نقرأها أنه « يكن قبل عبد الله بن أبي إسحاق
شيء من البحث الحوي ؛ لأنّ الذين كانوا قبله قراء يروون القرآن ، قرأه
وما قبل من أمر الصحفة المسبوقة إلى أبي الأسود ، وما تذكره بعض روايات
من وجود مصطلحات نحوية لديها شيء لا أساس له من الصحة . وبعد حد
أن تصح هذه المصطلحات بهذا التصح في هذا العهد المبكر

بل إن بعض المصادر التي تعرض لطبقات النحاة ورجالهم لم تذكر أن الأسود
الدؤلي وتلامذته من النحاة . ومن هذه المصادر كتاب « المعارف » عبد الله
مسلم بن قتيبة (ت ٢٩٦ هـ) ، الذي لم يذكر أن الأسود ولا تلامذته حتى
عدّ رجال النحو وطبقاته . وإنما بدأ بعد الله بن أبي إسحاق الحصري ، وأبي
عمرو بن العلاء^(١) وبعض المصادر تكتمني بعث رجال هذه الطبقة بنصري ،
كعبد الرحمن ابن هرم ، ونصر بن عاصم ، وأبي حرب بن أبي الأسود
الفهطي عن عبد الرحمن بن هرم . إنه أخذ عن نافع بن نعم مديني
(ت ١٦٩ هـ) القراءة في جماعة من أهل المدينة ، وأنه أخذ القراءه عن عبد
الله بن عباس وأبي هريرة^(٢) . وقال عن نصر بن عاصم : « إنه من قصد
الناس طريقاً في القراءه » ، و « إنه أخذ القراء والعصحاء »^(٣) ، عدّ أبو خنير

(١) انظر بحث « وضع علم النحو » محمد أسد ، عنه اصبح العلمي دمشق ١٩٣٦ هـ
١٩٣٦ هـ ص ٢٧٥

(٢) المعارف ٢١٣ ، ٢٧٦

(٣) إنبه الرواة ١٧٢/٢ ١٧٢

(٤) المصدر عنه ٢٤٢/٢

محمد بن محمد بن الحرري (ب ٨٣٣ هـ) في كتابه عديه بهيه في صمد
نقرأ أن حرب بن أبي الأسود من لقرء ، وذكر أنه قرأ على أبيه ، وقر عنه
خمران بن عيسى^(١)

وما نسب إليهم من بعض المسائل النحوية في الإعراب والإفراء فهي
محدوطة ذهبية مبنية على أساليب النحوية لا يمكن أن يظن أنها عوث
نحوية حاصلة . ومن ذلك المساجفة التي وقعت بين أبي الأسود الدؤلي وأخواته
من بني قشير ، فقد كان أبو الأسود يرون فهم بصرة ، ولكنه على خلاف
معهن في بعض الرئي ، فكانوا عثية ، وهو من شيعه علي رضي الله عنه
فكانوا يؤدونه فهاهم ورد عليهم بقوله^(٢)

يقول الأزدون بنو قشير طوبى المذهر لا تسي علك
هلبهم وكيف يكون ركي من الأعمال ما يحدي عليا
أحب محمد حنا شديدا وعاسا وحمرة والوصيا

إلى أن قال

يو عثم الشبي وأفرجوه أحب الناس كلهم إلي
فإن يك حبههم رشدا صيه ولست أعطيء إن كان عيا

فكانوا شككت يا أبا الأسود في قولك « فإن يك حبههم » ، فقال « أم
سمعت قول الله تعالى « وإن أو إياكم لعل هدى أو في ضلال مبين »^(٣)
لا يمكن أن تصف هذه المساجفة من بين المسائل النحوية التي تحسب لأبي
الأسود الدؤلي ، وإن عدها بعض الباحثين كذلك^(٤)

ومن ذلك ما ذكرته بعض الروايات من أن الخجاج بن يوسف قال يحيى
بن يعمر أتسمعني الحسن علي لمبر ؟ قال الأمير أفصح من ذلك فأبح
عليه ، فقال حرفا ، قال آيا ؟ قال في العرا فان الخجاج ذلك شمع
له ، ما هو ؟ قال تقول « هل إن كان أبؤكم وأبؤكم » إلى قوله « أحب

(١) طبقات الفراء ١ ٢٦٦ ونظر أيضا سير أعلام النبلاء ٤ ٨٢

(٢) ديوان أبي الأسود ١٧٦ ١٧٩ وإليه يرواه ١ ٥٢

(٣) سورة مائدة ٢٤ ونظر تفصيل في تفسير ابن كثير ١ ١١٥ ونظراني ٢ ٢٣٥ ٢٣٦

(٤) نظر ميبويه في النحاة للأستاذ علي سجدى ناصف ص ١٣٩ ومدرسة بصرة نحوية

عبد الرحمن السيد ص ٥٨

إلحكم^{٢٤} ، تفرؤها برفع^{٢٥} ، لا حرم^{٢٦} لا سمع^{٢٧} في حد^{٢٨} ، وأخفه
حر^{٢٩} ، ووجه^{٣٠} نقرأ^{٣١} بالنصب^{٣٢} خير^{٣٣} (كان)

ومن ذلك أيضاً ما تنعده عبد الرحمن بن هرم عن أبي حنيفة^{٣٤} بن يعمر في قراءة
(حكم^{٣٥}) برفع من قوله تعالى : أفحكم^{٣٦} خدشه يعون^{٣٧} ، فقال عبد
الرحمن بن هرم : لا أعرف في العربية (أفحكم^{٣٨}) ، وقرأ^{٣٩} بالنصب^{٤٠}
كما ورد أنه تخاصم^{٤١} رجال^{٤٢} عنده فقال أحدهم : صحت^{٤٣} لله^{٤٤} به^{٤٥} يعني علام^{٤٦}
يثافاً^{٤٧} فقال يحيى^{٤٨} وقتب^{٤٩} أبو^{٥٠} ما^{٥١} كان^{٥٢} عنيت^{٥٣}

ومن هذه المناقشات ما ذكره أبو بكر محمد بن الحسن الرسدي الأندلسي
(ت ٣٧٩ هـ) في كتابه : طبقات^{٥٤} السعويين^{٥٥} والنجويين^{٥٦} ، وأورد أبو الحسن
علي بن يوسف القفطي^{٥٧} (ت ٦٢٤ هـ) عن حاتم^{٥٨} أنه قال : سأت^{٥٩}
نصر^{٦٠} بن عاصم^{٦١} كيف^{٦٢} نقرأ^{٦٣} : هل هو الله^{٦٤} أحد^{٦٥} لله^{٦٦} أصمد^{٦٧} ، فسم^{٦٨} يتون^{٦٩}
فأحبرته^{٧٠} أن^{٧١} عروة^{٧٢} بن^{٧٣} الربيع^{٧٤} بن^{٧٥} يعوم^{٧٦} (ت ٩٤ هـ) يتون^{٧٧} ، فقال^{٧٨} بش^{٧٩}
ما^{٨٠} قال^{٨١} ، وهو^{٨٢} للنس^{٨٣} أهل^{٨٤} قال^{٨٥} فأحبرت^{٨٦} عبد^{٨٧} الله^{٨٨} بن^{٨٩} أبي^{٩٠} إسحق^{٩١} عن^{٩٢} قول^{٩٣}
نصر^{٩٤} بن^{٩٥} عاصم^{٩٦} ، فما^{٩٧} ر^{٩٨} ل^{٩٩} يقرأ^{١٠٠} حتى^{١٠١} مات^{١٠٢} (١٠٣)

فهذه المناقشات لا تخرج عن كونها ملحوظات ذهنية سعادها لإعراب
والإقراء ، وهي من حسن الملحوظات التي سبقت شأنه النحوي^{١٠٤} عربي^{١٠٥} فكان
عملهم محاولة الوصول إلى بعض المسائل من ملحوظات مفردات القرآن^{١٠٦} الكريم^{١٠٧}
وقراءاته ، ومن بعض النصوص التي أحاطت بها ذاكرهم^{١٠٨} وثقاتهم^{١٠٩} الخاصة^{١١٠} بم
حواهم^{١١١} من قراءات^{١١٢} وسماع^{١١٣} : لأن^{١١٤} إقراءه^{١١٥} تثير^{١١٦} من^{١١٧} مسائل^{١١٨} ما^{١١٩} لا^{١٢٠} قبل^{١٢١} لجميع^{١٢٢} الناس^{١٢٣}
به^{١٢٤} يومئذ^{١٢٥} وخير^{١٢٦} ما^{١٢٧} يوصف^{١٢٨} به^{١٢٩} نحوهم^{١٣٠} هو^{١٣١} أنه^{١٣٢} نحو^{١٣٣} نطقي^{١٣٤} أم^{١٣٥} وطبعي^{١٣٦} ، وسن^{١٣٧}
نطرياً^{١٣٨} ، وقد^{١٣٩} طبعوه^{١٤٠} في^{١٤١} قراءاتهم^{١٤٢} سهران^{١٤٣} الكريم^{١٤٤}

(١) سورة^{١٤٥} م^{١٤٦} ٢٤

(٢) انظر [١٥] برواه^{١٤٧} ٢٦ وطبعات^{١٤٨} النجويين^{١٤٩} والسعويين^{١٥٠} من^{١٥١} ٢٨

(٣) سورة^{١٥٢} مائدة^{١٥٣} ٥

(٤) هتتب^{١٥٤} ٢١١

(٥) رجاه^{١٥٥} برواه^{١٥٦} ٢٧

(٦) سورة^{١٥٧} لإخلاص^{١٥٨} ٢

(٧) انظر^{١٥٩} طبقات^{١٦٠} يزيد بن^{١٦١} حمر^{١٦٢} ٢٧ ورواه^{١٦٣} برواه^{١٦٤} ٢ ٢٤٤

الطبقة الثانية

وأما الطبقة الثانية من هذه مصره في هذه المرحلة فإنها كثر نشاط في استكشاف الظواهر النحوية والنحوية ، وذلك باستخلاص هذه الظواهر من النصوص المروية ، ثم جمعها وتصنيفها وتأسيسها ، والبحث عن أسرارها وعملها ، واستنباط الأحكام والقواعد العامة التي تحكمها مما نجد سمي هذه المرحلة من مراحل الدرس النحوي مرحلة التأسيس وبناء القواعد والأصول ، حيث برزت عند هذه الطبقة بعض القواعد والأسس ومن أبرز رجال هذه المرحلة عبد الله بن أبي إسحاق الحصري (ت ١١٧ هـ) ، وعيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) ، وأبو عمرو بن العلاء المازني القمي إمام أهل البصرة في القراءة والنحو (ت ١٥٤ هـ)^(١) .

الجهود النحوية عند رجال هذه الطبقة

ومن أبرز الأسس التي ظهرت على يد هؤلاء العباقرة من السحابة والنحويين

أولاً بناء الأصول والأسس .

ظهرت عند رجال هذه الطبقة فكرة القياس والسماع وكان السابق إن فكرة القياس بن أبي إسحاق الذي وضعه المصادر بأنه « أول من بعث النحو ومد القياس وشرح العلل »^(٢) ، أو « أنه كان أشد تجريداً للقياس »^(٣) ، أو « أنه قرع النحو وفسه »^(٤)

فما المراد بالقياس عند عبد الله بن أبي إسحاق ؟

لقد اختلف الباحثون لمعاصرون في المراد بـ (مد القياس وتجريده) عنده فذهب بعضهم إلى أن مراد به عنده هو (أن تحكم اللغة بصواب حديد

(١) انظر ترجمته جاز نحويين البصريين ٤٦ - ٤٨ ومراتب النحويين ١٣ - ٢ الريدي

٣٥ - ٤ ورحله الألب ٣١ - ٣٨ وإليه الرواة ٤ - ١٣١ - ٣٩ وعاليه الباه ١ - ٢٨٨

(٢) طبقات النحويين والنحويين ص ٣١ وإليه الرواة ٢ - ١٠٥

(٣) أنصار نحويين بصرين ص ٤٣ وإليه الرواة ٢ - ١٠٥

(٤) مراتب النحويين ص ٣

يحرصها المنطق على المنكسرين بالذمة جميعاً دون نظر إلى وضع الذمة و خلاف
البيئات والقبائل (١)

ولكن عمل مع بعض الباحثين إلى أن المراد به (مد القياس) عدده هو
العدده السحويه أو الصبط السحوي ، أي أنه يمدّ حكم القاعده ويجمعه
مطرده (٢) فقد فصل إلى أن اللغة العربيه تحكمها قوانين عامة تنظم جرائها ،
وأن فيها ما لا يطرده فيه ذلك ، بمعنى أن هناك أمور في اللغة لا يؤحد إلا عن
طريق السماع دون الخصوع إلى قانون ، وهناك صور أخر تخص هذا القانون
وإدليل على ذلك أن يونس بن حبيب سأل عبد الله بن أبي إسحاق : هل يقول
أحد « الصويق » (بمعنى السويق) ؟ قال نعم ، عمرو بن عبيد يقول .
وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرده ويفاس (٣)

وهذه الإجابة يعدّ الرائد الأول في إبداع الذهبية القياسية ، كما تعدّ مفرده
هذه إعطافاً حديداً في الدرس السحوي في عصره ؛ لأن القوم كانوا قبله يقولون
باللغة من حيث جمعها ، وفهم عريبها ، وإحاطة بدهجتها ، عن حين مبد هو
إلى قيام مسح في الدرس اللغوي يقوم على استنباط الأحكام السحويه من
الظواهر اللغويه المنطردة وهذا يؤهله لأن يعدّ — كما قلنا — رائداً في تحديد
أسلوب البحث السحوي .

وقد ذكر الدكتور أبو انكارم أن موقف عبد الله بن أبي إسحاق يذكر على
دعامتين

الأولى . أن مهمة البحث السحوي هو تحري الظواهر العامه الشائعة في
اللغة قبل الظواهر النادرة

الثانية : أن على الباحث السحوي بعد أن يقف على الظواهر العامه المنطردة أن
يصوغها في قواعد ملزمة (٤)

(١) انظر محبه مجمع اللغة العربيه ١ ٩٦ والمدرسه بصريه ص ٦٦ وطبعات الشعراء (اعمش)
١٤ ١

(٢) المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه ص ١٤٥

(٣) طبقات النحويين و النحويين ص ٣٢ و طبقات فحول الشعراء ١ ١٥

(٤) نظر أصول التكميل السحوي ص ١٨ — ١٩

وليس معنى ذلك أن عبد الله بن أبي إسحاق قد توصل إلى هوائين كثيرة ، لأن ذلك م يحدث إلا في العصور الثلاثة ، عبد الخليل بن أحمد المراهيدي وليميده مسيويه وغيرهما وإنما به الفصل الأول في وضع البدور الأولى هذا المبدأ . ومما يدل على ذلك ما حكاه ابن سلام الجعفي حيث قال : سمعت أبي يسار يونس بن حبيب عن ابن أبي إسحاق وعلمه فقال هو والنحو سوء ، أي هو العاية قال : فأين علمه من علم الناس اليوم ؟ فإن لو كان في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علمه يومئذ لصُحِّث منه ، ولو كان فيهم من له دمه ونعاده ، ونظر نظره لكان أعلم الناس^(١)

وقد بلغ من تمسكه بالقياس النحوي أنه كان يحطىء الشعراء الذين يخرجون عن القواعد المطردة ، أو القاعدة النحوية ولا أدل على ذلك من المشادة التي جرت بينه وبين الفرزدق ، فقد روي أن الفرزدق حصر مجلس عبد الله بن أبي إسحاق فقال له : كيف تشد هذا البيت ؟

وعتياب قال الله كونا فكائن فعولان بالآليات ما تفعل الخمر

فأشده الفرزدق هكذا (فعولان) ، فقد ابن أبي إسحاق : ما كان علمك لو كنت (فعولين) فقال الفرزدق لو شئت أن أصبح لسبح ، وهن ، فلم يعرف أحد في المجلس قوله . لو شئت أن أصبح لسبح فقال عبد الله بن أبي إسحاق : لو قال (فعولين) لأحير أن الله خلقهما وأمرهما ، ولكنه أراد أنهما تفعلا ما تفعل الخمر^(٢)

وهي حالة الرفع المراد أن الله تعالى قال للعيين : كونا ، وأنهما تفعلا بالآليات ما تفعل الخمر ؛ لأن الفعل (كان) حيث يكون تاماً بمعنى الوجود ، وتكون (فعولان) من صيغة العيين . وأما إذا أراد أن الله خلقهما وأمرهما بأن تفعلا بالآليات ما تفعل الخمر فلا بد حيث من نصب كلمه (فعولين) على أنها منصوبة بفعل (كان) على الحال ، إن كانت تامة ، أو على الخير إن كانت ناقصة

(١) طبعت صحاح الشعراء ١ - ١٤ - ١٥ وطبقت النحويين والنحويين ٣١ - ٣٢

(٢) مجالس العلماء للرجائي ، مجلس ٣٨ ، ص ٨٥ ، والخصائص ٣ / ٢١

كما روى أن الضرر قد لَمَّا أشد قوه

وعصم ريسان يابن مروان مبدع من المال إلا مُسْتَحْتَأً أو مُحْتَفً ١

سأله عبد الله بن أبي إسحاق : بما رفعت (محلف) ؟ فقل الضرر ذو ما يسوءك ويسوءك وقد قيل إنه قال له علي أن أقول ، وعبيكم أن تحتجوا (٢)

ونكن مما يحب الموهوب عنده أنه من أراد بالقياس هذا عند عبد الله بن أبي إسحاق هو القياس المطلق الذي هو صورة استدلاله وعمدية عقلية حاصلة تستهدف الصحة ، ولني بدأ من مقدمات ذهبيه ينقل منها الدهن من كفي إلى جرتي يطوي تحته (٣) وإنما القياس في هذا العصر نوع من الاستعراء الذي ينتقل من الحرني إلى الكفي ، أي من الوقائع التي هي النصوص إلى الكشف عن قانون سيرها أو قواعد صيغها فهو يقدم هذا العلم بالمواعيد المضردة التي يحال بين المتكلم والخطأ في النعم وهذا ما يفهم من تعريف النحو بأنه انقياس استنبطه من كلام العرب (٤)

كما بعد عبد الله بن أبي إسحاق المحصر من مبدع فكره الأصل في الدرس اللغوي ، التي سوف تتطور على يد الجيل التالي له ، ومما يدل على ذلك ما جاء في « محارر القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ب ٢١٠ هـ) نقلاً عن يونس بن حبيب عن ابن أبي إسحاق إذ قال : « ورغم يونس عن أبي إسحاق قال أصل الكلام بناء على « فعل » ثم يسي حرة على عدد من به الفعل من مؤنث والمذكر ، من الواحد والاثني والجميع ، كقولك فعلت ، وفعلنا ، وفعلن ، وفعلوا ، وفعلوا ، ويراد في أوله ما ليس من سائته ، فيريدون الألف ، كقولك أعطيت ، وإنما أصلها عطوت ، ثم يقولون أعطى ، فيريدون الميم بدلاً من الألف ، ومما أصلها (عاطي) ويريدون في أوساط (فعل) افتعل ، واستعمل ، ونحو هذا ، والأصل (فعل) ، وإنما أعادوا هذه الروايات

(١) المجتهد من العلم يسوخ الذي أخرج عنه ، وسحب ما فصل بني لا يدع شك (لا أحد)

(٢) شعر والشعر لأن فيه ص ٨٩

(٣) أسس لتنطق الصوري ومشكلاته ص ٢٢٨

(٤) نظر تعريف ي. حني في الخصائص ١ ٣٤ وتعريف الأشموي في شرح الأشموي مع حاشيته ص ١٦١

إلى الأصل ، فمن ذلك في القرآن (وأرسل الرياح سواقح)^(١) ، إنما يريد
 (الريح ملقحة) فأعادوا إلى الأصل ومنه قوههم « طَوْحَه الطوائح » ، وإنما
 هي مطاوح ؛ لأنها مطوَّحة ومن ذلك قول لعجاج
 يكشف عن حمّانه دلوء الدان^(٢)

وهي من (أدلى دلوه) وكذلك قول رؤبه

يخرجن من أحوار بيل عاصي^(٣)

وهي من (أعصي النيل) سكن^(٤)

ومما يحب الوقوف عنده أيضا أنه ليس كل رجال هذه المرحلة من تاريخ
 النحو العربي على هذه المنهجية في تحكيم القاعدة النحوية ، أو الأحكام بالقياس
 فهناك من رجال هذه المرحلة من تمسك بحجج السماع والاعتداد به ومن
 هؤلاء أبو عمرو بن العلاء ، الذي قال عنه ابن سلام الحمصي في معرض
 المقارنة به وبين ابن أبي إسحاق : « إنّ ابن أبي إسحاق أشدّ تحريداً للقياس ،
 وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وعريب ألفاظها »^(٥) وعنه
 قال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ب ٩١١ هـ) « كان
 سيد الناس وأعمهم بالعربية والشعر ومذهب العرب »^(٦) وعنه قال
 يونس بن حبيب . « وكان أبو عمرو يستقيم للعرب ولا يقطع عليها »^(٧)

وكان أكثر أحده عن أعراب أدر كوا الخاهديه ، أو من أشباح العرب ، فإد
 شك في فصاحة الأعراي منحه ليعرف فصاحته^(٨) وقال الأصمعي
 « جلست إلى أبي عمرو عشر حجج فما رأيته يخرج بيت إسلامي »^(٩) وإذا

(١) سورة الحجر ٢٢

(٢) ديوان العجاج ٨٦ والنسك ، مادة (دلو)

(٣) ديوان ربيعة ٨٣ ، ونسك ، مادة (عاصي)

(٤) محار القرآن ١ ٣٧٦ - ٣٧٧

(٥) طبقات محوّر الشعراء ١ ١٤ وطبقات النحويين واللغويين ص ٣٥

(٦) دهر ٢ ٣٩٨

(٧) طبقات النحويين واللغويين ص ٣٥

(٨) نهر ربه الأنبياء ٣٣ - ٣٣

(٩) بيت الرواة ٤ ١٣٣

كان هذا صحيحاً عنه فإنه يُعدّ أن من هم سافسون برماي و مكاني في عصبه
لاستقر، سي طبقه صريون ساخره في قلوب مصوص و فصب في
لاحيح^١

ثانياً ظاهرة الخلاف الحوي

بررت عند رحل هذه صفة طهره خلاف حوي بر مصب .
و محطى ، حب و بعد مسائل سحويه و بعويه متلف عصب ، و و حه
نصوب فم و بعد مُتفقاً عنه . يصح ذلك من موقف في عمرو بن علا .
من خطبه عبد لله بن سحر و مر دق في سب سابق ، حيث و .
عمرو و فعت لمر دق نصب ، و هه حار في معي . أي و يبو
سوه^٢

ومن هذا الفصل ما روي أن عيسى بن عمر كان يهرأ (هؤلاء بني هـ
صهر كم)^٣ نصب (صهر) فدر و أبو عمرو حصاه تفتش من كلام
« كيف تقول هؤلاء بني هـ » و « هـ » « فها عيسى » عشرين رجلاً
فأنكره أبو عمرو^٤

و من ذلك نص خلاف بني وقع بن في عمرو بن علا . عيسى بن عمر
حول رويل نصب في (صير) من هه بعد (و حار و ي معه
و حه)^٥ . فكن عيسى يقول نصب على هه . ككهك يا
و حار و حاه يمكنه « و حارث » و أبو عمرو و و كا . على بدء
مكان فها ، و مكب على بصار « و سحر و صير » هه على رة هـ
(و سحر و صير)^٦

١ - نظر مفسر في تاريخ حوي و سبويه ص

٢ - و لأدب ٣ ٢٤٧ ، لإيضاح في مسائل خلاف سبويه ص ١٠٠

٣ - سوه و هو د ١٨

٤ - صيف و حوي ص ٢ . طفا حوي و بعوي ص

٥ - سوه و سب ١

٦ - سوه و سب ٢

٧ - نص صيف و حوي و بعوي ص

ثالثاً ظاهرة تحطئة العرب

كما برز عند جال هذه الصيغة ظاهرة تحطئة العرب جاء في طبقات
لريدي * وكان بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعن على العرب (١)
ويروى أن العربي يحور عنه الخطأ ، فقد روي أن عيسى بن عمر كان يأخذ على
نابغه قوله

فبت كأي ساور صينة من الرقش في أيها السم ناقع (٢)
ويقول وجهه أن يكون (لسم ناقع) (٣) ومن ذلك ما سبق من تحطئة
عبد الله بن أبي إسحاق للفرزدق

رابعاً ظاهرة التأويل والتفسير للصيغ اللغوية

مهد رجال هذه الصيغة إلى ظهور التأويل والتفسير لظواهر لغوية ،
وبوجهها توجب يتفق مع القواعد التي يوصو إليها عن طريق الاستقراء
والفحص فانقبوا من رواية يسموع إلى مناقشة هذه يسموع شرح وتفسير
وتعملاً ويظهر ذلك جلياً مما نقله سيبويه عن عيسى بن عمر الثقفى في
* باب ما ينتصب في التعظيم والمدح (٤) ، وعن أبي عمرو بن العلاء في * باب
ما محرى من لشم محرى لتعظيم وما أشبهه (٥) ، وفي * باب ما يحذف منه
لمع لكثرة في كلامهم حتى صار عمدة المثل (٦)

خامساً ظهور التدوين النحوي

من الملاحظ في هذه المرحلة أن البحوث النحوية لم تسجل ، ولم تطب
تداول وتتطور شعوريا في حلقات الدرس ومحاسن المسطرة وقد أصبح عدم

(١) طبقات لريديين واللغويين ص ٣٢

(٢) نظر ديوان نابغه ندياني ٥١ والكتاب ٢ ٨٩

(٣) طبقات ريدي ص ٤١

(٤) الكتاب ٢ ٦٢ ، ٦٥

(٥) ص ٧ - ٧١

(٦) الكتاب ٢ ٧ - ١

تسجيل حريه تصور ، لاكن ، صحيح على يد الخليل بن هم ، كما جليل بن
 محمد ، وسيد سبيويه ، ويوس بن حب ، عز بن مصاد قد ذكر
 عيسى بن عم قد كتب كتاب في سحرهم جامع « . » (لاكن) . وهم
 بنون فيل فيهما ^١

ذهب سحر جمع كنه غير ما حدث عيسى بن عمر
 دث ، كذا ، وقد جامع ، وهم بنون شمس وفهر
 غير ان هذين الكتابين م يصب مهم شي ، م م حدث كتب بر ح
 و لادب عن مضمونهم فقد ذكر سبي في ا مهم م بقا ، لا
 محمد ذكر انه اهم ^٢ وقد ذكر يوب حموي علا عن امرد انه قال
 « فرئت و . م من كتابي عيسى بن عمر » ^٣ كما ذكر سبيوطي في برهر
 ان احدهما مبسوط سماه « جامع » ، و لآخر مختصر سماه « مكمل » . عن
 سبيوطي مستح قد لوصف من سبي نكتير ، حيث يدس سم (جامع
 عر لسطه ، لكثرة ، و (لاكن) على لاحص

وقد ذكر القفطي في اناه الرواقه ^٤ انه يقا بن « جامع » هو كتاب
 سبيويه ردفه ، حشاه و سأل مشايخه عن مسائل منه سكك عنه فذكر
 م فاصفها ، قد ناقش هذه التهمه لأسد علي سحدي بصف انه بو
 كدث برمه واحده من شمس ان يعقل سبيويه ذكر عيسى بن عمر حمه
 ولا يقا منه كما يعقل عن لآخرين ، و ان يكد معهم فبهت من ده مهم
 بامر بصب من يعقل وكن موقع في كتاب غير همد و ر ، م م
 م كر ان سبيويه اعترف بحسن بن حمد ان يدي به سه عنه و يخال عو مقصه
 هو كتاب « جامع » ، فم احمده في طمس خفقه و تعبير و سديا
 هي ^٥

(١) يسب بن خبيد عمر حب سبيويه عدي بن مصاد ياني ٤٢ ، بنه ٤٥

٢ ٣٧٤ ٢٧٧

٣ عنه م عاقه ٢ ٢٣٥ ، حب سبيويه مدي م م

٤ معجب بن

٥ بره ٢ ٣٩٩

٦ بنه م م ٢ ٢٧٥

٧ لقد سبيويه مام سحاه م ٣٦

كما ذكر السيوطي في المهر^(١) أن لعبد الله بن أبي إسحاق المحصرمي كتاباً في « النهر » مما أملاه ، ولكنه لم يبين لنا مباح هذا الكتاب ، ولا دليلاً على ما ذهب إليه

وبالجملة فإن مباح هذه المرحلة من الدرس السحوي يعود على الأسس الآتية .

- ١ — اهتمامهم باللغة باعتبارها أداة للعمل القرآني
- ٢ — اعتمادهم على السليقة الدعوية دون إمعان في العقل ، ويتضح ذلك عند رجال الطبقة الأولى الذين سميوا مرحلتهم مرحلة الشأة أو الولادة .
- ٣ — الوصول إلى بعض الأصول والأسس القاعدية
- ٤ — التركيز على تفسير الطواهر اللغوية والإعرابية دون العوص في معرفة أسرار التعبير ويظهر ذلك عند رجال الطبقة الثانية الذين سميوا مرحلتهم مرحلة التأسيس وبناء القواعد

(١) المهر ٢ ، ٣٩٨

الفصل الثاني

المرحلة الثانية من تاريخ الحو العربي مرحلة النمو والإبداع

*

أولاً رجال هذه المرحلة

انتهى في هذه المرحلة من مراحل تطور اندرس سحوي رحل طبقة ثالثة والرابعة والخامسة من البصريين برجل الطبقة الأولى واشابه من كوفه.

فالتف الطبقة الثالثة من البصرية برعامه حسن بن أحمد مرهبي (ت ١٧٠ هـ) بالطبقة الأولى من الكوفيين برعامه أبي جعفر محمد بن حسن بن أبي سارة الرؤاسي المعري^(١)

ولتف الطبقة الرابعة من البصريين برعامه أبي بشر عمرو بن عمرو بن عبد الملك بسبيويه (ت ١٨٠ هـ)^(٢) بالطبقة ثابته من الكوفيين برعامه أبي حسن علي بن حمزة نكسائي (ت ١٨٩ هـ)^(٣)

ولتف طبقة الخامسة من بصريين برعامه الأحفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ)^(٤) بالطبقة الثالثة من الكوفيين برعامه أبي ركريح يحيى بن زياد بن عبد الله الهراء (ت ٢٠٧ هـ)^(٥)

غير أن الخليل الأول من الكوفيين ، ندى مثله أبو جعفر رؤاسي ، وأبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء (ت ١٨٧ هـ)^(٦) وقف في السحر عند مرحله لني يمثلها عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء من رحل طبقة ثابته من بصريين ، وم يبلغ القفزة لتي قهرها رجال الطبقة ثابته من بصريين برئاسة الخليل بن أحمد

(١) نظر ترجمه طبقات ريدي ١٢٥ ورواه لألاء ٥٤ ونبيه نوعاد ٢ ٨٣ ونبيه ٣٣٦ ١ ٦ ٢

(٢) نظر ترجمه أخبار سحويين بصريين ٣ - ٦٤ وصبغ ريدي ١٢ ونبيه ٧٢ ونبيه ٣٣٦ ١ ٦ ٢

(٣) نظر ترجمه طبقات ريدي ٢٧ ٢ ورواه ريدي ٢٥٠ - ٢٧٤ ونبيه نوعاد ٢ ٦٢ ١٦٤ ونبيه ١٦٤ - ٥٣٥ ونبيه الأثر ٥٤ ونبيه ٢٣٦ ونبيه ٢٨٣ ١٩٧ ١٩٩ والأعلام ٤ ٢٨٣

(٤) نظر ترجمه أخبار سحويين بصريين ٦٦ - ٦٧ وطبقات ريدي ٥٢ ١٧٤ ونبيه ٥١ ٢ ٣٦ - ٤٣ ونبيه نوعاد ١ ٥٩٠ - ٥٩١

(٥) نظر ترجمه طبقات ريدي ١٣١ - ١٣٣ ورواه ريدي ١٣٣ ونبيه ٢٣ ونبيه ٢٣٣ ٢ ٣٣٣

(٦) نظر ترجمه طبقات ريدي ١٢٥ ورواه الأعيان ٥ ٨ ٢ ٢٢

ولما جاء الخليل الثاني من الكوفيين الذي يمشيه كسائي رعيه الطبقه ثالثة من الكوفيين ، ومن بعده الفراء رعيه الطبقه الثالثة فإنه تعلم في مدسة بصرية التي يمثلها الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد كان الكسائي يحسن في حلقه الخليل بن أحمد ، وقد أعجب بسعه علمه واتساع روايته مما جعله يسأله من أين أحدث علمك هذا ؟ فقال الخليل من بوادي الحجار ونجد وسهامه فشرح الكسائي إلى هذه البوادي ، ثم رجع منها ، وقد أخذ خمس عشرة فنية خبر في الكتابه عن العرب سوى ما حفظه فصار جمع واحد الخليل قد مات ، وفي موضعه يونس بن حبيب ، فحرب بينهما مسائل أقر له فيها يونس ، وصنّره في موضعه^(١) كما أخذ عن الخليل اللغة أيضا^(٢) وهذا يدل على أن الكسائي كان رائده الأول في الدرس النحوي هو الخليل بن أحمد ندي وجهه إلى منابع العربية مما كان له الأثر فيما توصل إليه من أصول كان لها الفصل في بناء مذهبه النحوي^(٣)

فتكونت في هذه المرحلة المدرسة الكوفية برعاية الكسائي والفراء اللذين رسما صورة النحو الكوفي ، ووضعوا أسسه وأصوله ، وأمداه بمذهبهما وقطبهما ليكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري^(٤)

فهما المؤسسان الحقيقيان لهذه المدرسة ، فقد أحدا بنحو ابصرة وغيره فيه ونهجا في دراسته بها مستقلا^(٥) ، مما يدل على أهمها كان يقصد - قصدا إلى أن يكون لهما في النحو مدرسة يستقلان بها على رعيه من تلميذتهما على أيدي البصريين

وقد عسى أن الكسائي لم يصلنا عنه كتاب ، وإنما وصلت عنه توجيهات لغرامية وأقوال نحويه متناثرة في كتب البصريين والكوفيين وهذا يجعلنا نميل إلى أن المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة في هذه المرحلة هو الفراء ، فأثره واضح

(١) انظر إنباء برواه ٢ ٢٥٨ ومعه رواية ٢ ١٦٣ وتاريخ بغداد ١١ ٣ ٤

(٢) انظر غاية النهاية لأبن حجرري ١ ٥٢٦

(٣) انظر تاريخ سحر وأصوله ، د عبد الحميد طيب ص ٢١٩

(٤) انظر مدارس سحر ، د سوي صيف ص ١٥٤

(٥) انظر مدرسه كوفه ، د مهدي المحرومي ص ٨٨ وأبو حيان النحوي ، د حديده خديسي

فيها أصولاً وفروعاً ، كما هو واضح في وضع مصطلحاتها ، ونحو مدلولها في كتابه « معاني القرآن » ، بحيث يمكن أن نقول : إن معصم مصطلحات النحو كقولي إني نعتها بما غيرها عن النحو لبصري هي من وضعه

ونصفه المصدر القديمة بأنه « أخرج الكوفيين و«عندهم» ١ » وقد جاء في محاسن العلماء نرجاجي « فيل لمكسائي أني ارحين أعني بالنحو القراء أو لأحرر ٢ » نفس « لأحرر أحفظ ، وهذا أعني بما يخرج من رأسه ٣ » وفي رواية « الأحرر أكثر حفظاً ، والقراء أحسن عملاً وقد فكروا وعلموا يخرج من رأسه ٣ »

فالمدرسة الكوفية مديرة للقراء حيث منحها تشكّلها النهائي في قدمه من درسات ومقاييس ، وما اعتمد من تفسير بعض الظواهر الإعرابية واللغوية ، وما وضع من مصطلحات نحوية يخالف مصطلحات أهل البصرة كما يظهر جلياً في « معاني القرآن »

وأي يدل على أنه يقصد أن يؤسس مدرسة مستقلة في النحو أنها لا تحده يعقوب على سيبويه في كتابه « معاني القرآن » ، ويحيل القارئ عليه أنه لم يقرأ سيبويه

وقد أمان ذلك النبطي حيث يقول « وكان إله معصمه على سيبويه وكتابه تحت رأسه ٤ » وقد أشار أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) أنه كان يعتمد خلاف سيبويه ، إذ يقول « وكان القراء يخالفون الكسائي في كثير من مذهبه وأما على مذاهب سيبويه فإنه يعتمد خلافه حتى في ألقاب الإعراب ويسميه الخروف ٥ » وهذا يجعل بعد هذه المرحلة من تاريخ النحو العربي المرحلة التي تم فيها تشكّل المدرسة الكوفية في مقابل مدرسة البصرية

وقد شهدت هذه المرحلة طائفة من رجاء مدرستين كان هبة في سير النحو العربي نحو النصح والاكتفاء الذي تم على يد أبي عثمان بكر بن محمد

(١) إنباه الرواة ٤ ٧

(٢) نظر محاسن العلماء ص ٦٣

(٣) نظر إنباه الرواة ٤ ٢١

(٤) نبيه بوعناء ٢ ٣٣٣

(٥) مرآة الخويعين ص ٨٨ ونظر ك. س. مصطلحات نحو كوفي ٨٩ ، ٢

الدارني (ب ٢٤٨ هـ) ، رعيم الطليقة السادسة ، وأبي العباس محمد بن يزيد
خُرد (ت ٢٨٥ هـ) ، إمام الطليقة السابعة من البصريين ، وأبي يوسف
يعقوب بن إسحاق السكيت (ت ٢٤٦ هـ) ، إمام الطليقة الرابعة ، وأبي
العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، إمام الطليقة الخامسة من
الكوفيين ، مما سدرسه في الفصل التالي

وقد برر في هذه المرحلة من البصريين رجال كان لهم الفصل الكبير في
تشكّل النحو العربي بعامة ، وفي تشكّل المذهب البصري خاصة ومن أبرزهم
الخليل بن أحمد المراهيدي الذي يعد المؤسس الحقيقي لقياس وموطد أركانه ،
والذي قال عنه أبو الفتح عثمان بن حني . « إنه سيد قومه وكاشف قناع
القياس في علمه »^(١) . والذي قيل فيه أيضا - « إنه العاية في تصحيح القياس
واستخراج مسائل النحو وتعليقه »^(٢) ، و « إنه هو الذي بسط النحو ، ومد
أطرافه ، وسبب علمه ، وفتح معانيه ، وأوضح الحجاج فيه حتى بلغ أقصى
خلوده ، وانتهى إلى أبعد عاينه »^(٣) كما ذكر « أن الإجماع منعقد على أنه لم
يكن أحد أعظم بالنحو منه »^(٤)

وكل ذلك كان مما أهله لاستباط جملة القواعد التي تحكم اللغة العربية في
صياغة أفعالها ، وصياغة الحمل أو لتعابير المركبة التي تؤدي إلى معنى
ملا^(٥)

ويظهر ذلك جليا من آرائه المبسوطة في كتاب سيبويه الذي يعد المصدر
الأول في النحو العربي ، والذي يعرف منه مسج الخليل بن أحمد وقد قبل عن
هذا الكتاب إنه علم الخليل ، أو إن كل ما فيه فهو عن الخليل^(٦) ويؤكد

-
- (١) الخصائص ١ ٣٦١
(٢) معجم الأدباء ١١ ٧٧
(٣) مرمر للسيوطي ١ ٤١
(٤) شعرات بذهب ١ ٣٧٧
(٥) عباس في سحر ، د . مني إبياس ص ٦
(٦) طبقات نحويين و شعريين لبريدي ص ٧٥

يقتصر لسانه اللدني نمو الخليل وسبويه على نطق الخطر نو سي توصلا بها
والقد ساعده على ذلك شيئون

أوهما سديقه العربيه موروثه ، حيث به عربي فتح

ثانيهما محاطه أرباب الفصحى من أساء لبودي في حد والحد
وعنه^(١)

وقد شاركه من البصريين في هذه مرحله أعلام كالهم بعض إلات فاب في
مبحث السحوي ، كيوس بن حبيب لصبي (ب ١٨٢ هـ) سدي بعد
للمعهد لأول لظهور مرحله الخليل وسبويه ، حيث خط بالسحو حصوة
تجاوزت مرحله عبد الله بن أبي إسحاق الحصري وعيسى بن عمر ، وهما
مرحلة الخليل وسبويه

كما بعد آراءه السحوية نوه لظهور المدرسه الكوفيه ، فقد ذكرت مصادر
أن (به فديساً) في السحو ومد هب يفرده^(٢) فهو أساد كسائي ، رأس
المدرسه الكوفيه ، حيث مآثر به في آتاه ومعايشه فعنها إلى تلاميذه من كاه
الكوفه

وكان سبويه يعون عنه كثير في كنده حيث جعله أصلاً في الرواية^(٣)
فأحد عنه لشوهد اللعويه ويعد هو الشخصيه ثابته في الكتب بعد الخليل
بن أحمد ، حيث مرّد اسمه في الكتب أكثر من ثمانين ومائه (١٨٠) مره
ورما أورد له فصلاً كاملاً ، كما جاء في باب لصغير^(٤)

(١) ربه الرواه ٢ ٢٥٨.

(٢) أخبار السحويين بصريين ص ٢٧ وزياده الرواه ٢ ٧٦

(٣) بيه لوعاة ٢ ٣٦٥

(٤) الخليل بن أحمد د مهدي غرومي ص ٢١٩ . سبويه ماه حلاه على سحدي ناصر
ص ٩ - ٩٨ وخطر الكبار ٣ ٢٢٥

وقد عتده الداوودي في طبقات المفسرين ^(١) وقد ألف كتاب في (معاني القرآن) ^(٢) وأوحى إلى تلامذته أبي عبيدة والكسائي والأحفش الأوسط والعراء أن يسلكوا مسلكه ويؤلّفوا في الموضوع نفسه

ومن الأعلام بصرية أيضا في هذه المرحلة سيبويه ، صاحب لفصل في سمة آراء أساتذته والتفريع عليها كما يعد كتابه اللواح الأولى من رُسب قواعد التأليف في النحو ، حتى اهتدى بهديه جميع النحاة الذين جاءوا بعده

وقد امتاز الكتاب بكثرة المسموع عن العرب من النحويين والنحويين والأعراب ، كالخليل بن أحمد ، والأحفش الكبير ، والأوسط ، وعيسى بن عمر ، وأبي عمر بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي فقيس ، وأبي دثار ، وأبي الحراح ، وأبي ثروان كما سمع عن كثير م يصرح بأسمائهم

كما أن كتاب سيبويه في هذه المرحلة يمثل النحو بمذلوله العام الواسع الذي يشمل النحوت اسحويه ، وانتصريه ، ولاشتغافية ، وقعه لبعه ، وسلاعه ، ونحوت الفراءات ، والتجويد ، والعروض ، والتهجيات لعربية وما يترتب على اختلافها من آراء ، ومما يدل على سعة اطلاعه وعمره علمه ، حيث م ينرد من مسائل النحو صغيرة ولا كبيرة ، وسب فيه من كل من شيوخه قوته وكان ثقة في كل ما قاله

ولذلك يقول أبو الفتح عثمان بن جني في ثنائه على سيبويه ^(٣) « صاحب هذا العلم ، الذي جمع شعاعه ^(٤) ، وشرح أوصاعه ، ورسم أشكائه ، ووسم

١) هبهار المفسرين ، عفيق على محمد عمر ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، ٢٠٨٥

(٢) الفهرست ص ٧٩ ، وانظر مقدمه فهرس سيبويه ، الشيخ عبد الخالق عصبه ، ص ٧

(٣) خصائصه ١ ٣٨ ٣٠٩ وانظر أيضا لخصائص ٣ ١٨٥ (٤) يقول على م ثابت الكتاب

(٤) أي ما يفرق به

أعماله^(١) ، وحنج أخطائه ، نصح أخصائه ، ورم شوارده ، وأفاء هوارد^(٢) .

وقد أوتي سيويه مقدرة ذهبية مكنته من تفسير ظواهر اللغة وحياس بعضها على بعض ، كما أتيح له شبح عظيم دُلِّل له كل صعب ، وفتح أمامه سبلاً واسعة في القياس والتعليل ، وهو الخبل بن أحمد ، ويظهر ذلك فيما يتردد في الكتاب من قوله « سألت » .

وقد عُذَّ الكتاب من بين ثلاثة كتب لم يؤف مثنها في القدم والحديث يقول صاعد الأندلسي . « لا أعرف كتاباً أَلَف في علم من العلوم قدمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم ، وأحاط بأجزاء ذلك العلم غير ثلاثة كتب ، أحدها « المحصني » لبطليموس في علم هيئة الأفلاك ، والثاني كتاب أرسططاليس في علم المنطق ، والثالث كتاب سيويه البصري النحوي ، فإن كل واحد من هذه لم يشدَّ عنه من أصوله شيء إلا ما حطر له^(٣) .

وقد ذكر بعض الباحثين أن في الكتاب (٨٥٨) رأياً لأئمة السحاة السابقين ، و (١٠٥٠) بيتاً من الشعر ، أو (١٠٦١) ، وفيه (٣٧٤) آية قرآنية^(٤) . وسمرق مبحثاً مفصلاً عن الكتاب ، شاء الله .

ومن أعلام البصريين في هذه المرحلة أبو الخطاب الأحفش الكبير عبد الحميد بن عبد الحميد^(٥) . وقد ذكرت كتب الطبقات شيئاً من أولياته ، ومما أنه أول من هسّر الشعر تحت كل بيت ، وكان الدس لا يعرفون ذلك قبله ،

(١) واحده (نصح) ، وهو ما لا سمح عليه

(٢) هوارد جمع غارد وفردة ، وهو المنقطع

(٣) معجم الأدباء ١٦ ١١٧

(٤) انظر بحث (أول كتاب في نحو العربية) د حسن عوي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة

إسكندرية ، المجلد ١١ ، سنة ١٩٥٧ م من

(٥) نظر له جملة طبقات نحويين والنحويين لغزيدي من ٤ ، وبيان الرواة ٢ ١٥٧ ١٥٨ وسمر

أعلام سلاء ٧ ٣٢٣

وإلى كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها^١ و به أنصاط بمرود سفيها عن
العرب^٢

وحاء في مره لأبي^٣ أن أبا عبيده قال سألت أن خطيب لأحفش
هل تجمع اليد الخارجه على أيادي^٤ فقال نعم ، ثم سألت أبا عمرو
بن العلاء فأنكر ذلك ، فعنت لأي الخطيب ب أبا عمرو قد أنكر ما فنته ،
فقال أو ماسمع قوم عدي

سأله ما تسميت في أيادي ————— يا و يشبهه إلى لأعناق
ثم قال هي في علم الشيخ ، وكسي أسية وهو كما قال أبو الخطيب ، قال
الشاعر

فمن يد تطاوها الأيادي^٥

وإن كان الأعلب أن يراد به النعمة

ومهم أيضا أبو حسن سعيد بن مسعدة لمشهور بقية الأحفش
لأوسط^٦ (ب ٢١٥ هـ) ويعتد أبو حسن لأحفش قرب بصريين
لكوفيين ، وكانوا يعظمونه ، فكان الصراء بعده سند أهل لعة ، وسند أهل
لعرية^٧ وقد اقتدى به الكوفيون في انقياس على الشاد والاعتداد بالمرءات
شاده^٨ وقد عُدَّ المُنْهَد بالمدرسه الكوفيه كما اشتهر في المدرس لبحوي
ببتكار بعض التعريفات لبحوية التي لم يسبق إليها^٩

(١) بحية ب عاق ٢ ٧٤

(٢) بيا برواه ٢ ٥٧

(٣) مره الأبياء ٥٣ ٥٤

(٤) نظر ديوان عدي ونظر بساكن ١٥ ٤١٩ ، مادة (يدي)

(٥) سطر لثاني م ييب صدره وفأما وحده فكذلك مثلي ٥ ٤١٩ ، مادة

(٦) (٧)

نظر مرجته أخبار بحويين بصريين ص ٦٦ ٦٧ ، طبقات لبحويين و لبحويين

ص ٦٢ ٦٤ ، برواه ٢ ٣٦ — ٤٣ وسير أعلام سبلاء ٢ ٦

٧ برواه ٢ ٣٩

(٨) م م لبحوية ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

(٩) نظر لإيضاح في علم لبحوي ص ٤٩

١٥ منهم أبو علي محمد بن المسير ، لقب بـ « فطرب » (ب ٢٠٦ هـ)
 وقد جنى جميع لحاة في تفسيره بحركات الإعراف ، حيث فسرها تفسيراً
 صواباً

وقد فسرها نعماء فيه تفسيراً دلاليّاً وأن عرّب الكلام إلى كان لدلالته
 على المعنى وصرّفه بين المعاني المختلفة

وأما هو فقد ركض من سبي إليه انعماء قبله من دلالاته على المعنى من
 المعاني والمعنوية والإضافة ، وادعى أنه كانت حركات الإعراف تنعير بغير
 المعنى فكيف ينبغي أن تحدد حركات الإعراف بمعبره مع غير معنى ووحد
 حين يتفق معنى ودلت في نظره غير صحيح ؛ لأنّ الحد في كلامهم أسماء
 متفقة في إعراف مختلفة المعاني ، وأسماء مختلفة الإعراف متفقة المعاني

ويسمى به رتبة إلى أنه لا رسوخ بين طاء إعراف والدلالة على معنى
 فيه يد تنعير حركات أو آخر الكلمات ونعاقب على نظام ٩ هـ يقول (١٥)
 « عرب كلامها لأنّ الاسم في حال توقف يلزمه إسكوان بتوقف ، فهو
 جمع ووصفه إسكوان أيضاً لكن يلزمه إسكوان في الوقف وتوصل ، وكانوا
 يمشون عند الإدراج ، فما وصلوا وأمكنهم تحريك جمعوا ، استحيث معاقب
 بالإسكان يبعد الكلام ، ألا ترهم بنو كلامهم على متحرك وسكن ،
 متحرك وسكن ، وهما يجمعون بين ساكنين في حشو الكلمة ، ولا في حشو
 بيت ، ولا بين أحرف متحركة ؛ لأنهم في جميع الساكنين يمشون ، وفي
 كثرة أحرف متحركة يستعملون ، وينتهي جهة في كلامهم ، فجمعوا
 الحركة عقب الإسكان » (١٦)

وهكذا سبى فطرب إلى أن الإعراف قد يدخل الكلمات فيه ، وإنما دخل
 على سبيل

وقد نسي أي فطرب بعض محدثين ، وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس
 في كتابه « أسرار اللغة » ولكنه حلاه أن يلزمه بالبرأي مفصلاً ، وكأنه أول

١٥ - ص ٢٠٠ منه جب : بحوي : بصريون ٦٥ وطبقه : بيدي ٩٥ - رواية رواه
 ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠٩ ١٦١٠ ١٦١١ ١٦١٢ ١٦١٣ ١٦١٤ ١٦١٥ ١٦١٦ ١٦١٧ ١٦١٨ ١٦١٩ ١٦٢٠ ١٦٢١ ١٦٢٢ ١٦٢٣ ١٦٢٤ ١٦٢٥ ١٦٢٦ ١٦٢٧ ١٦٢٨ ١٦٢٩ ١٦٣٠ ١٦٣١ ١٦٣٢ ١٦٣٣ ١٦٣٤ ١٦٣٥ ١٦٣٦ ١٦٣٧ ١٦٣٨ ١٦٣٩ ١٦٤٠ ١٦٤١ ١٦٤٢ ١٦٤٣ ١٦٤٤ ١٦٤٥ ١٦٤٦ ١٦٤٧ ١٦٤٨ ١٦٤٩ ١٦٥٠ ١٦٥١ ١٦٥٢ ١٦٥٣ ١٦٥٤ ١٦٥٥ ١٦٥٦ ١٦٥٧ ١٦٥٨ ١٦٥٩ ١٦٦٠ ١٦٦١ ١٦٦٢ ١٦٦٣ ١٦٦٤ ١٦٦٥ ١٦٦٦ ١٦٦٧ ١٦٦٨ ١٦٦٩ ١٦٧٠ ١٦٧١ ١٦٧٢ ١٦٧٣ ١٦٧٤ ١٦٧٥ ١٦٧٦ ١٦٧٧ ١٦٧٨ ١٦٧٩ ١٦٨٠ ١٦٨١ ١٦٨٢ ١٦٨٣ ١٦٨٤ ١٦٨٥ ١٦٨٦ ١٦٨٧ ١٦٨٨ ١٦٨٩ ١٦٩٠ ١٦٩١ ١٦٩٢ ١٦٩٣ ١٦٩٤ ١٦٩٥ ١٦٩٦ ١٦٩٧ ١٦٩٨ ١٦٩٩ ١٧٠٠ ١٧٠١ ١٧٠٢ ١٧٠٣ ١٧٠٤ ١٧٠٥ ١٧٠٦ ١٧٠٧ ١٧٠٨ ١٧٠٩ ١٧١٠ ١٧١١ ١٧١٢ ١٧١٣ ١٧١٤ ١٧١٥ ١٧١٦ ١٧١٧ ١٧١٨ ١٧١٩ ١٧٢٠ ١٧٢١ ١٧٢٢ ١٧٢٣ ١٧٢٤ ١٧٢٥ ١٧٢٦ ١٧٢٧ ١٧٢٨ ١٧٢٩ ١٧٣٠ ١٧٣١ ١٧٣٢ ١٧٣٣ ١٧٣

من قال هذا والوجه أن هذه بروث الإعرابية يبحاً إليها معان إعرابية ، تؤثر في معنى التركيب ، وتعطي الحمنة إبحار لا مثيل له في غير العربية والإعارة في النمط مع الوفاء بمعنى من أعطته ميراث الله

ثانياً مظاهر الإبداع في هذه المرحلة

وقد ظهر مما سبق أن هذه المرحلة من تاريخ النحو العربي تنسم بالأسباب في الدرس النحوي بمفهومة لشامل لشيء من أسرار النحو والصرف والنحويات ، وأنها تنسم أيضاً بالإبداع في الدرس النحوي ، وأهم مظاهر هذا الإبداع هي

١ - وضع القياس

وضع القياس نحوي سدي بأثر بالدراسات لفقيه وكلامية ، ولا سيما عبد الخليل بن أحمد ، فيما كان القياس عند من أبي إسحاق هو مجموعة المسنطة ، وعند أبي عمرو بن العلاء قياس طهره لغوية على طاهرة ، أي أنه يسمي بالواقعة الدعوية^(١) ، ويسعد عن جماعات الذهب ويعتبر من مطو اللغة ، نجد القياس ينطور عند الخليل بن أحمد متأثراً بالدراسات لفقيه التي كانت تعاصر نشأة النحو في هذه المرحلة

ولا أدل على ذلك ، أي على تأثر خليل بالمسح معني من قول تلميذه النيث بن المصم ، حيث قال : « فبت لتحليل رعت أن عشرين جمع عشر ، والعشر تسعة أيام ، فكان يعني أن يكون اثلاثون مسعة وعشرين يوماً حتى تستكمل ثلاثة أسابيع فقال الخليل ثمانية عشر يوماً عشر ، و يومان مع الثمانية عشر جزء من العشر الثالث وعُداً مع الثمانية عشر يوماً فسميت بالجميع قلب من أين حار ذلك وم تستكمل الأحرار الثلاثة^(٢) هل يجوز أن نقول للدرهم ودقيق ثلاثة دراهم^(٣) قال لا أقيسه على هذا ، ولكن أقيسه على قول أبي حنيفة ، ألا ترى طفتي تطليقي وعشر تطبعة هي ثلاث تطبيقات وليس من التطبيقة لثلاثة إلا عشر تطبعة فكما جار لأبي حنيفة أن يعتد بالعشر حار أن أعند باليومين^(٤) »

(١) انظر أي العهد في برد على عمير في كتابه « بين نكب » ج ١ ص ٤٤١

(٢) متصل في تاريخ النحو عربي ص ٢٢٠

(٣) كتاب العين ١ ٢٨٥ - ٢٨٦

هكذا نأثر الخليل بن أحمد بأبي حبيبه اسمعيل بن ثابت فقيه العراق (ب
 ١٥٠ هـ) ؛ لأنه كان معاصرا له ، ومن أساليب الفقهاء عند الخليل بن أحمد
 التأويل ، واحتمل على اسطر ، والاستدلال بالأولى

ولتطبيق القياس الشائع بالدراسات المقهية ظهرت فكرة الأصل والمرع في
 الدرر السحوي على يد الخليل بن أحمد وسميده سيويه ومن ذلك قوله
 الإعراب أصل في الإسماء ومرع في الإفعال^١

ومن فكره لأصل والمرع ظهرت فكرة لأونه ولونه في الأسماء
 والأفعال ومن ذلك ماورد في كتاب سيويه من قوله « واعلم أن بعض
 الكلام ثقيل من بعض ، فالأفعال أثقل من الأسماء ؛ لأن الأسماء هي
 الأولى^٢ ، وقوله « أن الفعل مضرع لا يكلم به إلا معه الاسم ؛
 لأن الاسم قبل الصفة^٣ ، وقوله « فابتدأ أو حرء كما كان ، حد أو
 العدد ، والكره قبل معرفة^٤ »

كما نجد لتحليل آراء في التأويل السحوي ، فهي باب تأويل يشاد أي الخليل
 أن الشاد ليس مما يفاس عليه ويظرد ، ولكنه وقف منه موقف مختلف بعد من
 تسليمه لعرب ، ففتح باب التأويل على مصراعه ، فكان ذلك أول سحوي
 اهتم باشاد هتاهم كبيرا ، ويحاول أن يفسر سبب التشود ، وأن يحدد له وجه
 يُعمل به ، فلا يطرح أو يهي من دائره الكلام العربي المقبول^٥

ومن أمثله تأويلاته أنه قد سأله سيويه عن قول بعض عرب كيف صنع
 أصنع ، فحاروه (كيف) ، وهي ليست من حروف حرء ، فقال الخليل
 لأن مخرجها على الخراء ، ومعناها على أي حال تكس أكن^٦

١ - غير أن الخليل وسيويه في الإيفاح في علم النحو ص ٧٠

(٢) كتاب ١ ٢

(٣) منه ٢

(٤) الكتاب ١ ٢٤

(٥) مكانه خليل في البحر العربي - جمع - كيف - علم - علم - عماء - ط - سه

٤ ٤ هـ ص ٦٣

(٦) كتاب ٢ ٦

ومع أن الخليل بن أحمد لا يقيس إلا على الكثير ، إلا أنه حمل في أحيان قليلة على الشاذ وموضع الاصطرار . ومن أمثلة ذلك أنه سمع أعرابيا يقول إذا بلغ الرجل الستين فإنه وإيا الشواب ، بإصافه (إيا) — وهو صميم نصب مفصل — إلى (الشواب) — وهو اسم ظاهر — فحكم الخليل من ذلك أن الكاف ، واهاء ، وانياء في (إياك) ، و (إياه) ، و (إياي) في موضع حمص بإصافة (إيا) إليها ، بدليل ورود الاسم الظاهر في قول الأعرابي مجرورا بإصافة (إيا) إليه . وقد قدر الخليل بناء على ما سمعه من الأعرابي أن هذه انصائير محرورة المحل يمكن توكيدها بأسماء ظاهرة محرورة ، فقال : « لو أن رجلا قال : « إياك نفسي » لم أعنفه ؛ لأن هذه الكاف محرورة » (١)

أ — نصح التعليل :

وقد نصح تعليل ظواهر اللغة في هذه المرحلة حين وصل الاستفراء دروته ؛ لأن التعليل تفسر هذه الظواهر المستقرة وتنبئ لها وقد كان هدف التعليل في هذه المرحلة في ناحيتين :

الأولى : التدليل على ما تنصف به العربية ، وذلك بإظهار روعة اللغة العربية في براكيها وألفاظها فلم يكن تعليلها نصيحة التركيب وسلامته التركيبية ، وإنما بيان حكمه في التعبير

الثانية : البرهان على ما في أساليب العربية من خصائص ومميزات

وبأحد على ذلك بعض الأمثلة ؛ لأن البحث في تفاصيل التعليل به موطن آخر غير هذا الموطن فمن ذلك مثلا ما عُلِّل به الخليل عمل (إن) وأحواتها في نصبها اسمها جاء في الكتاب « ورغم الخليل أنها عملت عملين الرفع والنصب ، كما عملت (كان) الرفع والنصب حين قلت كان أحاك ريد ، إلا أنه ليس لك أن تقول كأن أحوك عبد الله ، تريد كأن عبد الله أحوك ؛ لأن لا تتصرف تصرف الأفعال ، ولا يصغر فيها المرفوع كما يصغر في (كان) ، فمن ثم ففرقوا بين (ليس) و (ما) ، فلم يجروها مجراها ، ولكن قيل هي عملة الأفعال فيما بعدها ، وليست بأفعال » (٢)

(١) الكتاب ١ ٢٧٩

(٢) الكتاب ٢ ١٣١

وكذلك ما نقله عنه سيويه من أنه جَوَر في كلمة (المسكين) من قولهم
 « مررت به المسكين » الرفع والجر والنصب فإرفع على التقديم والتأخير ،
 فقولك مررت به المسكين ، بمعنى المسكين مررت به . وآخر على الإبدال
 من الصمير المجرور في (به) وأما النصب فعلى إصغار فعل به بمعنى
 الترحم ؛ لأن الترحم في كلام العرب يكون بالمسكين واللبائس ونحوه
 ويخطيء الخليل يونس في النصب على الحال مستشهداً بسس العرب في كلامهم
 فيقول « وأما يونس فيقول « مررت به المسكين » على قوله « مررت به
 مسكيناً » ، وهذا لا يجوز ؛ لأنه لا يسمى أن يجعل حالاً ويدخل الألف
 واللام ، ولو جار هذا لجار « مررت بعبد الله الطريف » ، يريد
 « ظريفاً » . (١)

ولقرأ تعجيل سيويه في مسألة إبعاء العمل في أفعال لقلوب في نحو «ريد
 قائم طست » ، فهو يرى أنه إما حاز الإلعاء مع التأخير ، وكان التأخير مع
 الإلعاء أقوى من التوسط ؛ لأن تأخير (طست) معناه أن الشك قد جاء المتكلم
 بعد ما يمضي كلامه على اليقين ، أو بعد ما يتبدى وهو يريد اليقين ثم يدركه
 الشك ، فيقول « ريد قائم . طست » ، كما يقول المتكلم « عبد الله
 صاحب ذلك . بمعنى » ، وأما إذا بدأ المتكلم كلامه على ما في نفسه وسه
 من الشك أعمل الفعل قائم أو آخر (٢)

فكان التعجيل في هذه المرحلة ملتزماً بخصوص البعة وهو عدها ، وه
 يتجاوزها إلى محاكاة تعضية خارجة عن هذه النصوص فالعلم سهل
 لقواعد وسط بالأحكام مع احترامه لطواهر اللغوية والنحوية

فهو تبرير لقواعد وتوسيع لأحكامها ، لا يتجاوز ذلك إلى تأثير فيها
 بالتعير والتبديل ، ومبني على ملاحظته الرابطة بين الأسلوب والمعنى الأدبي
 الذي اصططح عليه فيما بعد . (علم المعاني)

وقد أباد عن ذلك الخليل حين سئل عن لعل التي يعتن بها في النحو ،
 حيث قبل له عن العرب أحدثها أم أحضرها من نفسك ؟ فقال إن العرب

(١) كتاب ٢ ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦

(٢) انظر المصدر نفسه ١ ٢

نطبق على سحيب وصدعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها عنه ، وإن لم يكن بها واعتلت بما عندي أنه علة لما علتته منه ، فإن أكن أصيبت نعمة فهو الذي التمسست ، وإن يكن هناك علة له فعلى في ذلك مثل رجل حكم دخل داراً محكمه الباء عجيبه العظم والأقسام ، وقد صحت عنده حكمة بابها بالخير الصادق أو نبيهم البواصحة والخجج اللائحة (الصاهرة) فكما وقع هذا الرجل في الدار على شيء منها قال إنما فعل هذا هكذا نعمة كذا وكذا ، وسبب كذا وكذا سبب له وحطرت بياله محضه لذلك فحائر أن يكون الباي للدار فعل ذلك لنعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائر أن يكون فعله لغير تلك العلة ، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك فإن شح لغيري عنه لما علتته من النحو هو أليق مما ذكره بالمعقول فليأت بها (١)

وهكذا يرى أن الخليل بن أحمد اهتم بالتعليل ، فكان يرى أن العرب لم يطقوا بكلامهم اعتباطاً ، بل راعوا في عقولهم عللاً له وإن لم يصرحوا بها ولذلك كثرت تعليلاته . فمن يطبع على كتاب تلميذه سيبويه يحس بأنه ليس عنده شيء إلا يعلل ، حتى ما جاء شداً أو اضطراباً ، كما سبق أن بينا ذلك ولكنه في الوقت نفسه لم يتعصب هذه العلل ، بل بين أنها مجرد احتداد

وهكذا يُعَدُّ الخليل بن أحمد أول من وسَّع دائرة التعليل وجعل همه أن يستخرج عمل العرب التي يبيوا عليها أحكام لمظهرهم مما يدل على ما يمتار به لخليل من المראה المؤكدة في النحو وقوة التصور فيه (٢)

٣ — توضيح فكرة العامل :

نصحت أيضاً في هذه المرحلة فكرة العامل ، واكتسبت سمة النظرية المخلدة ، بعد أن كانت تعتمد على قرائن لمظية وظواهر تركيبية ، فأصبحت في كتاب سيبويه نظرية كاملة مدعمة بالأحكام والتفريعات ، فتدخل نظرية

(١) لإيضاح في عمل النحو ص ٦٦

(٢) في أصول النحو ص ٨٤ ٨٥

العمل في كل أبواب الكتاب وفصوله السجوية ، بل لا نحو إد قلا إنها دائما
الأساس الذي يسي عليه حديثه في مباحث النحو

وهي تنقاد منذ السطور الأولى في الكتاب فقد عقب حديثه عن محاري
أواخر الكلم لثمانية ، أو بعبارة أخرى ، عن أنواع الإعراب والبناء للكلمات
بقوله « وإنما ذكرت بث ثمانية محار : لأفرو بين مبدحه صرب من هذه
الأربعة ما يحدث فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يرون عنه - وبين
ما يبتنى عليه الحرف بناء لا يرون عنه لغير شيء أحدث دبت فيه من العوامل ،
التي بكل عامل منها صرب من النطق في الحرف ، وذلك الحرف حرف
الإعراب » (١)

ويرى الأستاذ علي السحدي ناصف أن سبويه في حديثه عن العامل « كان
يستمد تعليقاته للمسائل التي يعرضها والآراء التي يراها من كل ما يمكن أن
تستمد منه التعليقات إلا حقائق الفلسفة وقضايا العلوم ، فهذه وتلك لم تكن
تبع أشدها بعد فيكون هما في النحو أثر ، وفي تفكير السجويين عمل ، على
نحو ما كان هما بعد ذلك في شتى الأجيال والعصور » (٢)

ويدل على صحة فكرة العامل عند سبويه ما يتردد في الكتاب كثير من
التعريف بالعامل القوي ، والعامل الضعيف ، والعامل لأصل ، والعامل
الفرع (٣) ، والعامل المختص (٤) ، والتعيق والإلقاء (٥) ، والعامل المحذوف (٦)

وقد أخذ سبويه هذه الفكرة من أستاذه الخليل بن أحمد الذي قال بإبقاء
العوامل وتعليقها (٧) ، وكذلك القون مراعاة الموضع أو المحل في الإعراب (٨)

(١) الكتاب ١ ١٣ ، ونظر المدارس سجوية ص ٦٤

(٢) سبويه إمام النحاة ص ١٦٣

(٣) الكتاب ٢ ١٣

(٤) المصدر نفسه ٣ ١١٦

(٥) المصدر نفسه ٣ ١٤٧ - ١٤٨

(٦) المصدر نفسه ١ ١٩٥ و ٢ ٨

(٧) نظر مثلا كلامه على (إث) في الكتاب ٢ ١٣٨

(٨) نظر مثالا على ذلك المعطف على موضع (لا) سابقه نجس في الكتاب ٢ ٢٩٣

نضج المصطلحات

لا يمكن أن نكون المصطلحات السحوية قد وصفت دفعة واحدة ، لأن في ذلك محالمة لطبيعة الأشياء ونموها وتدرجها . فقد مرت المصطلحات السحوية بأراحل التي مر بها النحو كله . فقد بدأت ساذجة في أول الأمر إلى أن وقعت على قدميها ، وأحدث أسماء ثابتة ^(١)

ويدل على ذلك ما رواه الأصمعي ، قال : « قلت لأعرابي أنتهم إسرائيلي ؟ قال : إني ذا رجل سوء . قلت : أنتهم فلسطيني ؟ قال : إني إدا لقوي » ^(٢)

ونقل بن حني عن أبي الحسن أنه سأل أعرابيا عن مخبر « حباري » ، فقال : « خيرور » ، وهذا جواب من قصد العرض ، ولم يحصل باللفظ ، دام بهم عرص أبي الحسن ، فجاء بالخيرور ؛ لأنه فرح الحباري ^(٣)

ومذكروه المؤرخون من أن أبا الأسود قد وضع بعض المصطلحات ، كالماصل ، والمفعول ، والمصاف ، والمصاف إليه ، ولتعجب ، وحروف النصب والرفع والجر ، فقد ذكرنا في البحث تسابق أن ذلك بعيد جدا ؛ لأن هذه المصطلحات لم تنصح إلا في مرحلة متأخرة من تاريخ النحو العربي ، وهي مرحلة النصوص والاكتفاء

وفي هذه المرحلة التي يحدث عنها بدأت مصطلحات السحوية تنصح وتأخذ شكل الاستقرار على يد الخليل بن أحمد ونسيده سيويه ، فقد ذكر الخوارزمي في معانيح العلوم عدة مصطلحات نسبتها إلى الخليل ، ومن ذلك

الرفع ، والنصب ، والخفض ، وهي ما وقع في أعجاز الكتم مونا ، والضم ، والفتح ، والكسر ، وهي ما وقع في أعجاز الكتم غير مونا ، وأما الجر فهو عنه ما وقع في أعجاز الأفعال المحرومة عند استقبال ألف الوصل ، أي كسره انتقاء الساكنين

(١) مدرسة البصريه د عبد الرحمن سيد ص ٣٢٤

(٢) نيبا ، البيان ٢ ٢٢ والعهد الجديد ٢ ٢٩٩

(٣) خصائص ٢ ٤٦٦

كما ذكر مصطلحات أخرى لتحليل بن أحد ومثل ها ، مثل الحرم ،
والنسكين ، والتوقيف ، والإمالة ، ونسرة ، واسوحة ، ولخشو ، وسحر ،
والإشمام ، والقعر ، والتمحيم والإرسال ، والإصباح ، والتيسير ^(١)

فالحرم عبده ما وقع في أفعال الأفعال ، نحو (اصرث) ، والنسكين
ما وقع في وسط الفعل ، والتوقيف ما وقع في أفعال الأدوات ، نحو مم
(نعم) ، والإمالة ما وقع على الحروف التي قبل انباءات امرسته ، نحو
(عسى) ، و (موسى) ، وحمل عبده لتمحيم ^(٢) وتسمى الإمالة
الإصباح ^(٣) ولوحيه موقوف في صدر الكلام ، نحو عيب (عمر) ،
ولحر ما وقع في أفعال الأسماء دون الأفعال غير موب مما يتوّن ، مثل لام
(لحم) من قولك (هذ لحمل) والإشمام ما وقع في صور كنه
استقوصة ، نحو (هيل) ، إذا أشم صفة ، ونقعر قبيل يتوحيه ، والتمحيم
ما وقع في أوساط الكتم على الألفات المهمورة ، نحو (سار) ^(٤)

وقد تطورت هذه المصطلحات على يد سيبويه فلما كانت مصطلحات
النحوية السابقة محتضنة بين لأفعال والأسماء جاء سيبويه فحددها ، فجعل الرفع
والنصب والحر والحرم في الإعراب ، وحمل تصح والكسر والنصب والتوقف
للأسماء غير الممكنة ، قال « فالرفع والحر والنصب والحرم بحروف
الإعراب ، وحروف الإعراب للأسماء الممكنة وللأفعال المضارعة للأسماء
الفاعلين ^(٥) وقال « وأما الفتح والكسر والنصب والتوقف للأسماء غير
الممكنة ^(٦) »

وقد تابعه البصريون في ذلك ، قال المبرد ، « وإعراب الأسماء على ثلاثة ،
على الرفع ، والنصب ، والحر . فإن كان مبيا لا يرول من حركة إلى
أخرى ، نحو (حيث) ، (بعد) ، قيل له مصموم ، ولم يقل - مرفوع

(١) انظر معانيج العلوم ص ٤٤ - ٤٦

(٢) انظر لمصنوعه ص ٣ وخصائص ٢ ١٤١

(٣) لمقنصب ٣ ٤٢

(٤) انظر شرح هذه المصطلحات في معانيج العلوم ص ٣ وما بعدها

(٥) الكتاب ١ ١٣

(٦) الكتاب ١ ١٥

لأنه لا يرول عن الصم و (أيس) و (كيف) يقال له مصوح ، ولا يقال له مصوب ، ونحو (هؤلاء) ، و (حذار) ، و (أمسي) مكسور ، ولا يقال له محرور ،^(١)

ولكن سيبويه لم يترجم هذه التعريف النظري بين حركات الإعراب وحركات البناء في بعض المسائل النحوية وعلى سبيل المثال ، جاء في الكتاب قوله « ورفعوا المنرد كما رفعوا قبل » و « بعد »^(٢) وقال أيضا : « المنرد رفع ، وهو في موضع اسم مصوب »^(٣)

وقد عثر بالحرم بمعنى البناء على السكون قال عبد حديثه في تدب المصاف إلى بناء المتكلم ، نحو (واغلامي) ، و (واعبادي) ، و (وريدي) فإنه يحور عنده (واريديا) ، قال « من قبل أنه إما جاء بالألف فالحقها الياء ، وحركتها في يه من حرم الياء »^(٤) وقال أيضا « وتقول « وعلام ريداه » إذا لم تصف ريذا إلى نفسك ، وإما حدثت النوين لأنه لا يحرم حرفان »^(٥) ، وإما يقصد أنه لا يلتقي ساكنان وقال أيضا « وإذا سميت رجلا (قل) ، أو (حف) ، أو (بيع) ، أو (أقم) قلت هذا قول قد جاء ، وهذا بيع قد جاء ، وهذا حاف قد جاء .. لأنك قد حركت آخر حرف ، وحولت هذا الحرف من المكان ، وعن ذلك المعنى ، وإما حدثت هذه الحروف في حال الأمر لكلا يحرم حرفان »^(٦)

وقد حارى البصريون الذين حنفو سيبويه في ذلك ، وعلى رأسهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، حيث لم يلتزم في بعض المسائل بالتمريق بينهما قال المبرد « فإن قال لك أخير عن الدار في قولك ريد في الدار ، قلت . التي ريد فيها الدار فالهاء في قولك (فيها) موصوف في موضع الدار »^(٧)

(١) المختص ١ ٤ ، ونظر الأصول في الحر ١ ٤٥

(٢) الكتاب ٢ ١٨٣ ١٨٤

(٣) مصدر المدي ٢ ١٨٣

(٤) مصدر منه ٣ ٢٢١

(٥) مصدر منه ٣ ٢٢٢

(٦) المصدر منه ٣ ٢١٩

(٧) المختص ٣ ١٠

وقال أيضا : « فإن جمع المؤنث أُنقِصت لعلامة الجرم نون فقلت : « نُتِرَ
تَعَلَّرَ ، وَهَرَّ نَعْنَسَ »^(١)

ويعد سبويه رحمه الله تعالى المُنْقِصَ الأول لمصطلحات البصريه ، حيث
وردت كثيرا في كتابه ، ثم اقتضى أثره الخاصون من الصريين ومن هذه
المصطلحات على سبيل المثال

عطف اليبس^(٢) ، والتوكيد^(٣) ، والرائد والخشوع^(٤) ، ولبس الشرية
(باب العطف)^(٥) ، وارتفاع وانصب والحر والحرم^(٦) ، وانصم ولفتح
والكسر والوقف^(٧) ، ولتعجب^(٨) ، والنازع^(٩) ، والبدن^(١٠) ، ونفعون
به^(١١)

وقد ستمل الكوفيون في هذه المرحلة مصطلحاتهم الخاصة على يد ائمة في
كتابهم « معاني المراد » وقد حالفوا الصريين في التعبير عن بعض
المصطلحات ، كما حالفوهم في عدم التفريق بين ألقاب الإعراب ولبس ، ومن
مصطلحاتهم التي توصل إليها المرء على سبيل المثال :^(١٢)

المرجه	= البدن ^(١)
لتفسير	تفسير ^(٢)
الرد	= اعطف باخرف ^(٣)
الصلة	= ارائد ^(٤)
الفعل لدايم	= سم ناعن ^(٥)
لكايد و لكبي	= الصمير ^(٦)

(١)	نصدر نفسه ٤ ، ٨٢ ، ٢٧ ، ٢	(٢)	نصدر نفسه ٢ ، ٢٠
(٣)	الكتاب ٢ ، ١٨٤	(٤)	نصدر نفسه ٢ ، ١٦ ، ١٧
(٥)	نصدر نفسه ٢ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢ ، ٢ ، ٥٢	(٦)	نصدر نفسه ١ ، ١٣
(٧)	نصدر نفسه ١ ، ١٥	(٨)	نصدر نفسه ٤ ، ٧٢
(٩)	نصدر نفسه ٣٧	(١٠)	نصدر نفسه ١ ، ٥
(١١)	نصدر نفسه ٣٦٧	(١٢)	معاني المراد ٨
(١٣)	نصدر نفسه ١ ، ٢٢٦	(١٤)	نصدر نفسه ١ ، ٨
(١٥)	نصدر نفسه ١ ، ٨	(١٦)	معاني المراد ٣٥ و ٤٥
(١٧)	نصدر نفسه ١ ، ٥ ، ١٩		

ما لم يسم فاعنه = نائب الفعل (١)
المجهول = صمير النشأ أو القصة (٢)

وقد مثل في هذه المرحلة كثير من المظاهر في الدرس النحوي غير ما سبق ذكره ومن ذلك ظهور منكة التصيغ والتسويق ، ويظهر ذلك من كتاب سيويه اندي بدعه على غير مثال (٣) ، والذي يُعدّ أقدم ما وصل إلينا في النحو

وقد أُنْف في الصف الثاني من المائة الثانية من المحررة ، فجمع مواد ومسائل ، وقام تنويعها ، ثم ذكر آراء السابقين وناقشها ، ثم أضاف عليها إصاغات من عنده في مادة وانهج م يدل على سعة اطلاعه وعراة علمه ، حيث لم يترك من مسائل النحو صغيرة ولا كبيرة

ولا يعيبه ما قيل من الخلط في ترتيب أبوابه ، كحديثه عن انقسم وحروفه بين التصغير ، وحديثه عن نوني التوكيد من ناحية أخرى ، وهذا البحثان من البحوث النحوية ، وما قيل من التكرار ، حيث قد تحدث عن المسند والمسند إليه في أول الكتاب ، فيذكر المبتدأ والخبر وما يتصل بهما من أحكام ، ويورد أمثلة وشواهد على ذلك ، ثم يعود إلى ذلك في الباب الثاني والثلاثين بعد المائة و١٤٠ عشر ، لسيويه بأنه أُلْفه على غير سابق أو موال ، ويكفيه محرراً أن التالي م يستطيعوا أن يصيغوا شيئاً يذكر على ما توصل هو إليه

(١) المصدر نفسه ١ / ٢٥٧

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٢٨٧ ، وانظر كتابنا مصطلحات النحو الكوفي

(٣) نشأة النحو للمنطوي ص ٢٢

مقارنة بين الدرس النحوي في المرحلتين السابقتين

وبعد تصهر الفروق بينها بين مرحلتين الأولى ، ثالثة من مرحلتين درس
النحوي ونسحق هذه الفروق على النحو الآتي

المرحلة الأولى

- ١ - هتمو باللعه - عابها أداة لعمل لفر ي
- ٢ - اعلمو على سبيعة النعوية دور - معاد في عقل
- ٣ - التركيب على تفسير الظواهر الإعرابية ده - عوص في معرفة أسر
التعبر كما بينا دنت من قبل

المرحلة الثانية

- ١ - هتمو باللعه ده
- ٢ - أجدو يوصون بالمثل وحكامه وتصميمها على القواعد والأصون
سحوية النعمه ، ونحوه في معاد اشوهد ساديه عسبه سي لا يطبق على
هذه القواعد والأصون
- ٣ - طئمو على النصوص النعوية ما توصو إليه من قواعد والأقسه
وسعيل ، متأثرين بها حوهم من بحث ودرست كالمدرست لفقهييه
والكلامية وهذا اشمون في درسة لبعه العربيه جمعهم يوصون إلى بعض
لأصون وقواعد سي ١ يوصل إليها رجات مرحله الأولى

الفصل الثالث
المرحلة الثالثة من تاريخ النحو العربي
مرحلة النضوج والاكتمال

١ - رجال هذه المرحلة

بدأ هذه المرحلة من أي عثمان بكر بن محمد اندري (ت ٢٤٨ هـ) ،
 إمام الطبقة السادسة ابصرية ، ومن أي يوسف يعقوب ابن إسحاق سكيت
 (ت ٢٤٦ هـ) ، إمام الطبقة الرابعة لكوفية ، وسبي بن يحيى بن محمد بن
 يزيد المرزد (ت ٢٨٥ هـ) ، إمام طبقة السابعة ابصرية ، وأبي العباس
 أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، إمام طبقة الخامسة الكوفية

وقد اشتهر في هذه المرحلة رجال من المدرسين كان هم بعض الإسهامات
 في تطور النحو العربي فمن ابصريين أبو عثمان اندري ، وأبو عمر صالح بن
 إسحاق خرمي (ت ٢٢٥ هـ) ، وأبو محمد عبد الله بن محمد لثوري
 (٢٣٨ هـ) ، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٠ هـ) ،
 وأبو اعصل العباس بن لمرح الملقب بالثريشي (ت ٢٥٧ هـ) ، وأبو
 عباس محمد بن يزيد المرزد (ت ٢٨٥ هـ)

- (١) نظر ترجمته أخبار النحويين بصريين ٨٥ - ٩٥ وطبقات النحويين والنعويين ٨٧ - ٩٢
 ونباه الرواة ٢٤٦ - ٢٥٦ ومراتب النحويين ٧٧ - ٨٠
- (٢) نظر ترجمته طبقات النحويين والنعويين ٢٢ - ٢٤ ونباه الرواة ٥٠ - ٥٣ ونباه
 النوع ٢ ٣٤٩ ووجبات لأعيان ٦ ٣٩٥ - ٤
- (٣) نظر لترجمته أخبار النحويين بصريين ص ١٥ - ٣ وطبقات النحويين والنعويين
 ص ١١ - ١ ومراتب النحويين ص ٨٣ ونباه الرواة ٣ ٢٤ - ٢٥٢
- (٤) نظر لترجمته طبقات النحويين والنعويين ص ٤ - ٥ ونباه الرواة ٩٠ - ٩٣ ووجبات
 لأعيان ١ ١٧٤ ووجبات لأعيان ٢ ١٢ - ٤
- (٥) نظر لترجمته أخبار النحويين بصريين ص ٨٤ - ٨٥ ومراتب النحويين ص ٧٥ - ٧٧
 وطبقات النحويين والنعويين ص ٧٤ - ٧٥ ونباه الرواة ٨٠ - ٨٣
- (٦) نظر ترجمته أخبار النحويين بصريين ص ٩٥ - ٩٧ ومراتب النحويين ص ٧٥ وطبقات
 النحويين والنعويين ص ٩٩ ونباه الرواة ص ٢ ١٢٦
- (٧) نظر ترجمته أخبار النحويين بصريين ص ٢ - ٤ ومراتب النحويين ص ٨٢ - ٨٣
 وطبقات النحويين والنعويين ٩٤ - ٩٥ ونباه الرواة ٢ ٥٨ - ٦٤ ووجبات لأعيان
 ٢ ٤٣٠ - ٤٣٤
- (٨) نظر ترجمته أخبار النحويين ابصريين ص ٩٨ - ١٠٠ ومراتب النحويين ص ٧٥ وطبقات
 النحويين والنعويين ص ٩٧ - ٩٩ ونباه الرواة ٢ ٢٦٦ - ٢٧٣ ووجبات لأعيان
 ٣ ٢٧ - ٢٨

ومن الكوفيين أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (٢٤٦ هـ) ،
وأبو جعفر محمد بن سعدان الصريز (ت ٢٣١ هـ)^(١) ، وأبو عبد الله محمد
بن أحمد بن عبد الله الطوأل (ت ٢٤٣ هـ)^(٢) ، وأبو العباس أحمد بن يحيى
المعروف بشعب (ت ٢٩١ هـ)

٢ - الجهود الإبداعية في النحو في هذه المرحلة

وقد برز في هذه المرحلة بعض الجهود الإبداعية في النحو العربي ، سواء
أكان في تأليف أم في بناء الأصول والقواعد وعرض المادة النحوية وأبرز
هذه المظاهر ما يلي

أولاً استقلال علم التصريف عن النحو في التأليف .

ذكر السيوطي أن أول من وضع علم التصريف هو شيخ النحو الكوفي أبو
مسلم معاذ بن مسلم الهراء الكوفي (ت ١٨٧ هـ)^(٣) ، على حين يذكر
بروكلمان في تاريخ الأدب العربي أن أول من وضع التصريف هو معاصر الهراء
وابن أخيه محمد بن الحسن بن أبي سارة المعروف بابن جعفر رؤسي (ت نحو
١٩٠ هـ)^(٤) ؛ لأن المصادر تذكر أنه ألّف كتاباً في التصريف

وقد استند السيوطي على ما ذهب إليه بالمناقشة التي دارت بين معاذ بن
مسلم الهراء وأبي مسلم ، مؤدّب عبد الملك بن مروان ، فقد كان أبو مسلم
هدا قد نظر في النحو ، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسه وأنكره وجلس
إلى حنيفة معاذ بن مسلم الهراء ، فسمعه يقول برجل كيف هو من
(تَوَرَّهْمُ^(٥)) ،^(٦) لا يا فاعل افعل ، وصلها بـ لا يا فاعل افعل ؛ من (ورد
الموعودة شئت)^(٧) ، فسمع أبو مسلم كلاماً لم يعرفه ، فقام ، وقال

(١) انظر ترجمته طبقات النحويين واللغويين ص ١٣٩ وإليه الرواة ٣ - ١٤ ؛ غايه النباه في صمد
الهراء ٢ - ١٤٣

(٢) نظر ترجمته وإليه الرواة ٢ - ٩٢ وبعبارة الرواة ٢ - ٥ ؛ طبقات النحويين واللغويين ص ٣٧

(٣) انظر ترجمته طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٥ وإليه الرواة ٣ - ٢٨٨ - ٢٩٥ ورواه
لأعيان ٥ - ٢١٨ - ٢٢١ ؛ سير أعلام النبلاء ٨ - ٤٨٢ - ٤٨٤

(٤) انظر ترجمته ؛ طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٥ والفهرست لأبي النديم ص ٦٤ وبعبارة الرواة ٥
٨٢ - ٨٣ وإليه الرواة ٤ - ١٥ - ١٩ ورواه النحويين ص ٢٤ ورواه لأبياء
٥٤ - ٥٥

(٥) سور مريم ٨٣ (٦) سور الشكوير ٨

فَدَكَانُ أَخَذَهُمْ فِي الْحَوِ يَعْنِي
لَمْ يَسْمَعْتُ كَلَامُ سِتْ أَفْهَمَهُ
بَرَكَتُ خَوْفِهِمْ ، وَ بِهِ يَعْنِي

في حياه معاند الكفر و الفسق

حَتَّى تَقَاصُوا كَلَامَ لُزْنٍ وَالدُّرُومِ
كَذَلِكَ رَحِلٌ مَرَّارٌ وَلِيَوْمٍ
مَنْ لَتَمَحَمَةً فِي تَدَثٍ خَرْنَمِ

عاجتها أُمرد حبي ١٥
سَمِيَتْ من يعرفها حَسْبًا
مَهْلًا من كل مستصحب

شَبَّ وُجْهُهُ نَحْسٌ أَبَاحَ هَسْ
يُصْدِرُ هَبْ مِنْ بَعْدِ هَبْ
طَوْدٌ عَلَا عَرَلٌ مِنْ أَصَوْدَهَا

وأحب بريدي عن هذه مسألة بقوة * وحوب المسألة (ي ر)
 (ر) ، وإب شئ (ر) ، وإب شئ (ر) ، وإب شئ (ر) ، وكسك
 (يوالد ر) ، مثل (يوالد ر) * (ر)

وقد استوطى عفيف على هذه الحادثة ٨ ومن هذا نمط أول من
وصى نصريف معاد هـ ١٠١٠ والحق أن عمل معاد هـ لا يخرج عن كونه
نمط في مسئلة من مسائل التعمير غير عفيف في نصريف السيد عبد الله
هـ عصر ، بحيث لا يؤدي إلى القول بأنه أول من وصى نصريف

و لكن صحیح ان نشأۃ عدم انتصریف کاتب مصاحفہ نشأۃ سحر و بعمامہ ،
 لأن لأحطاء کسی دعب من لتفکیر فی نشأۃ سحر کانت أخصاء فی ترکیب ،
 و فی سبیه ، کما ذکرنا دلت مدید عند حدیث عن سبب نشأۃ سحر فقد
 ذکرنا ههنا ان من مظاهر سحر لخصا فی بیه تکلمه صو و حروف ، و من
 دلت مدرواه ابو عثمان عمرو بن حرب بن محبوب مصری ، معرووف
 بـ (خط) (ب ۲۵۵ هـ) من ان من سحر سمع فی سادیه (هده عصای)
 بس (هده عصای) ، و غیر دلت من الأمثله سی ذکرنا فی مسحت

(نظر طبقات المحرمين والمحرمين ص ٢٥ ٢٩٢ ٣٣٠ ٥ ١ ٢٠)

(٢) مظهر طبقات حجب و مدهویه ص ٢

(۳) بعد از نماز عشاء ۲۹۹

١٤. نظر لفرجه صبح اعلام النبلاء ١ ٥٢ ٥٣ = ٢ ٨ ٥٣ = ٢ ٨ ٥٣

• وقاب الأعداء ٣ • ٥٧٥

المعارف و المعارف

السابق فالنحو اندي طراً على العربي و كان سبباً في نشأة النحو كان خطأ في الإعراب ، كما كان خطأ في اليبية

ولما بدأ التأليف في النحو ظلت المباحث التصريفية مدرجة في علم النحو ؛ لأن النحو عند تقدمي يشمل النحو بمدلوله الشامل الذي يشمل النحو والتصريف وفقه اللغة والبلاغة والعروض والبحث في لهجات ولغات العرب وجر مثل لذلك كتاب سيويه ، أول مؤلف في النحو ، فقد كانت مباحث التصريف فيه مختصة بالبحوث النحوية

ثم بدأ التفكير في التأليف في بعض الجرائد في علم لتصريف فذكرت في بعض المصادر بعض هذه المؤلفات ، ومن ذلك كتاب جمع والإفراد^(١) وكتاب التصغير^(٢) المنسوب لأبي جعفر لرؤاسي (ت ١٩٠ هـ) ، وكتاب المصادر^(٣) المنسوب لنكسائي (ت ١٨٩ هـ) ، وكتاب مصادر^(٤) منسوب إلى أبي عبيدة معمر بن المنشى (ت ٢١١ هـ) ، وكتاب في مصادر القرآن ، وكتاب في الجمع وتنشئة ، وكتاب في التأنيث والتذكير ، وكتاب في الممدود والمقصور ، وكتاب يعرف بـ « يافع ويبعة » ، كتبها لأبي زكريا ، يحيى بن زياد النخعي (ت ٢٠٧ هـ)^(٥) — وقد ذكر أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) أنه نقل من كتاب المصادر للنخعي ، حيث قال : « وقرأت في المصادر للنخعي نقطة لما يلتقط »^(٦) ، وكتاب المصادر^(٧) المنسوب للأصمعي (ت ٢١٥ هـ) ، وكتاب المقصور والممدود^(٨) لأبي عبيد لقاسم بن سلام الجمحي (ت ٢٢٤ هـ) ، والمقصور والممدود^(٩) لإبراهيم بن يحيى بن أبي إسحاق ليبردي (ت ٢٢٢ هـ)^(١٠) .

-
- (١) انظر طبقات النحويين والعلويين ليزيدي ص ١٢٥
(٢) انظر إنباء الرواة ٤ ٧ (٣) انظر نعيه الوعاة ٢ ١٦٤
(٤) انظر إنباء الرواة ٣ ٢٨٦
(٥) انظر مقدمه تهذيب اللغة للأزهري ص ٢٩ تحقيق بسام عبد الوهاب الحبي در البصائر ، دمشق الطبعة الأولى ١٤٥ هـ
(٦) انظر تهذيب اللغة ٢ ٧
(٧) انظر المصدر نفسه ٢ ٣ ٢
(٨) انظر المصدر نفسه ٣ ٢٢
(٩) انظر نعيه الوعاة ١ ٤٣٤
(١٠) انظر تهذيبه الوعاة ١ ٤٣٤

وجنّ هذه الكتب لم تصل إلينا ، وهي بحوث في مسائل حرثية ، ولم
تعرض لكتابات التصريف ، وقد ظل علم التصريف مدرجا في علم النحو
حتى جاء أبو عثمان المازني (ت ٢٤٨ هـ) ، إمام الطبقة السادسة من
البصريين ففصل مباحث التصريف في مصنف مستقل ، وهو كتاب
« التصريف » ، مما يُعدّ أول شحفيه بحوية تعرضت لفصل هذه مسائل
التصريفية عن التي تناولها النحو ، حيث يعد كتابه « التصريف » أول مصنف
في التصريف وصل إلينا

جاء في كتاب مفتاح السعادة أن أول من دوّن علم التصريف هو أبو عثمان
بكر بن محمد بن حبيب المازني ، وكان قبل ذلك مدرجا في علم النحو^(١)
كما جاء في كشف الظنون^(٢) مايلي : « وكتاب المازني في التصريف ككتاب
سيبويه في النحو ، لأن كلا منهما أصل ، ذاك في النحو وهذا في التصريف »
وما سبقه من التأليف في بعض جرثيات التصريف — كما ذكرنا —
لا تشكل بحوثا شاملة في مسائل التصريف كلها ، يجعل المازني هو صاحب
الإبداع في التصريف ، حيث جمع في كتابه موضوعات التصريف المتناثرة في
كتاب سيبويه وغيره ، ثم قام بتنظيمها لأول مرة وصاغها صياغة علمية
متقنة^(٣)

فهو الذي نظم قواعده ومسائله ، وهو الذي فصله عن النحو ، وجعله
علم مستقل قسيما للنحو ، مبيّنا أبعده وأقيسته وتمايزه الكثيرة العملية وغير
العملية ففتح باب التأليف فيه لمن جاء بعده من العلماء ، كأبي علي حسن
أحمد بن عبد العطار العامري (ت ٣٧٧ هـ)^(٤) ، صاحب « التكملة » ، وأبي
الفتح عثمان بن حني (ت ٣٩٢ هـ)^(٥) صاحب « المصنف » وغيرهما من
العلماء

(٢) كشف الظنون ٣ ، ٢٨٨

١ مفتاح السعادة ١ ، ١١٣

(٣) نظر مدارج الحوية ص ١١٨

٤ نظر ترجمته إنباه الرواة ١ ، ٨ ، ٣ وبعيه الوعاء ١ ، ٤٩٦ — ٤٩٨ والأعلام سرر كني
٢ ، ١٧٩ — ١٨٠

٥ نظر ترجمته إنباه الرواة ٢ ، ٣٣٥ — ٣٤٢ وبعيه الوعاء ٢ ، ١٣٢

وقد كان المازني مؤهلاً لذلك ، حيث اشتهر عنه كثرة ماضراته في مسائل التصريفية ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره الرندي من أن يعقوب بن السكيت حصر عند الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) ، فقال الواثق للمازني ، وكان حاضراً معه عن مسألة ، فقال المازني لابس السكيت : ماورن « نكتل »^(١) من العمل ؟ فقال : « نفعل » ، فقال الواثق عجبك ثم قال للمازني : فستره . فقال « نكتل » تقديره (بفعل نكتيل) ، فانقلبت الياء ألماً لفتح ما قبلها فصار لعظها (نكتال) ، فأسكنت اللام للجزم ، لأنه جواب الأمر ، فحدثت الألف لانتقاء الساكنين . فقال الواثق هذا الجواب ، لا جوابك يا يعقوب ^(٢) .

قال المازني أيضاً : « وحصرت يوماً آخر واجتمع جماعة نحويي الكوفة ، قال لي الواثق يا مازني ، هات مسألة ، قلت : ما تقولون في قول الله تبارك وتعالى : (وما كانت أمك بغيا)^(٣) لم لم يقل : بغية ، وهي صفة لمؤث ؟ فأجابوا بجوابات عمر مرصية ، فقال لي : هات ، قلت لو كان « بغي » على تقدير « فعل » بمعنى « فاعلة » للحقتها الهاء ، مثل كريمة ، وظريفة . وإنما تحذف الهاء إذا كانت في معنى « مفعولة » ، في نحو (امرأة قتيل) ، و (كف خصيب) . و « بغي » ههنا ليس بـ (فعل) ، وإنما هو (فعول) ، لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث ، نحو (امرأة شكور) ، و (بئر شطون) إذا كانت بعينة الرشاء ، وتقدير « بغي » : « بعوي » ، فلبت الواو ياء ثم أدمجت الياء في الياء ، فصارت ياء ثقيلة ، نحو سيد ، وميت ^(٤) .

فقد وسع أبو عثمان المازني دائرة التصريف حيث شمل عنده

١ - أبية الكلمات . الأسماء والصفات والأفعال

٢ - ما في حروف هذه الكلمات من أصل وريادة وحذف ، وحركة

(١) سورة يوسف ٦٣

(٢) طبقات النحويين والنحويين للرندي ص ٨٩ ، وفي الإنباء ١ ٢٨٥ ، شوكل ، مكاء
« الواثق »

(٣) سورة مريم ٢٨

(٤) طبقات النحويين والنحويين للرندي ص ٨٩ ، وانظر بهم الرعدة ١ ٤٦٤ وإنباء الرواة
١ ٢٨٩ ٢٩٠

وسكوب ، وقلب وإبدال ، وصحة وإعلال ، وإظهار وإدغام وتصعيف وغير ذلك مما يتصل بالنمط المفرد (١).

ثانياً محاولة صياغة المادة النحوية صياغة جديدة

يعد المبرد أول شخصية نحوية بعد سيبويه تصدت للمادة النحوية ونساوها بالشمول ، وصياغتها وترتيبها في مهبج يختلف عن مهبج سيبويه فقد حاول ذلك في كتابه «المقتضب» ، وغيره رغم تبعيته لسيبويه وتأثره به في شواهد وقواعده

وقد نأى ذلك محقق الكتاب الشيخ عبد الخالق عصبه رحمه الله ، الذي حاول أن يرّد أغلب المسائل النحوية في المقتضب إلى أصولها في كتاب سيبويه ، وقد بدت هذه المسائل وكأنها منقولة من الكتاب فقد تأثر بما ورد فيه من مادة نحوية ، ومن أحكام وآراء تتصل بهذه المادة

يقول المحقق رحمه الله « وقد تعامل تأثر سيبويه في أعماق المقتضب » (٢) وقد بلغت نصوص سيبويه التي تضمنها تحقيق المحقق (١٥٥٠) نصاً (٣) وعند شواهد سيبويه فيه (٣٨٠) شاهداً (٤) وذكر سيبويه والتحليل في مواضع تريد على المائة ونقد المبرد سيبويه في (١٣٣) مسألة نحوية (٥)

كما تأثر به أيضاً في التسمية ، حيث إن كتابه «المقتضب» يسميه هو «الكتاب» مقتدياً بسيبويه ، جاء في الكامل « وهذا الباب قد شرحناه في الكتاب المقتضب » (٦) ويقول في موطن آخر « أنينا عليه في الكتاب المقتضب » ، و « واستقصياه في الكتاب المقتضب » (٧)

ولكن على الرغم مما سبق فإن المبرد قد أضاف حديثاً في الدرس النحوي ويمثل هذا الجديد فيما يأتي

-
- | | | | |
|-----|----------------------------------|-----|--------------------------|
| (١) | انظر كتاب المصنف ، الخاتمة ٣ ٢٧٦ | (٢) | مقدمة تحقيق المقتضب ص ٨٨ |
| (٣) | مقدمه ص ١١٩ | (٤) | المصدر السابق ص ١١٥ |
| (٥) | مقدمه ص ٨٩ ١١٢ | (٦) | الكامل ٢ ٦٥ |
| (٧) | مصدر مقدمه ٢ ١١٧ | | |

١ — محاولته استخلاص القاعدة والتركيب عليها

٢ — نصيف المعاني المماثلة في ذهن المتكلم وتصوراته خادعا للصيغ اللغوية المعبرة عن هذه المعاني في الدرجة الثانية ، على حين كان سيبويه يهتم بالقوالب اللغوية المشتركة في الظواهر النحوية والخصائص التركيبية بتركاً أمر المعنى ، وأمر الحكم النحوي إلى عملية الاستنباط والاستنتاج (١) فكثيراً ما تقرأ للمبرد : « واعلم أنك إذا أردت كذا كان كذا » ، أو عبارات بالمعنى نفسه ، على حين يقدم سيبويه : « ونقول العرب كذا » ، أو « يقول الله عز وجل » ثم يمضي في ذكر النصوص النحوية المشتركة في خاصية لغوية ، أو ظاهرة نحوية

٣ — محاولته صقل المصطلحات النحوية وتحديدتها واحتصارها ، على عكس ما كان عند سيبويه . فمن ذلك على سبيل المثال ، لا يختصر أن سيبويه كثيراً ما يعبر بـ « المصمر » في مقابل « الصمير » ، فلما جاء المبرد تطور عنده مصطلح « المصمر » إلى « الصمير » ، فصار يعبر بالمصمر والصمير على حد سواء ، مما يجعنا نقول : إن بداية تطور مصطلح « المصمر » إلى « الصمير » بدأ عند المبرد (٢)

وقد عبر سيبويه بمصطلح « التأنيث الحادث » لدلالة على مصطلح « التأنيث غير الحقيقي » يقول سيبويه : « فإن قلت ما تقول في رجل يسمى بـ (عُوق) ؟ فإن عُوقاً بمرله « حروف » ، لأن هذا التأنيث هو التأنيث الذي يجمع به المذكور ، وليس كتأنيث « عاق » ، ولكن تأنيث تأنيث الذي يجمع المذكورين ، وهذا التأنيث الذي في (عُوق) تأنيث حادث » (٣) على حين عبر المبرد بالموث اللغوي والموثن الحقيقي ، يقول « والتأنيث والتذكير في الواحد على صريين . أحدهما حقيقة ، والآخر لفظ . » (٤)

وقد عبر سيبويه بـ « الجمع على حد التثنية » ، بمعنى جمع المذكور السالم ، على حين عبر المبرد بـ (الجمع الصحيح) ، إلى جانب مصطلح (الجمع الذي

(١) نظر الدرس النحوي د حسن عويص ص ٦٨

(٢) نظر مقتضب ٤ ٢٧٩ — ٢٨٠

(٣) الكتاب ٣ ٢٤

(٤) المقتضب ٣ ٣٤٨ و نظر ٣ ٣٤٩

على حد التشبيه) يقول المبرد : « أما الواو فعلامه الرفع ، وأما النون فمد من الحركة والتنوين اللذين كانا في الواحد ، ويكون فيه في الجر واسصب باء مكان الواو ، ويستوي الجر والصب في هذا الجمع ، كما استويا في التشبيه : لأن هذا الجمع على حد التشبيه ، وهو الجمع الصحيح » (١) وأما سيبويه فيقول : « وإذا جمعت على حد التشبيه لحقته رهاذتان . » (٢) هذا المبرد يشترط في ضرورة سلامه بقاء الواحد في الجمع جمع المذكر وجمع المؤنث

وعبر سيبويه بمصطلح : المفعول فيه ، أو : المكون فيه ، عن الظروف ، فقال : « فانتصب لأنه مفعول فيها ومكون فيها » (٣) وقد عبر المبرد عنه بمصطلح : المفعول فيه ، قال : « فإن كان فائز فما لك تقدم الظروف ، وهي مفعول فيها ، والعامل معنى الفعل » (٤)

وأكتفى هذه الأمثلة : لأن المجال ليس مجال مقارنة بين المصطلحات عند سيبويه والمبرد ، وإنما القصد التشبيه على أن المصطلحات الحوية قد تطورت وصقلت وحدثت على يد المبرد من خلال كتاب : انقصب .

٤ - كما حاول أن يكمل ما فات سيبويه من التعريفات والحدود ، فمثلا عرّف الأسـ الذي لم يعرفه سيبويه فقال : « فأما الأسماء فما كان واقعاً على معنى ، نحو رجل ، وهرس ، ورید ، وعمرو ، وما أشبه ذلك » (٥)

٥ - كما استطاع أن يريـ بعض انشواهد على سيبويه في نقطه من رجال لبعه وروايه مما احتج به الأسلاف ، وما نقطه من كتب علماء النحو واسعة من أمثال أبي ريد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) (٦) ، والأصمعي (ت ٢٢٦ هـ) ، وابن الأعرابي ، أبي عبد الله محمد بن ريد (ت ٢٣١ هـ) (٧) ، وأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٩٠ هـ) (٨)

(١) المصدر نفسه ٥
(٢) المصدر نفسه ١ ٢ ٤ ٤ ٤
(٣) المصدر نفسه ٣
(٤) المصدر نفسه ٣
(٥) المصدر نفسه ٣
(٦) انظر ترجمته خزانة الحويين بصريه ص ٦٨ - ٧٢ ، مرآة الحويين ص ٤٢ - ٤٤ وخطبات الحويين والنعميين ص ١٦٥ - ١٦٦ ونباه الرواه ٢ ٣ ٣٥
(٧) انظر ترجمته خطبات الحويين والنعميين ص ١٩٥ - ٩٧ ونباه الرواه ٢ ٣ ١٢٨ - ١٢٧
(٨) انظر ترجمته خطبات الحويين والنعميين ص ١٨٣ ونباه الرواه ٢ ٣ ٣٢٦ - ٣٢٨ ونباه الرواه ٢ ٣ ٢٧٤ - ٢٧٥

جاء في المقتضب . « وأنشدني الريادي [أبو إسحاق إبراهيم بن
سفيان] (١) عن الأصمعي لأعرابي

لا تشنري لبس البعير وعددا عرق الرجاجة وأكف المعصار » (٢)

وجاء في المقتضب أيضا : « فأما قولهم في « عين » (أعين) فإنه جاء
على الأصل مثل كلب وأكلب ، و (أعيان) على الباب وقال لأحر
فقد أروع قلوب العائيات به حتى يملن بأجساد وأعيان » (٣)

وقد بين محقق المقتضب أن المبرد استشهد بـ (٥٦١) شاهد شعري ، من
(٣٨٠) شاهد أحدها من سيبويه (٤)

٦ — كما توصل أيضا إلى بعض الأسس والقواعد في القياس والتفعيد ، ومن
تلك القواعد والأسس التي توصل إليها

أ — أن الرواية التي توافق القياس مقبولة ، وأما التي تخالفه فلا يؤخذ به
وعلى أساس هذا المبدأ الذي توصل إليه براه يرفض ما ينه غيره ومن ذلك أنه
أنكر ما قاله سيبويه في رجم الاسم في غير النداء للضرورة معتمدا على قول
الشاعر :

ألا أصبح جبالكم رماما وأصحت ملك شاسعة أماما (٥)
فرغم المبرد أن الرواية الصحيحة هي

« وما عهدكم هذا يا أماما » (٦)

وأنكر أيضا على سيبويه أن يجبر إسقاط الراء الربطة لحواب لشرط في ضروره
الشعر ، منكرا عليه الاحتجاج بقول عبد الرحمن بن حسان
من يفعل الخسرات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلال
وتمسك بما رواه الأصمعي

(١) انظر ترجمته اخبار النحويين البصريين ص ٩٧ — ٩٨ وطبقات النحويين والدمويين ص ٩٩
وربما الرواة ١ / ٢٠١ - ٢٠٢

(٢) المقتضب ٢ / ١٩١ (٣) نصير ص ٢ / ١٩٩

(٤) مقدمه المقتضب ص ١٥

(٥) اليب الحرير ، انظر ديوانه ٢ / ٥٠ ، والكتاب ٢ / ٢٧

(٦) وهي رواية الديوان ، وانظر مواد أبي زيد ص ٣١ والتصريح ٢ / ١٩ والخزانة (بولاق)
٣٨٩

من يفعل الخير فالرحمن يشكره^١

ومن ذلك أيضا ما عرّض به على سيويه من تسكين المصارع في الضرورة من قول الشاعر

هـايوم أشرت غير مسحوب^٢ إنما من الله ولا وعل^٣
مدعياً أن الرواية الصحيحة « هـايوم فاشرب » ، فيكون الفعل من حيث
به فعل أمر وقد تنقد ابن جني هذا التصرف من أبي العباس المبرد بقوله
« واعترض أبي العباس في هذا الموضع إنما هو رد للرواية ، ونحكم على السماع
بشهره مجردة عن نصه »^(٤)

ومن ذلك يستنتج أن لبنت المتعدد لروايات لم يكن أصلاً راسخاً عند
مبرد ، وأنه كان إذا لم يستطع أن يلتزم وحدها لبعض الروايات فإنه يسكره
محتجاً برواية أخرى ، بمعنى أنه يصحح القواعد بناء على اختلاف الرواية
ونقد كان المبرد عيباً في تطبيق هذا القياس لعقبي إلى درجة أنه يرفض
رواية وردت من سيويه رواته عن العرب ، فقال « والسماع الصحيح
والقياس المطرد لا تعترض عليه رواية شاذة »^(٥)

ب — من القواعد التي توصل إليها قوله

« إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم فصل إعراب على إعراب في
المرآة ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فصلت الأقوى »^(٦)
وقونه « كل ما صبح به معنى فهو جَد ، وكل ما فسد به المعنى
فمردود »^(٧)

وقونه : « إذا جعلت النواذر والشواذ عرصك واعتمدت عليها في مقاييسك
كثرت لائنك »^(٨)

(١) نظر الكتاب ٣ ٦٥ و ١١٤ و مقتضب ٢ ٧٢ - ٧٣ و ٢٠٢ أبي زيد ص ٣١ - ٣٢
ومعنى النبي ص ٨

(٢) البيت لأمرئ القيس ، نظر ديوانه ١٢٢ و كتاب ٤ ٤ ٢

(٣) خصائص ٧٤ - ٧٥ و نظر كتاب ٤ ٢٠٤

(٤) نظر الكامل في اللغة والأدب ٤ (٥) مقدمه مقتضب ص ١١٤

(٦) مختصر نفسه ص ٤ (٧) لأسياء والنظار ٢ ٤٩

وهذا ما جعل العلماء يشيرون به ، رحمه الله ، فقد قال ابن حني عنه
 « يُعَدُّ حبلاً في العلم ، إليه أفصب مقالات أصحابنا (أهل النصرة) ، وهو
 الذي نقلها وقررها ، وأخرى الفروع والعمل والمعايير عليها » (١)
 وقال عنه الأزهري في مقدمة معجمه « وكان أعظم أساس مذهب
 البصريين في النحو ومقاييسه » (٢).

ومن رجال هذا الطور من الكوفيين « ثعلب » ، أبو العباس أحمد بن يحيى
 (ت ٢٩١ هـ) ، ثالث شخصية قامت على أعمالهم المدرسة الكوفية (٣) فهو
 يمثل طاراً كوفياً أصيلاً يعتمد على الرواية ، وعدم الأحاد والأساليب الخدلية
 النظرية ، كما عرف عن معاصريه من البصريين ، كالمراد جاء في إنباه الرواه
 « لم يكن مسحرجاً للقياس ، ولا طائلاً له ، وكان يقول - قال المرء وقال
 الكسائي ، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء » (٤)

ويقول أحد أصحابه : « يلعي أن أبا العباس أحمد بن يحيى النحوي قد
 كره الكلام في الاسم والمسمى ، وقد كرهت لكم ما كره أحمد بن يحيى ،
 ورصيت لمسي ولكم ما رصي » (٥)

فأحيا ثعلب في هذه المرحلة المذهب الكوفي الذي تم وضعه على يد الكسائي
 والمرء ولكن كان اعتماده على المرء في المسائل الخريئة دون الاعتماد عليه في
 الناحية المسحية ويظهر ذلك في كتابه الموسوم بـ (مجالس ثعلب) .

وقد استعادت المدرسة الكوفية من بعض الأساليب ، ما اشتهر عنه من كثرة
 حفظه للمرويات الواسعة ، وفهمه للأخبار والأشعار ، ثم اعتداده بالنشاط
 اللغوي بعض الأعلام بعد عصور الاستشهاد ، فيعدُّ أحد النحاة الذين اعتدوا
 بهذا النشاط أساساً يعتمد عليه في التقعيد وأصلاً يستند إليه (٦)

(١) سر صناعة لإعراب ١ - ١٢٩ - ١٣

(٢) مقدمه تهذيب اللغة ص ٢٧ (٣) مدرسة الكوفة ص ١٨٤

(٤) إنباه الرواه ١ - ١٧٩ وطبعات الزبيدي ص ١٤

(٥) إنباه الرواه ١ - ٧٧ و ١٤٤

(٦) نظر أصم - التفكير النحوي ، د علي بو مكارم ص ٢٥٨

الفصل الرابع
المرحلة الرابعة من تاريخ النحو العربي
مرحلة الترجيح والاختيار
والاجتهاد

١ - بغداد والبغداديون

« تأسست بغداد في منتصف بقرون ثلثي هجري وصدرت حاضرة الخلافة عباسية وقد إليها علماء البصرة والكوفة ، يشدون الحصوة وسيرة رفيعة عند الخفاء والأمرء »

فمن البصريين الذين رحلوا إلى بغداد عيسى بن عمر الشافعي ، الذي صدر كسائي عند منصور ، الخليفة العباسي الثاني (١٣٦ - ١٥٨ هـ) كما ذهب إليه سيويه ، حيث التقى بجماعة من الكوفيين ، وكان له معهم مناصرات ، أشهرها ما يعرف باسمألة الربورية ^(١) ومن البصريين الذين وفدوا على بغداد أبو محمد يحيى بن المبارك البصري (ت ٢٠٢ هـ) ^(٢) ، الذي صدر الكسائي عند المهدي ، الخليفة العباسي الثالث (١٥٨ - ١٦٩ هـ) ^(٣)

ولكن الكوفيين كانوا أكثر الناس وصولاً إليها ، فكان الكوفة من بغداد من الوجهين السياسية ، والجغرافية فكان عماؤها أشد الناس اتصالاً بقصور الخفاء والأمرء ، والتصدر في حلقات التدريس ومحاسن لأدب ولدا يقول أبو الطيب اللعوي : « فلم يرل أهل البصرة علي هذا حتى تنقل العلم إلى بغداد قريبا ، وعند أهل الكوفة على بغداد ، وحدثوا الملوك ، فقدّموهم » ^(٤) فكان الكسائي عند الرشيد ، الخليفة العباسي الخامس (١٧٠ - ١٩٣ هـ) وكان لتتميده الخفاء سيرة مقبولة عند الأماون بن الرشيد ، الخليفة العباسي السابع (١٩٨ - ٢١٨ هـ) فقد أقرده الأماون مكاناً خاصاً في دار الحكمة ، ووكل من يكفيه كل حاجته ، وعين له الورّقين ، كما عهد إليه بتأديب وتثقيف ^(٥)

(١) طبقات النحويين والنحويين البصريين ص ٤٢

(٢) محاسن العلماء ، الخامس ٤ ، ص ٨ وطبقات النحويين والنحويين البصريين ص ٦٨

(٣) نظر ترجمته في النحويين البصريين ص ٤٢ وطبقات النحويين البصريين

ص ٦١ ٦٢ ورواه الرواة ٤ ٣٩

(٤) محاسن العلماء ، الخامس ٣٣ ص ٢٨٨ - ٢٩٢

(٥) من النحويين ص ١٤٤

(٦) ربه الألباء ص ١٣

ورحل إليها المبرد البصري ، الذي جاء بناء على طلب الخليفة العباسي لعاشر المتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) (١) كما قدم إليها ثعلب فأقام فيها (٢) فاجتمع العلماء في هذه المدينة من كل حذب وصوب ، بصريون وكوفيون ، فاجتمعوا في مساجدها ومحاسنها

ولاختلاف هؤلاء العلماء في المذهب حدث بين الفريقين مناقشات عنيفة ، ومناظرات في بعض مسائل النحوية والنحوية ، ولذا احتلافهما — كما قسا — في المذهب ولأصول التي اعتمد عليها كل فريق

وقد نشأ في هذه الفترة جيل من النحاة كانوا يتفعلون بين حلقات الفريقين من بصريين وكوفيين ، فوجد تياران من هؤلاء النحاة ، تيار أحد برأي البصريين ، وتيار أحد برأي الكوفيين ، فاحمر في أذهانهما آراء المذهبين فوجد جيل يميل مع البصريين وجيل يميل مع الكوفيين ، ورغم هذا الميلان ينتحبون من آراء الفريقين ويتحجرون دون تعصب لأحدهما

وانتهت رعاية المدرسة البصرية برئاسة المبرد ، ورعاية المدرسة الكوفية برئاسة ثعلب ، فوجد جيل يتنقل بين حلقتي هذين العالمين الخليلين المبرد و ثعلب ، فكان يتردد على حلقة المبرد (٣) مثلاً أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١ هـ) (٤) ، وأبو بكر محمد بن السري لسراج (ت ٣١٦ هـ) (٥) اللذين أحداً عليهما أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ابرحاحي (ت ٣٤٠ هـ) (٦) ، وأبو علي الفارسي ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) (٧) ونجد في حلقة ثعلب سليمان بن محمد بن أحمد ، أب

- (١) معية الوعاق ٢ ٢٩٦ (٢) برهه الأبناء ص ٧٤ (٣) برهه الأبناء ١٨٣ — ١٨٦ وإليه الرواة ١٥٩ (٤) نظر ترجمته طبعات النحويين والنحويين ص ١١١ — ١٢ وإليه الرواة ١٩٤ ٢ ١ ٢ ١١١ ٤١٣ (٥) نظر ترجمته طبعات النحويين والنحويين ص ١١٢ ١٤ وإليه الرواة ٣ ١٤٥ ٤٩ ومعية الوعاق ١ ٩ ١١ ومقدمة بعض لأصوب في النحو ١ ٩ ٢ (٦) نظر ترجمته طبعات النحويين والنحويين ص ١١٩ وإليه الرواة ٢ ١٦ — ١٦١ ومعية الوعاق ٢ ٧٧ وسير أعلام النبلاء ١٥ ٤٧٥ ٤٧٦ (٧) نظر ترجمته إليه الرواة ٢ ٢٩٤ ٢٩٦ ومعية الوعاق ٢ ١٨ ٨١ وسير أعلام النبلاء ١٦ ٥٣٣ — ٥٣٤

موسیٰ خامص (ت ۳۰۵ ھ) (۱)، وأبنا الحسن محمد بن محمد بن کیسان
(ب ۲۹۹ ھ) (۲)

ورود محاسن امیرد لا یسنکھوں من الاستفاده من محاسن ثعلب ، و کدیت
عکس ، و مستطاع هذا الخیل أن یظر فی المدهیین ، و یورن بین آرائهم ،
فکون هم آراء أساسها المستحسن من المدهیین ، ثم أضافوا إلى دیت راء
توصلوا به من خلال اجتهادهم ، كما سیت دیت عند حدیثنا عن خصائص
هذه مرحله و قد عرف هذا الخیل فیم بعد بالبعدادین

٢ - الفترة الزمنية لهذه المرحلة

وقد اختلف العلماء في تحديد انصره شأن هذا الخيل فذهب بعض
 صاحبين^(٣) إلى أنه قد ظهرت بوكر هذا الخيل في آخريات قرن ثالث
 هجري ، وتصححت سماته في القرن الرابع الهجري ' ' يقول بروكلمان
 « ومنذ القرن الثالث الهجري أحدثت المدارس المسماة في بصره و كوفه
 تقربان وسدجان ، إحداهما في لأخرى باصراد ، وسرعان ما عدت بعدد
 حاضرة الخلافة الاموية بحياة العقلية كافة »^(٤)

ويرى الدكتور عبد الصالح شبي أن مدرسة الكوفة ولبصرة تحتفظ
بوجودهم منفصل حتى نهاية القرن الثالث هجري ، أو وسط القرن الرابع
هجري ، وحيث أصبح متدججين في مدرسة الحديدة في بغداد ^(٥)

ويرى فريق من الباحثين أن مذهب ابعداديين اندي يقوم على إحصاء يعود إلى ريادة سيبويه بعداد في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، حيث دخلت تعاليم المدرسين بعداد (٦)

١) نظر لترجمة طبقات الحواريين والنعويين ص ٥٢
١١ طبقات لأعيان ٦ ٢ ٤

(٢) نظر لترجمته 'حبار' سحويين والبصريين ص ٣ ١ وصفت السحويين والبصريين ص ٥٢

(٣) نصر بن شاه نجر ص ١٥٨ ومدرسه ملحوظه ص ٢٩ وتاريخ الأدب العربي ج ١ ص ١٠٠

٢ ٢٧١ ، و نظر مقدمه الإيضاح بر جاحی به کم سو: صف و صحی الإسلام ٢ ٥ ١

(١) تاريخ الأدب العربي ٢ ٢٢ (٥) بو علي عارمى ص ٤٤٥

(٦) عظم ظاهره الشفوف : البحر العرف ص ٣٢٩

ويرى الدكتور أحمد مكي الأنصاري أن المرء هو المؤسس الحقيقي للمذهب البعدي ، وقد استند على ذلك ما ذكره أبو الطيب اللعوي من أن المرء يخالف الكسائي في كثير من مذهب ، وأما على مذهب سيويه فإنه يعتمد خلافه حتى في ألقاب الإعراب وتسمية الحروف (١)

ومعنى هذا عبد الدكتور أحمد مكي الأنصاري أن المرء مذهب مذهباً حديداً متميز عن مذهب المدرستين معا ، الكوفية ، ممثلة في الكسائي ، و البصرية ، ممثلة في سيويه . كما استند على ذلك أيضاً بذكره مصطلحات حديثة ، يعرفها البصريون والكوفيون

و سندل أيضاً ما ذهب إليه بعض الباحثين من تميز المرء بمذهب متميز عن مذهب سيويه ، ومن هؤلاء الباحثين إبراهيم مصطفى ، و خوتوب ديل ، وأحمد أمين ، والدكتور مهدي الخرومي . (٢)

على حين يرى أحمد أمين أن المؤسس الحقيقي للمذهب البعدي هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديوري (ت ٢٩٦ هـ) (٣) حيث يقول : فقد كان انتفاء الكوفيين والبصريين في بغداد سبباً في عرص مذهبين ونقدتهما والاتحاد بينهما ، ووجود مذهب منتخب كان من ممثليه ابن قتيبة (٤)

كما حثهم أيضاً في نهاية هذا الاتجاه فذهب بعضهم إلى أن مراد المذهب البعدي كان على سبيل التقريب بعد منتصف القرن الرابع الهجري (٥) ، بعد ضعف لدونه العباسية ، وتعب لدونه بني بويه ، فيكون انتهاء المذهب البعدي حداً فاصلاً بين المتقدمين والمتأخرين من النحاة ، مما جعل الشيخ محمد الطبطبائي يخرج من البعديين أبا علي الفارسي وابن حني ، حيث صنفهما ضمن نخاة بلاد العراق وفارس (٦)

(١) مرآة النحويين ص ١٤ . وانظر أبو ركرياء المرء ومذهبه في النحو والنحو ص ٣٠٧

(٢) انظر كتاب أبو ركرياء المرء ومذهبه في النحو والنحو ص ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٩١

(٣) انظر ترجمته سير أعلام النبلاء ١٣ ٢٩٦ ٣٢ وطبقات النحويين واللغويين ص ٨٣

وإليه الرواة ٢ ١٤٣ ٤٧ وبني نوعه ٢ ٦٣ ٦٤ ، الأعلام ٤ ١٣٧

(٤) صحاح الإسلام ٢ ٢٩٨

(٥) انظر نسخة ٢ ١١٥ ونشأه نحو ص ١٦٣ ١٦٤

(٦) انظر نشأه النحو ص ٩٠ و ٩٨

وبعضهم يجعل المذهب السعددي في نهاية القرن السادس الهجري ،
 فحصل من رحانه أبا علي الفارسي وابن حنبل كما عد منهم أبا عبد الله حسين
 بن أحمد بن حنبلية ، السعددي (ت ٣٧٠ هـ)^(١) وأبا الحسن علي بن عيسى بن
 مروح الربيعي (ت ٤٢٠ هـ)^(٢) ، وأبا القاسم عمر بن ثابت الثميني (٤٤٢ هـ)^(٣) ،
 وأبا القاسم حران بن محمود بن عمر بن محشري (ت ٥٣٨ هـ)^(٤) وأبا
 السعداب هبة الله بن علي بن محمد العلوي المعروف بابن الشجري
 (ت ٥٤٢ هـ)^(٥) وقد أخذ هذا الرأي صاحب كتاب « مدرسه
 السعدديه »^(٦) .

وقد نفى المدارسون المحدثون على سببه هذا الاتجاه ، والاتجاه السعددي في
 الدرس السحوي ، أو المذهب السعددي ، أو مدرسه السعدديه في السحو ، مدرس
 مدى صحة إطلاق مصطلح « المدرسه » على هذا الاتجاه ، ونكسا مدرسه الان
 على أنه مرحلة من مراحل تطور تاريخ السحو العربي ، خصائصه ومميزاته
 وليبدأ بالنظر إلى تطور مدلول كلمة « السعدديين » .

٣ - تطور مصطلح « السعدديين »

لم يستعمل مؤلفو كتب الطبقات مصطلح « السعدديين » مراداً به هذا
 المذهب السحوي الذي جاء بعد البصريين والكوفيين وإنما كانوا يطبقون عليه
 مصطلح « الخط » ، و « الجمع » ، و « المرح » بين السحويين ، أو المذهبيين
 فوضعهم ابن السديم تحت عنوان « أسماء وأخبار جماعه من السحويين والنعويين »

(١) نظر ترجمته وفیات الأعيان ٢ ٧٨ - ٧٩ ، ربه الرواه ٣٥٩ - ٣٦٢ وبعيه الوعاة ٥٢٩ ٥٣

(٢) نظر ترجمته [بناه الرواه ٢ ٢٩٧ وبعيه الوعاة ٣ ١٨٢

(٣) نظر ترجمته وفیات الأعيان ٣ ٤٤٣ - ٤٤٤ ومعجم الأدباء ١٦ ٥٧ ومعجم البلدان
 تمارين ، والعبر للذهبي ٣ ٢ والشعراب ٣ ٢٠٩

(٤) نظر ترجمته [بناه الرواه ٢ ٢٦٥ - ٢٧٢ وبعيه الوعاة ٢ ٢٧٩ ٢٧ - أُرشد ربه
 ٣ ٢٨٣ - ٣ ٣ وسير أعلام سلاء ٢ ١٥ - ١٥٠

(٥) انظر ترجمته [بناه الرواه ٣ ٣٥٦ - ٣٥٧ وبعيه الوعاة ٢ ٣٢٤

(٦) نظر كتاب « مدرسه السعدديه » المذكور في حقي محمود ، طبعة الأولى ، سنة
 ٤٧ هـ ١٩٨٦ م

ممن حنط بين المذهبيين ، وقد ذكر منهم أربعين عالما ^(١) كما ورد وصفهم -
 الخط ، و المرجع عبد أبي سعيد الحسن بن عبد الله السمرائي (ت
 ٣٦٨ هـ) وأبي بكر محمد بن الحسن الريدي الأندلسي (ت ٣٧٩ هـ) ^(٢) ، كما
 سيأتي ذلك عند الحديث عن منهج هذا الاتجاه

ولما شاع مصطلح البعداديين علما على هؤلاء العلماء الذين احسروا من
 المذهبيين ومرحوا بين النحويين في العصور المتأخرة ، حيث يجده يتكرر جب إلى
 جنب مع المذهب البصري والكوفي عند جمال الدين عبد الله بن يوسف بن
 أحمد بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ^(٣) ، وحلال الدين عبد الرحمن بن
 الكمال أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ^(٤) ، ورين الدين خالد بن عبد الله
 بن أبي بكر الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) ^(٥) ، ونور الدين علي بن محمد الأشموني
 (ت ٩٠٠ هـ) ^(٦) ، وغيرهم من النحاة ^(٧)

وأما البعداديون الذين ترد اسمهم عند أبي علي الفارسي وابن جني فالمراد
 بهم الكوفيون ^(٨) ولما سموا بالبعداديين لعلمهم على بعداد قسره صوبية كما نقدا
 ذلك عن مراتب النحويين لأبي الطيب اللعوي (ت ٣٥١ هـ) ، حيث
 يقول : « وعلت أهل الكوفة على بعداد وحدثوا الملوك فهدموهم » ^(٩) أو أن

- (١) الفهرست من ١٢ - ١٣٠
 (٢) انظر أخبار النحويين البصريين من ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٣ وطبقات النحويين والبصريين من ١٢٠
 من ٣ و ١٢
 (٣) انظر ترجمته بعبه الوعاة ٢ - ٦٨
 (٤) انظر ترجمته بعبه العارفين ١ - ٥٤٣ - ٥٤٤ وكشف الطوبى ١ - ٥ ومقدمة الحق بعبه الوعاة
 ٩ - ٥
 (٥) انظر ترجمته بعبه العارفين ١ - ٣٤٣ - ٣٤٤
 (٦) انظر ترجمته بعبه العارفين ١ - ٧٣٩ وكشف الطوبى ١ - ١٥٣
 (٧) انظر جزء الأدب ١ - ١ وجميع المصنفات ١ - ١٢ و ٢٢٩ و ٢ - ٩٣ و ١٤٩ وشرح الأشموني
 ١ - ٦١٩ طبعة بيروت
 (٨) انظر الخصائص ١ - ١٨٠ و ١٦٦ و ١٩٩ وشرح صداعه الإعراب ١ - ١٦٦ و ١٦٣ عقيق
 مصطفى السعد ، والتصريف بمسوكي من ٤٥ و حسب ١ - ١٦٦ والكلمة من ٢٢ و ٨
 و ٢٢٨
 (٩) مر ب النحويين من ٤٠

ذلك يرجع إلى أن جمهور الخليل الأول من البعديين كان يعيب عليهم البرعة الكوفية ، فسموا قرة بالكوفيين ، وناره بالبعديين (١)

٤ - خصائص الدرس النحوي في هذه المرحلة

ذكرنا سابقاً أن نحو هذه المرحلة مأخوذ إلا مريح من مدرستين لبصرية والكوفية مضافاً إليها عنصران آخران هما التحرر العقلي ، والتجديد والابتكار في بعض المسائل النحوية والتصريحية والصوبية والمعوية (٢) فهو منهج انتحائي تجمعت فيه الخصائص المبهجة للمدرستين ، حيث أتيح لهم أن يظهروا في مذهبهم ، ويؤادوا بين آراء الفريقين ، فأصبح لهم آراء في النحو أساسها الاختيار والترجيح مهما مع اختلافهم فيما بينهم في الميل إلى أحد المدرستين وجعلها أساساً لهم .

ولم يُعز رجال هذه المرحلة بالأصول النظرية ، ولا احتلوا بوضع أسس للانتخاب ، ولا انفقوا فيما بينهم على أصول للانتخاب أو على اختيار مسائل معينة ، ولا جمعوا مسائلهم في ديوان معين يرجعون إليه ، بل دعا الدخيلين في الاختلاف في أمر ما يسمى بالمدرسة البعدية ، أو المذهب البعدي في النحو العربي فرأى بعض الباحثين أنه استمرار للمذهب الكوفي الذي فُرح به جماعة من البعديين وُعدوا بالتوسع في الرواية ، والتأني في الترجمات ، والتفاخر بالواد والطرائف ، حتى ابتعدوا عن أصول أشبـحهم وأسوى لديهم مذهب النحاة عن مذهب أسلافهم فعرفوا بالبعديين (٣)

على حين يرى الدكتور شوقي صيف أن مدرسة عبارة عن اندماج المدرستين في مدرسة واحدة في بعده ، وكان مذهباً قائماً على سحاب الرأي من مدرستين (٤) وهو ما ذهب إليه الدكتور مهدي المحرومي (٥)

(١) البصريين النحويين ٢٤

(٢) ظهر بحث في التبارك القياسي في المدرسة البصرية ، راجع مكتبة الأنطون ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ٢٤ ، ص ١٥

(٣) نظره في النحو ، طه برادي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ١٩٥٠ ، ص ٣٨

٣١٩

(٤) مذهب الإبصار في عمل النحو ، الدكتور شوقي صيف

(٥) مدرسة الكوفة ص ٥٢٨

ويكاد يجمع الباحثون المحدثون^(١) على أن مهج رجال هذه المرحلة من مراحل تاريخ النحو العربي مهج انتحالي استمداد من المذهبيين وحلظ النحويين ، وأن فيه الخصائص المبهجة لكلا المذهبين ، مع اختلافهم في إطلاق مصطلح « المدرسة » عليه .

ويود أن يؤجل البت في أمر كونه مدرسة أو مذهبا إلى مبحث قادم ، إلا أن في معرض در سنا لهذه الفترة من تاريخ النحو على أنها تمثل طوراً متميزاً من اصوار النحو العربي يرى أن الدرس النحوي في هذا الطور قد أخذ به حيل من الحجة درس النحويين ، وأصاف بعض الابتكارات والإبداعات بما كان له بعض الخصائص المبهجة المميزة ، ومنها

أولاً ظاهرة الخلط والمرج والجمع بين النحويين

لقد نبه القدماء على هذه الظاهرة عند هؤلاء الحجة ، وبخاصة عند الحديث عن رجال هذه المرحلة ، فكان أول من نبه على هذه الظاهرة أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) في كتابه « الإيضاح في علم النحو » حيث عول « ومن علماء الكوفيين الذين أحدث عنهم أبو الحسن بن كيسان ، وأبو بكر بن شقير ، وأبو بكر بن الخطاط ؛ لأن هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين ، وكان أول اعتمادهم عليه ، ثم درسوا على البصريين بعد ذلك ، فجمعوا بين العلمين »^(٢)

كما نبه على هذه الظاهرة أيضاً ابن السديم في « الصهرست » ، حيث ذكر رجال هذا الاتجاه تحت عنوان « أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين والنحويين ممن حنط بين المذهبين » ، ثم ذكر أربعين عالماً ترحم لهم ، وذكر مؤلفاتهم^(٣) ، أولهم ابن قتيبة الديوري (ت ٢٧٠ هـ) ، وآخرهم علي بن الحسن الهنائي الملقب بـ « كراع التمل » (ت في حدود ٣٠٧ هـ)^(٤) ، وعبد الله بن جعفر المنقب بالدروسي^(٥) .

(١) صحفى الإسلام ٢ ٣٩٨ و تاريخ الأدب العربي بيروكلمان ٢ ٢٢١

(٢) الإيضاح في علم النحو ص ٧٩

(٣) التمهيد ٢١ ٣

(٤) نظر ترجمته عليه التوعية ٢ ٥٨ ورواه الزواه ٢ ٢٤ و تاريخ الأدب العربي بيروكلمان

٢ ٢٧٤ - ٢٧٥

(٥) نظر ترجمته ٢٢٢٢

كيسان (ت ٢٩٩ هـ) ، وابن الخياط (ت ٣٢٠ هـ) ، وأبو موسى
الخامس (ت ٣٠٥ هـ) (١)

ونسب القمطي الخلط إلى أكثر من خمسة عشر نحوياً ، منهم بالإضافة إلى
من ذكرهم ياقوت إبراهيم بن محمد بن عرفة ، الملقب بمطويه
(ت ٣٢٣ هـ) (٢) ، ومحمد بن عبد الله الكرمانى (ت ٣٢٩ هـ) (٣) وأبو علي
الحسن بن عبد الله ، الملقب بـ « لُعْلُة الأصمّهاني » (٤) ، أبو عمرو بدار بن
عبد الحميد بن لُرة (٥)

وقد نسب السيوطي الخلط إلى ثمانية أعلام ، منهم عبد الله بن سفيان الخزاز
(ت ٣٢٥ هـ) (٦) ، وأبو القاسم إبراهيم بن عثمان الوران القيرواني
(ت ٣٤٦ هـ) (٧) كما ذكر القمطي أن السحوي الأعجمي الخراساني الكششي قد
صنف كتاباً سماه « تَخْلُطُ المدهيين » (٨)

وقد وجد من هؤلاء النحاة وغيرهم من الترم سق البصريين في القياس
والتعويل والتقسيم والتحقق وتقعيد القواعد في النحو والصرف كما وجد من
الترم سق الكوفيين في التقعيد والقياس وباء الأصوب .

وكان المتألمون إلى الكوفيين في أول الأمر أكثر من المتألمين إلى البصريين ؛
لأن الكوفيين كانت لهم العلية على بغداد في أول الأمر . ولكن بعد أن هدأت
العصية وانتافس بين الفريقين رجحت كفة البصريين على الكوفيين عند
اختلاحيهم ، فكان لهم موقف من الكوفيين

- (١) نظر معجم الأدباء ١١ ٢٥٤ و ١٢ ٨٤ و ١٧ ٢ و ١٣٧ و ١٤٢
(٢) انظر ريبه الرواة ١ ٢١٤ ، ونظر لترجمته طبعات الحويين والنعمير من ١٥٤ و ريبه الرواة
١ ٢١٧ و ريبه الرواة ١ ٢٢٨ ، ومقدمه تهذيب اللغة ٤٢ - ٤٣ وسير أعلام النبلاء
١٥ ٧٥ - ٧٦ والأعلام ١ ٦١
(٣) انظر ريبه الرواة ٣ ١٥٥ ، وانظر لترجمته أيضا طبعات الحويين والنعمير من ٢٦
والفهرست ٧٩ ومعجم الأدباء ١٨ ٢١٣
(٤) انظر ريبه الرواة ٣ ٤٣ ، وانظر لترجمته أيضا الفهرست ٨١ ومعجم الأدباء
١٣٩ ١٤٥
(٥) انظر ريبه الرواة ١ ٢٩٢ (٦) انظر ريبه الرواة ٢ ٥٥
(٧) انظر ريبه الرواة ١ ٤١٩ ، ونظر لترجمته أيضا طبعات الحويين والنعمير من ٢٤٧ - ٢٤٩
و ريبه الرواة ١ ٢٧ - ٢٩
(٨) انظر ريبه الرواة ٣ ٤

من سحاه يدين كان هم ميل إلى المذهب البصري .

١ — أبو انقسام عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) فقد صنفه ريبيدي مع لصريين ، وجعله في الطبقة العاشرة من طبقاتهم وصنفه ابن اللديم مع الجماعة الذين خلطوا المذهبين^(١) وقال عنه الفعطي : وكانت طريقته في النحو متوسطة^(٢) والصحيح أن الزجاجي من الذين يميلون كثيرا إلى البصريين فهو يسميهم (أصحابا البصريين) ، و (أصحاب)^(٣) وقد عده الدكتور شوقي صيف استهلا لا يصرف البعديين عن البرعة النكوفية إلى البرعة الصرية^(٤)

٢ — أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد العطار الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) وقد وضعه الريبيدي مع بحاة البصرة ، ونرجم له في الطبقة العاشرة من طبقاتهم^(٥) ، كما ترجم له ابن اللديم مع البصريين أيضا^(٦) وقد أحد هذا التصنيف بعض المحدثين^(٧) ، على حين عده عبد الحميد حسن والدكتور شوقي صيف من البعديين^(٨) والحق أن أبا علي الفارسي يحيط بأراء المدرستين ويختار منهما ما يراه أولى بالاتباع ، وإن عيب عليه الميل إلى المذهب البصري ، والأحد به في كثير من الأحيان .

٣ — أبو لهج عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) وهو كشيحه أبي علي فارسي يميل كثير من مذهب البصريين ، حيث يجري في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب^(٩) فكثير ما يستعمل التعبير : أصحابا ، وهو يعني

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ١١٩

(٢) انظر ص ١٢٣

(٣) إياه الرواة ٢ / ١٦

(٤) الأشباه والنظائر ٢ / ١٤٦ ، طبعه حيدر آباد

(٥) مدر من النحويين ص ٢١

(٦) طبقات النحويين واللغويين ص ١٢

(٧) الفهرست ص ١٩

(٨) انظر في الأدب العربي ص ٢٠٩ وأبو علي الفارسي د شلبي ص ١٥ ، ١٨ ، ١

(٩) انظر لؤي سعد سحوي ، عبد الحميد حسن ص ١٥ والمدارس النحوية ص ٢٥٥

(١٠) مقدمة الإيجاز - عصدي بن كرم حسن شاذلي مرهون

(١١) ص ١٩ جني سحوي ، د فاضل السامرائي ، دار بهمة مصر ط ١ ص ٢٩

بصريين^(١)، ويرد على الكوفيين بحجج قوية ٤٩٨ دأ عنه أحمد

وقد صفه ابن النديم مع السحاة الذين حفظوا مذهب^(٢) ٥٠٣ هـ .
كل من الدكتور شوقي صيف^(٤)، وبيروكند^(٥) ١٥٠ صفه شيخ محمد
الطباطبائي ضمن مجموعته من علماء العراق ودارس^(٦)، وجعله طه^(٧) ٥٠٣ هـ
وأحمد أمين صاحب مدرسة مستقلة في الحو هو وأسنده أبو علي عا سي^(٨)

ومن السحاة الذين مالوا إلى البصريين أبو بكر محمد بن سري^(٩) ح (ب -
٣١٦ هـ) ، وأبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المربوب سيري (ب ٣٦٨ هـ)
(٨) ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ب ٣٨٤ هـ) ، ومن
درستوريه ، عبد الله بن جعفر بن درستويه (ب ٣٤٧ هـ)

ومن السحاة الذين عتب عليهم الرعة الكوفية أبو موسى الخامص ، سيمان
بن محمد بن أحمد (ت ٣٠٥ هـ) ، وأبو بكر محمد بن القاسم لأبيري (ت
٣٢٨ هـ) (٩)

ومن السحاة الذين جمعوا الرعين دون تعصب لأحدهما أبو محمد عبد الله
بن مسلم بن فتيه الديوري (ت ٢٩٦ هـ) ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن
كيسان (ب ٢٩٩ هـ) ، وأبو الحسن علي بن سيمان بن المفضل ، الأحفش
الصغير (ت ٣١٥ هـ) (١٠) أبو بكر بن شقم (ت ٣١٧ هـ) ، وأبو بكر
(١) الخصائص ص ٨٨ و ١٣٧ وسه صاعقة لإعراب ١ ١٣ ٥ ٨٥ ٧ ٤٥

- (٢) الخصائص ص ٢٦٢ (٣) فهرست ص ٢
(٤) مدارس النحوية ص ٢٦٧ (٥) تاريخ الأدب العربي ص ٢٦٤
(٦) نشأة النحو ص ٩٩
(٧) صحاح لإسلام ١٨٥ ومجلة المجمع العلمي بدمشق ج ٣ ص ٤ ص ١١٥
(٨) نظم ترجمته طبقات النحويين والفقهاء ص ١١٩ و ١٨٥ وإليه الروايات ١ ٣٤٨ - ٣٥
وعليه الوعدة ١ ٥٧ - ٥٩ والأعلام ٢ ٩٥ ٩٦ ، انظر مقدمته تحقيق لأخبار
النحويين البصريين ص ٧ ٣١
(٩) نظم ترجمته طبقات النحويين والفقهاء ص ١٥٣ - ١٥٤ وإليه الروايات ٣ ٢ - ٢٨
وعليه البنية في طبقات الفقهاء ٢٣ - ٢٣٢ ، طبقات حفاظ الشيعة ص ٢٥ ٢٥
٢١٤ ٢١٢ ٢١٤
(١٠) نظم ترجمته طبقات النحويين والفقهاء ص ٥ ١٠ ١٠٠ ٢ ٢٥ ٢٥٨
٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠

لحظ (ب ٣٢٠ هـ) ، إبراهيم بن محمد بن عرفة ، منقب بمصنوعه (ب ٣٢٣ هـ)

ومن أئمة شافعية أبو الحسن علي بن عيسى بن مخرج برقي (ت ٤٢ هـ) ، وأبو إسعادات هبة الله بن علي بن محمد معوي المعروف بابن شحري (ت ٥٤٢ هـ) ، وأبو القاسم جدر له محمود بن عمر البرمكي (ت ٥٣٨ هـ) ، وكال لدين أبو بركات عبد الرحمن بن محمد عبيد الأساري (ت ٥٧٧ هـ)^(١) وأبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله معكري (ت ٦١٦ هـ)^(٢) وموفق الدين أبو سقاء يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)^(٣)

والحق أن الدرس الشافعي في العصور متأخرة كلها ينسب بالأخبار والترجيح والمرج والاحتياط في ضوء آراء السلفين ، ولا نسيء أدخل في تفصيلات ميراث الدرس الشافعي في هذه العصور متأخرة إلى يومنا هذا أن أقوم بدراسة مستقلة له

ثانياً التوسع في القياس

بعد أبو علي الفارسي وبمعيده ابن حنبل أصحاب مدرسة جديدة في القياس ، حيث جعلوا له قواعد ثابتة ومعام محددة ، وعندهم منهجاً رئيساً تستمد منه القواعد الشافعية ، وحكمهم في نعت العرب ، فدأب لصنع والعقل بدخول أقيسة الشافعية ، حتى وجد عندهم ما يسمى ، بقياس معوي ، أو الصناعي ، فكان أساسه عندهم تشابه المعنوي و تشابه المقطع ، حتى بن حنبل في القرن الرابع قد عقد باباً في مقاييس عربية يذكر فيه أنها صرحت بأحد المعوي ، والآخر لمقطعي ، ثم بين أن أقوالهم هو بقياس المعوي الصناعي ، حيث يقول : الناطق على قياسه من نعت العرب مصيب غير

(١) نظر ترجمته سير علماء السلاء ١٣ ٢ - ١١٥ ، غريب الأعيان ٣ ٣٩ - ٤ ، ترجمته

الرواد ٥ ٢ - ٧ ، حجة الوعاء ٢ ٨٦ - ٨٠

(٢) ترجمته ترجمته الرواد ٦ ٢ - ١٨ ، حجة الوعاء ٢ ٣٨ - ٢

(٣) ترجمته حجة الوعاء ٢ ٣٥ - ٣٥٢ ، سير علماء السلاء ٢ ٢٣ - ٢ ، ترجمته

٥ ٥٠ - ٥٠

محطىء ، وإن كان غير ماحاء به خيرا منه ؛ لأن ما قيس على كلام العرب فهو
من كلام العرب .

وإن في قول شيبه أبي علي العارسي : أحطىء في خمسين مسألة بما به
الرواية ، ولا أحطىء في مسألة واحدة قياسه ^(١) يعبر عن حقيقة مبهج هد
الجهل من الحاجة ، ويعبر في جانب مبهج الرواية ، بل هو بهدم مبهجا ، ويقوم
آخر

ويدل على اتساع أبي علي العارسي في القياس ما نقله تلميذه ابن حني حيث
ذكر أنه وقت القراءة عليه كتاب أبي عثمان الباري قال : هو شاء شاعر أو
ساجع أو متسع أن يسي بإلحاق اللام اسما ، وفعلًا ، وصيغة جار به ، ولكان
ذلك من كلام العرب ، وذلك نحو قولك : خرجت أكرم من دخلت ،
وصرب ريد عمرا ، ومررت برجل صرب ، وكترم ، ونحو ذلك . فنت له
أفترجح اللغة ارتجالا ؟ قال : ليس بارتجال ، ولكنه مقيس على كلامهم ، فهو
إد من كلامهم ^(٢) .

حني قال عنه ابن حني أيضا : ولما هو وعليه رحمة فـ كان أقوى
قيسه ؛ وأشد بهذا العلم اللطيف أنفاسه ؛ فكأنه إنما كان مخلوق به . ^(٣)

وكان هم هذه المطائفة من القياسيين هو البحث عن قوايين لقياس دون
البحث في موردها من أمثلة اللغة ، فقد جعلوه مبهجا للبحث ، فوصل بهم
الأمر أنه مما اتفق على الإجماع عليه ، وأنه عملة الأدلة القاطعة ^(٤) .

ويظهر أن سبب لجوء الحاجة لتأخير إلى هذا القياس هو عدم توافر عنصر
المشاهدة في أحد اللغة بعد ما فسدت الأساليب على عكس ما توافر للعصماء
الأوائل

(١) الخصائص ١ : ٣٥٧ ، ١١٢

(٢) عنصر لغة ٢ : ١٨ ، ونظر معجم الأدباء ٧ : ٢٥٣

٣ ، خصائص ١ : ٣٥٨ - ٣٥٩

(٤) عنصر لغة ١ : ٣٧٦ - ٣٧٧

(٥) الإنصاف ٢ : ٩٦

ثالثاً . التوصل إلى أفكار جديدة في الدرس النحوي

برر عند هذا الخيل من الحاجة التوصل إلى بعض الأفكار جديدة في الدرس نحوي والنحوي ، وفي اختراع علم أصول النحو و مستكمالات درسات الصوتية كما بررت بعض الدراسات النحوية التي تناول أصل اللغة ووضعها وروايتها ، وما فعل منها وما يرد

كما برر عند هذا الخيل بعض المؤلفات التي تناول الموضوعات النحوية الدقيقة . ويظهر ذلك جلياً في مؤلفات ابن جني كاختصاص ، و سر صناعة الإعراب ، والمصنف في شرح تصريف الماري

فقد أطلق ابن جني عقده في النظر في المادة النحوية ، حتى استطاع أن يستخلص القواعد العامة للنحو واللغة متجاوز الحدود التي رسمها القدماء ، وقد ساعده على ذلك ثقافة واسعة ، ودهش يقط ، ونظرة لمحة ، وقدرة بادرة على التحليل والتركيب ، وعى تقيب المسألة الواحد على وجوهها المختلفة منحرراً من التقيد والتبعية ، حيث يقول : وإياك والحسبة بحثاً ، فإنها حلق دميم ومطعم على علاقته وحيم

ومثله قوله : وكل من فرق له عن علة صحيحة ، وصريق بهجه كان حيل نفسه ، وأبا عمرو فكره (١) ، وقوله : للإسناد أن يرتجل من المذهب ما يدعو إليه القياس ما لم يُلَوَّ بصراً ، أو ينهك حرمة شرع (٢)

ولكنه نبه على أن باب الاجتهاد لا يكون لكل أحد ، وإلى يسعي من يضرب باب الاجتهاد في النحو أن يتعمق النحو إتقاناً ، ويشته عزمها ، ولا يتخذ إلى ساح خاطره ، ولا إلى بروة من يروا تفكيره ، وإذا توصل إلى شيء جديد فلا بد أن يقدمه الناس في تواضع غير متفصص الأقدمين حقهم (٣)

فكان ابن جني ينافس أرباب المدرس نحوي ، ونحاصه أرباب المذهب البصري والكوفي ، وكان يرى أن هؤلاء أولى بمساعده والبحث

(١) الخصائص ١ ٢٥ (٢) المصدر نفسه ١ ١٩ (٣) المصدر نفسه ١ ١٨٩ (٤) المصدر نفسه ١ ١٩

واطلاعا من هذه العنفة المحررة توصل إلى أفكار جديدة شملت على
حاجب تحليلي لاستخراج العواين العامة ، واجاب لتركيب تصنيف هذه
القوانين وتصيغها على اعادة الحوية والصرفية والصوتية

فحاول إيجاد الصلة بين الأنماط ذات الأصوات الواحد ، وذلك عن طريق
اشتقاق الستة التي توصل إليها ، وهو ما سماه بالاشتقاق الأكبر ، حيث
يقول : « هو أن نأخذ أصلا من الأصوات الثلاثية فتعقد عليه ، وعلى تعالیه
الستة معنى واحدا فتجتمع التراكيب الستة وما تصرف من كل واحد منها
عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك رُدَّ بلطف الصعلة والتأويل إليه ، كما يفعل
الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد » (١)

صحيح أن الخليل بن أحمد قد بنى معجمه « العين » على تقليب الأصل
لثلاثي لكلمة في صورة الست ، ولكنه لم يكرر في أنها هي واشتقاقها يمكن
أن يجمعها معنى واحد وكذلك كتاب « جهره اللغة » قد طبق نظريته
انتقيب هذه (٢) ، ولكن بن حني هو الذي بهن هذه الفكرة ، ووضعها
الأمثلة المختلطة (٣) وهذا الصنيع الذي توصل إليه ابن حني هو ما نواضع عليه
معاصرون بتسمية « توزع لأصوات ثلاثة اسماكة في (كلم) ، و (قول)
و صيغ المختلفة الموجودة في العربية التي تأتي فيها هذه الأصوات في المواقع
الثلاثة من الكلمة » (٤)

كما حاول ابن حني بلورة حروف الريادة ، فقد كان الحاجة قبل ابن حني
يكادون يقصرون الريادة على تأكيد معنى ، ولكنه يرى أن المعنى يريد في
اللفظ بثلاثة أمور ، بتكرير اللفظ ، وبالعقول عن معاد اللفظ ، وبالاخفاف
باللفظ عن سمته وطريقته (٥) وقد توصل ابن حني إلى غير ذلك من
الابتكارات (٦)

(١) خصائص ٢ ١٣٤

(٢) جهره اللغة لابن دريد ص ٢٠٤ (٣) خصائص ٢ ١٣٣

(٤) جمع كتاب « أئمة الحقا في التاريخ ، د محمد محمود عاب دار نشر دار حنة
ص ٥٣ ٥٤

(٥) جمع خصائص ٣ ٢٦٢ - ٢٦٨

(٦) خصائص ٢ ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣ ١٢

رابعاً العثر على قواعد لا تمت إلى المدهيين بصلة

فقد توصلوا إلى قواعد لا تمت إلى المدهيين بولدت من جهاداتهم قيات
وسمعا ، ودلت نابع عن أن سلائق أهل البادية طلب سليمة إلى أو حر العرن
الرابع المحري على القول الصحيح

ومن هذه القواعد والأحكام التي تنسب إلى « البعداديين » في الكتب
المتأخرة — وقد يبا أن هذه المصطلح في الكتب المتأخرة يعني رجال هذه
المرحلة — ومن هذه القواعد

١ — جوار تذكر العدد مع لمعنود الجمع على اعتبار حفظ الجمع ، نحو
ثلاث سحلات ، وثلاث حمامات ^(١)

٢ — زيادة « وى » وجعلها من أحوال « كان » ، نحو « وى ريد
قائما » ^(٢)

٣ — عثوا من حروف العطف « يس » الذي يقضي التشريك في اللفظ
دون المعنى ^(٣) ، واحتجوا له بقول الشاعر
وإذ أقصرصت حرصا عاجره إنما يحري القسى ليس لحم ^(٤)

٤ — مجيء الحال معرفة ، فيجوز عندهم جاء ريد الراكب ^(٥)
إلى غير ذلك من القواعد التي توصلوا إليها ، والتي أشار إليها السيوطي في
الجمع

(١) مع القوامع ٢ ١١٩

(٢) المصدر منه ١ ١١٢

(٣) التصريح على التوضيح ٢ ١٣٥

(٤) الشاهد لبنيدي ديوانه من ١٧٩ ، ونظر الكتاب ١ ٣٧ وشرح الصريح ٢ ١٣٥ والأصول

في النحو ١ ٢٨٦ و ٣٠١ والصاحبي ٢٦٦ ، واللسان ٦ ٢١١ ، مادة (يس) ، والرواية في

بعض مصادر غير الجنس

(٥) مع القوامع ١ ٢٢٩

عندما بأن بعض هذه المسائل التي نسبت في هذه المصادر إلى البعديين ، في مقابل البصريين والكوفيين قد نسبت إلى الكوفيين ، أو إلى بعض أئمتهم ، ولعل ذلك بسبب أنه كان يراد بالبعديين في العصور الأولى الكوفيون ، واحتلوا المصطلح كما أنه يحتمل أن يكون من باب لتساهل في نسبة الرأي لدي المؤمنين ، حيث قد يتسرع بعضهم إلى نسبة الرأي إلى الكوفيين بحاجته لرأي بصري

الباب الثالث المدارس النحوية

الفصل الأول
المدارس النحوية بين القبول والرفض

أولاً - التعريف بالمصطلح

لم يؤثر عن القدماء مصطلح « مدرسة » بمعنى المذهب الحوي ، عند حديثهم عن المذاهب الحوية ، ومن ثم لم يرد عندهم مصطلح « المدرسة البصرية » ، أو « المدرسة الكوفية » ، أو « المدرسة السجادية »

ولما يطلق مصطلح « مدرسة » عند القدماء على المدرسة التي ينسب إليها طلاب العلم الذين يتلقون فيها مختلف العلوم . يقال مدرس ، ومدراس ، وهو البس الذي يقرأ فيه القرآن

ولما الأكثر شيوعاً عندهم في الدراسات اللغوية والنحوية هو مصطلح « مذهب » ، فيقولون هذا مذهب الصريين ، وهذا مذهب الكوفيين وقد يعرفون به (مذهب) ، ويقصدون به الرأي الواحد للنحوي الواحد ، فيقولون : هذا مذهب سيبويه ، وهذا مذهب الأخفش ، وهذا مذهب الخليل^(١)

كما يعرفون عن الاتجاه الحوي البصري أو الكوفي بقولهم « أهل البصرة » ، أو « أهل الكوفة »^(٢) ، أو قولهم « علماء البصرة » ، أو « علماء الكوفة »^(٣) ، أو « أهل العراقيين » ، أو « أهل المصرين »^(٤) ويعنون بذلك مذهب البصرة ومذهب الكوفة ونحوها من التعبيرات ، مثل « نحوي بصرية »^(٥) ، أو « هاتين المدينتين »^(٦)

وقد استحسن النحويون المحدثون مصطلح « المدرسة » بمعنى المذهب الحوي ، وقد كانوا في ذلك متأثرين بالعربيين الذين شاع عندهم هذا

(١) نظر مراتب نحويين ص ١٤ وأخبار النحويين البصريين ص ٥١ وطبقات النحويين وسمعون لبريدي ص ١٤ و ١٢١ و ٥٢ و ١٨٥ و ٢١٥

(٢) مراتب النحويين ص ٢ و ١٤٣ و ١٤٨ وأخبار النحويين البصريين ص ٤٩ و ٦٧ و ٧ مراتب النحويين والسمعون لبريدي ص ٧١ و ٩٤ و ٩٨ و ١٢٥

(٣) مراتب النحويين ص ١٢٢ و ١٣٧ و ٣٩ و ١٦ وأخبار النحويين ص ٧

(٤) نظر مراتب النحويين ص ٥٤ وطبقات النحويين والسمعون ص ٧١

(٥) نظر أخبار النحويين ص ٦٦

(٦) مراتب نحويين ص ١٥٥ و ١٦

المصطلح بهذا المفهوم ، وبخاصة في الدراسات الأدبية والعلمية ، فكان عندهم
« مدرسة الكلاسيكية » (الاتباعية) في الأدب ، لكن ، والمدرسة الرومانسية
(الإبداعية) ، ومدرسة الرمزية

فاستعمل هذا المصطلح عند المعاصرين في الدرس النحوي والدرس الأدبي ،
فورد مثلا عند الدكتور طه حسين ما يعرف بـ « مدرسة أوس بن حجر »
واستعمله أدباء آخرون ، كالعقاد ، ولمازني ، وشكري ، فكان ما يعرف بـ
« مدرسة الديوان » في الشعر

واعتمد الدارسون هذا المصطلح وشاع في دراساتهم وتبعا لهم ، وكان من
أوائل المستعملين به أحمد أمين في كتابه « صبحي الإسلام »^(١) ، ثم ساد في
الدراسات النحوية ، فكان هناك دراسات بعنوان « المدرسة الكوفية »
للدكتور مهدي المحرومي ، و « مدرسة البصرة النحوية » للدكتور عبد الرحمن
السيد ، و « المدرسة النحوية في الشام ومصر » للدكتور عبد الحامد سام
مكرم ، و « المدارس النحوية » للدكتور شوقي صيف ، و « المدرسة
البعثية » للدكتور محمود حسني محمود

وقد تأثر هؤلاء — كما قلنا — بأعمال المستشرقين الذين شاع عندهم هذا
المصطلح في بحوثهم عن النحو العربي ومهم بروكلمان في كتابه « تاريخ
الأدب العربي » ويوهان هت في كتابه « العربية » ، وفلوجل الذي ألف كتابا
في « مدارس العرب النحوية »^(٢)

وقد عرفت « المعجم الوسيط » مصطلح « المدرسة » بهذا المفهوم الجديد
بقوله « المدرسة جماعة من الفلاسفة والمفكرين أو الباحثين تعتق مذهباً
معيناً أو تقول برأى مشترك ، ويقال هو من مدرسة فلان على رأيه
ومذهبه »^(٣)

(١) انظر مدارس النحوية ، مطبوعة وواقع ، د إبراهيم السامرائي دار الفكر ، عمان ، ص ٢

(٢) انظر صبحي الإسلام ٢٩٤

(٣) طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٩٦٢ ، انظر رويحة اللغة للدكتور السعداني ص ٢٤

(٤) المعجم الوسيط مادة (مدر) ٢٨ ، طبعة الثانية

وقد أخذ هذا التعريف طائفة من الباحثين ، وإن اختلفت عباراتهم إلا أنها تنتهي حول هذا المفهوم فالأسناد على سجدتي ناصف يعرف مدرسه بقوله « مدسه طائفة من ذوي لعدم لوحد أو من الواحد كجمعهم وحده أصوبه ، ومصحح البحث فيه ، وإن تعددت أوطاسهم ، واختلفت أجناسهم ، ومهم تنوعت شخصياتهم انعمه ، وساعدت ، راؤهم في المروع والتعاضل »^(١) وعرفها الدكتور أنصاري بقوله « اتجاهه خصائص مميزة يديها فرد أو جماعة من الناس ، ثم يعشقها احرار »^(٢)

على حين يعرفها الدكتور مهدي المحرومي بقوله « عنيست مدرسة بلا أسادا مؤثرا وتلاميذ متأثرين ، وقد اجتمعوا على تحقيق عرص موحد ، مهجوا لتوصل إليها مهجحا »^(٣)

وقريب من هذا التعريف ما انتهى إليه الدكتور أحمد مختار عمر وهو قوله « وجود جماعة من سحاة يصل بينهم رباط من وحده الفكر واسمح في دراسة النحو ، ولا بد أن يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطه ويحدد مسيح ، والتابعون له المريدون الذين يعتفون خطاه ، ويتسول مهجحه ، ويعملون على تطويره واندفاعه »^(٤)

وقد عرفها استشرى جوتوند فايل في مقدمته بالإصاف بقوله « الاشتراك في وجهه سطر لدي يؤلف اجبه نعلمه ، ويربط العنماء بعضهم ببعض على رأي واحد » وقد أخذ بهذا التعريف محمد حسين آل ياسين في كتابه « لدراسات لنعويه عند العرب »^(٥) ، حيث يقول « المدرسة في مصطلح اعلمي لفظ يصبو على جماعة من لدارسين تشترك في وجهة النظر ،

(١) نظر عنه عن كتاب « مدس من النحويه » للدكتور شوقي صيف في مجله نعه نعرية في القاهرة
 ج ٢٥ ص ٣٨٥ هـ ١٩٦٩ م ص ٨١

(٢) نو كرا القراء ص ٣٥٢

(٣) مدس كمو ص ٠

(٤) ص كده ص ٠ نعوي ع مدس ص ٩٥

(٥) ص ٣٩٢

ويكون هـ مذهب خاص يؤلف منها حبه عنمية ، ويربط أثرها برباط الرأي
الموحد ؛

فهذه التعريفات في تحدي مفهوم المدرسة لم تشترط وجود هذه الجماعة
التي يؤلف منها فكر واحد في مكان واحد ، بل قد تعدد أماكنها مع اتحاد
انحاضاتها ، وهذا ما جعل المدرسين يعارضون جعل معيار لحراني أساسا
لنقسيب العلوم إلى مدارس مختلفة ؛ لأن وجود جماعة في مكان واحد لا يكفي
لنشكيل مدرسة ، وإنما المرشح لأحقيهم باسم مدرسة ليس وجودهم في مكان
واحد ، وإنما اشتراكهم في حظ فكري معين ^(١)

ومن هؤلاء المدرسين الأستاذ الدكتور حس عون ، الذي لا يرى تقسيم
المدارس بأسماء أماكنها ، ويرى تسميتها بأسماء الأئمة الذين برروا في هذا اللون
من الدراسات ، وكان لهم أثر ظاهر ومجهود كبير ، فنقول مدرسة سيويه ،
ومدرسة الرمحشري ، ومدرسة ابن مالك ، ومدرسة العصر الحديث وقد
طبق هذا المفهوم في كتابه « تطور المدرس السحوي » . ^(٢)

وهناك فئة من الباحثين ساروا على نهج انقضاء من جعل تعدد البيئة السحوية
مدخلا إلى تعدد مدرس السحو ، ومن هؤلاء الأستاذ الدكتور شوقي صيف في
كتابه « المدارس السحوية » ، وغيره من الباحثين الذين مرّ ذكرهم وقد انتقد
الأستاذ علي الجدي ناصف الأستاذ الدكتور شوقي صيف ، ورأي أنه
لا ينبغي أن يكون لتعدد البيئة مدخل في معنى المدرسة ألبتة ؛ لأن المشاعر
العليا أسمى من أن يحول حولها حدود أو قيود ^(٣)

(١) انظر البحث السحوي عند العرب ص ١٠١

(٢) انظر تطور المدرس السحوي ص ٤٩ - ٥٠ و انظر بحث الأستاذ علي الجدي ناصف السابق

(٣) جمع بحثه السابق ص ١٨

ثانيها المدارس النحوية بين القبول والرفض

يكتب ابن جرير رحمه الله بقسم في ثلاثة أقسام

١ - قسم رتب اسماؤه على أساس لطيفات ، كطهات النحويين والنحويين
لربدي ، ومراتب النحويين لأبي الطيب النحوي ، و فهرست لابن لديم
٢ - وقسم رتبهم على أساس بواربع وحياتهم ، مثل برهه الأبناء لأبي
نيركات الأباري ، وتهذيب لتهذيب لابن حجر العسقلاني ، وشذرات
الذهب لابن لعماد

٣ - وقسم رتبهم على أساس الحروف الهجائية ، مثل برهه البراه على أسماء
اسما بنقطي ، ووفيات الأعيان لابن حنكاه ، ومعجم الأدباء لياقوت
الحموي ، وبعية الوعاة لسيوطي

فالقسم الأول يقوم منهجه على جمع البصريين في موضع ، والكوفيين في
موضع آخر ، وأما القسمان الثاني والثالث فكان أصحابهم يسهون على أن هذا
بصري ، وهذا كوفي ، أو هذا جمع بين النحويين ، أو خلط النحويين

وهذا لا حظا أن لربدي في طبعه لم يفرق المدرسة البعدادية مستقلة ، وإنما
صم الذين عندهم ميل إلى بصريين إلى طبقات البصريين ، والذين عندهم ميل
إلى الكوفيين إلى طبقات الكوفيين على حين جعل ابن لديم في الفهرست
« المذهب البعدادي » مذهب مستقلا تحت عنوان « أسماء وأخبار جماعة من
علماء النحويين والنحويين ممن خلط المذهبين » (١)

وهكذا جرى الأقدمون على أن هناك مذهبا في النحو يسمى « المذهب
البصري » ، ومذهب آخر في النحو يسمى « المذهب الكوفي » كما ذكرت
بعض مؤلفات الأقدمين أن هناك نخبة مصريين ونخبة أندلسيين (٢)

(١) فهرست ص ٢

(٢) نظر طبعات بيدي ص ٣ ، ٢ ، ٢٥٣

قال أبو حيان في معرض الحديث عن لاستشهاد بالحديث : « على أن
لو صغير لأوين نعم النحو ، المستقرئين الأحكام من سنن العرب ، كأي
عمرو بن لعلاء ، وعيسى بن عمر ، وإخيل بن أحمد ، وسبيويه من أئمة
البصريين ، وكمعاد ، والكسائي ، والعمراء ، وعلي بن المبارك الأحمر (ب
١٩٤ هـ) ، وهشام بن معاوية الصيرير (ت ٢٠٩ هـ) (١) من أئمة
الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الصريفيين ،
وعبرهم من نخاة الأقاليم ، كحجة بغداد ، وأهل الأندلس » (٢)

كما أشار ابن خلدون أيضا إلى هذه المذاهب ، فقال : « والتألف في هذ
لهم كثرة ، وطرق التعليم مختلفة ، من البصريين والكوفيين ، والبغداديين ،
والأندلسيين » (٣)

أما الباحثون المحدثون فقد تعددت آراؤهم في المدارس النحوية بين الإثبات
والرفض ، فهناك طائفة منهم ترى أنه بس هناك مدارس نحوية أو نحوية كوفية
أو بصرية أو غيرها ، وإنما هناك مجموعة من المدارس عداشت كل مجموعة في
مديته مختلفة عن المدينة الأخرى فهي مدارس جعفرية ، لا مدارس
علمية (٤)

وعلى رأس هؤلاء الباحثين الأستاذ سعيد الأفغاني الذي يقول : « والدقة
التي يؤيدها التاريخ والإمعان فيه ، وفي أقوال الكوفيين والبصريين ألا يكون
مذهب بصري يقابله مذهب كوفي ، بل برعه سماعية يقابلها برعه قياسية
وعلى ذلك الأساس يصح أن نعيد النظر في النحو وتاريخه ورجاله هذا
التصنيف الجديد ، بعد أن علمنا أن سرعتين تمثلان على حقيهما بالبصرة ، لا
الكوفة » (٥)

- (١) انظر ترجمته طبعات الريدي ١٣٤ وإليه الرواة ٢ ٣١٣ ٣١٧ و ترجمه ٢ ٤
٢) ترجمه إليه الرواة ٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ، تبعه الرواة ٢ ٣٢٨ وهشام بن معاوية الصيرير
حياته ١٥٤ - مباحثه - حياته ما حسمه مجموعة من ٦٢
٣) ترجمه لأدر ١٠ - لاقتراح في علم أصول النحو ص ٤ ٤
٤) مقدمه ص ٢٥٤ طبعه الخسبي
٥) ترجمه إليه في علم النحو ص ١١٠ - ص ٥٢
٦) ترجمه إليه في علم النحو ص ١١٠

ولكن الأستاذ سعيد الأهواني لم يلزم هذه الشحنة التي توصل إليها في كتابه
 « من تاريخ النحو » ، وإنما جرى في هذا الكتاب على أن هناك مذهباً بصرياً
 ومذهباً كوفياً ، ونحاة بصريين ونحاة كوفيين ونحاة بعدديين ، يقول « قد إن
 في المذهب الكوفي مسائل جديدة تختار على مثيلاتها في المذهب البصري (١) ،
 ومدرسة كوفية ، ومذهباً بعددياً ، ومدرسة أندلسية (٢) »
 وهناك بعض الباحثين يشكك في بعض المدارس النحوية فهذه المدرسة
 الكوفية على الرغم من وضوح معانيها ومهيجها ، وعلى الرغم من تكرار سمعها
 عند ابن حسي في الخصائص والمختضب باسم (أهل الكوفة) تارة ، وباسم
 (الكوفيين) تارة أخرى ، وباسم (العددادين) أحياناً (٣) لم يحس من التشكيك
 في وجودها ومن الباحثين المتشككين الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي ،
 الذي يرى أن يكون هناك مدرسة كوفية في النحو ، وقد اعتمد في رأيه على
 حقائق ، منها

١ - أن لرؤاسي الكوفي لم يؤثر عنه شيء في النحو ، وكذلك معاد
 الخراء

٢ - أن لكائي يعد من أصحاب القراءات ، وليس له كتاب في النحو
 ٣ - أن ثعلباً الذي يعد من أشهر كوفيين يس له أيضاً كتاب في النحو ،
 وأما « محاسنه » فهي في نظره ألصق باللمعة والأدب والقبيل منه شذرت في
 النحو ومثل ذلك يقال في كتاب « العصيح »

وأدخل في هذا الحكم كلاً من السحاه المعنودين من كوفيين ، كائي بكر
 الأبري ، صاحب كتاب « الأصداد » ، و« شرح القصائد لسبع الطوائ » ،
 ومذكر والمؤث « ، وكابن لسكيت ، صاحب كتاب « الألفاظ » ، وكتاب
 « أصلح المصطفى » ، وكائي موسى ، المختص صاحب كتاب « مذكر
 ومؤث » ، فبحوث هؤلاء في نظره تدخل في صميم لبحوث البعوية

١	نصف	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
٢	نصف	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
٣	نصف	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠

وقد انتهى إلى أن ما قيل إن هناك راء فما هي إلا ، مختلفة في فهم بعض مسائل النحوية ، يعد أسلوباً جديداً في التفكير والبناء ، وليس نحو جديد في ساء متكامل يحرط فيه عامة الأئمة النحوية (١)

و قد كانت معاه مدرسة الكوفية ومبناها ، يظهر من خلال من ذكرهم الدكتور إبراهيم السمرني ، فإن الباحث الموفق لا يسر أنثر راء أبو صبح في لمدرسة الكوفية أصولاً وفروعاً ، كما هو واضح أيضاً في وضع مصطلحاتها ، وتحديد مدلولاتها ، بحيث يمكن أن نقول إن معظم مصطلحات النحو الكوفي التي يعد مما يميزه عن النحو الكوفي هي من وضعه ، بل وصفه بعض المصادر القديمة بأنه أروع الكوفيين وأعلمهم (٢)

على حين ذكرت بعض المصادر ما يشير إلى أنه كان يقصد أن يؤسس مدرسة مستقلة في النحو ، حيث إنه لم يأبه لسيبويه ، ولم يعن عليه في كتابه « معاني القرآن » ويخيل لقارئ « معاني القرآن » أنه لم يقرأ لسيبويه فإن السيبوي « وكان رائد العصية على سبويه ، والكنائ تحت رأسه » (٣) وقال عنه أبو الطيب اللعوي « وكان الفراء يخالف الكسائي في كثير من مذهبه ، وأما على مذاهب سيبويه فإنه يعتمد خلافه حتى ألقت الإعراب وتسميه الحروف (٤)

ولكن هذا الرأي الذي توصل إليه الباحث هو امتداد برأي بعض المستشرقين الذين شككوا في وجود هذه المدرسة في الدرس النحوي ، بل بعده إلى إنكار المدارس النحوية

ومن هؤلاء المستشرقين « جوتولد فايل » في مقدمة الإصناف ، حيث ذكر أن الاتجاه الكوفي الذي وجد مخالفاً لاتجاه الخليل وسيبويه يرجع إلى تأثير

(١) انظر كتابه « النحو العربي بعد ووجهه ص ٣٣ » و كتابه « المدارس النحوية أسطورة وواقع » ص ٤٥ - ٤٦

(٢) انظر ربه الرواة ٤ ٧ ٢٠

(٣) ربه الرواة ٢ ٣٣٣

(٤) مراتب النحويين ص ١٤

الكوفيين ، وعلى الأخص الكسائي والقرطبي يونس بن حبيب البصري الذي
كان له مذهب خاصة واليه يفرّد بها حالف فيها الخليل

ثم انتهى « فإيل » إلى أنه لم يكن هناك مدرستان من ناحية التفكير
للعوي ، ولكن هناك أفراداً يثبّون في البصرة وأفراداً يثبّون في الكوفة ،
وتتسمد أفراد كل جهة على أفراد الفريق الآخر ، ثم خلص إلى وجود مذهب
واحد ، وهو مذهب البصرة يقول « ومع عظيم الإحلال مناهجهم (يعني
الكوفيين) في غير ذلك من الوحي فإنهم لم يؤسسوا مدرسة نحوية
خاصة » (١)

ولكن جوتولد فايل ليس و صحت فيما ذهب إليه ، حيث ظهر من حديثه
عن اتجاه الكوفيين ، وعن لحن الكوفي الاعتراف بوجود مذهب كوفي
يخالف في أصوله المذهب البصري يقول « فعلى حين كان أهل الكوفة
يمسرون القرآن يمسروا ينترم لدقة في متابعة لحن ، ظهر عند أهل البصرة ميل
إلى إكراه النص القرآني على فنون معي خاص ، والتمحل في حمله على مطابقة
قواعدهم النحوية » ويقول أيضاً في حديثه عن القرطبي « بل يبدو عليه طابع
من يؤسس فرقاً ، أو مذهباً خاصاً يختلف عن مسيويه اختلاف يبيّن » (٢)

أم المستشرق يوهان فلت فقد اعترف صراحة بوجود مذهبين متميزين في
الحنو العربي ، هما مذهب البصرة ، ومذهب الكوفة يقول « كان لعلماء
البصرة مذاهب معتمده في انقياس لحنوي تختلف عن مذاهب الكوفيين ، كما
سلت كل من القليلين في تفسير الظواهر طريقتاً خاصاً » (٣)

وقريب من هذا ما قاله بروكلمان ، حيث يقول « وقد افترض العرب
فيما بعد اسناداً إلى روايات التاريخ إلى أن الخلاف كان قائماً بين مذهبين
لعويين ، هما مذهب البصرة ، ومذهب الكوفة ، وأن هذا الخلاف لم يسو إلا
بعد أجيال عندما اندمج المذهبان وتوحدوا في مدرسة بغداد » (٤)

(١) انظر مقدمه الإنصاف طبعه أورده

(٢) العربية يوهان فلت ترجمه عبد الحليم النجار ، ص ٦١

(٣) تاريخ الشعوب العربية ، طبعه بيروت ٢٨ ٢

ولا يوافق هؤلاء الباحثين الذين أنكروا المدرسة الكوفية حجة أن الآراء الكوفية عبارة عن آراء مختلفة في فهم بعض مسائل نحوية الفرعية بل يدي يثبته الواقع التاريخي والبحث النحوي أن الكوفيين تابعهم المعنى خاص ، حيث كان هم في الأصول التي نفوها عن البصريين تغيير وسديل ، وكان لهم ريدون وأصول جوهرية حاله فيها بصريين مما أدى إلى الاختلاف في تفسير تطواهر أصولاً وتطبيقاً ومن أبرز هذه الأصول

١ — عدم التفرقة بين أفعال الإعراب والبناء

٢ — الاختلاف في أصل المشتقات

٣ — الاختلاف في تقسيم الفعل ، حيث يرى الكوفيون أن الفعل ينقسم إلى ماضٍ ومضارعٍ ودائم ؛ لأنهم جعلوا الأمر جزءاً من المضارع ، أو معتطفاً منه ، ويعنون بالدائم « اسم الفاعل » ، وأما البصريون فالفعل عندهم ينقسم إلى ماضٍ ومضارعٍ وأمر ، وأما اسم الفاعل فهو نوع من الأسماء ^(١)

٤ — الاختلاف في تفسير بعض الألفاظ والأدوات ، مثل (اللهم) ، و (بن) ، والصائت (أت) ، و (هو) ، و (هي) ، و (الآن) ^(٢)

٥ — اختلاف في المصطلحات النحوية ومدلولاتها ، مما سوف أعرض به عند الحديث عن خصائص المذهب الكوفي

وهناك طائفة من الباحثين تابع الريدي في صيغاته حيث نظم أفراد المدرسة بعددية مع رجال المدرسة البصرية والكوفية على حسب اتجاهه وميوله ومن هؤلاء الباحثين الأستاذ الدكتور عبد الفتاح شلبي ، حيث يقول « وما يذهب إليه بعض الباحثين من أن هناك مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد ، متميزة عن مدرسة البصرية والكوفية لا يتفق مع ما كان يراه الأقدمون لأوثون من أصحاب التراجم والطبعات ، ثم لا يتفق كذلك مع نصوص العلماء الأقدمين ، فلم يكن هناك — فيما — ي — مدرسة بعددية

(١) نظير لإيضاح ذلك في ص ٢٨

(٢) نظير لمعاني اللغة - ص ٢٦٦ - ٢٦٧

قائمة بنفسها ، ها تعاليمها غاية ما في الأمر أن رجالاً حضنوا بين المدرستين
بصريه والكوفية قرأوا رأيا من هذه ، ورأيا من الأخرى « واستدل على
ذلك بأن أبا علي الفارسي وابن حنبل لئدين يعدان من المدرسة لبعدادية يسبان
نفسهما إلى البصريين ، وكثيرا ما يعبران بقولهما « أصحاب » ، ويريد
بذلك أهل المدرسة البصريه

وقد شارك الدكتور عبد الفتاح شلبي كثير من الباحثين المحدثين ، ومن
هؤلاء الأستاذ علي السجدي ناصف ، والدكتور فاضل السمرني ، والدكتور
طارق الحادي ، والدكتور محمد حسين آل ياسين وقد استدل هؤلاء بأدلة ،
مها

- ١ - ليس هناك خلاف بين نحو المذهب البعدي واسحوين البصري
ولكوفي كاخلاف الذي براه بين المدرستين البصرية والكوفية في المباح^(١)
- ٢ - إن لكل مدرسة أسسا تقوم عليها من حيث قبول الرواية أو رفضها ،
ومن حيث القياس والسمع ، وعمّن تأخذ من القبائل ومن مدع ، كما هي
أسس مدرستين ابصريه والكوفية وهذا مالا يتحقق في المدرسة البعدية
- ٣ - إن لكل مدرسة من المدرستين البصرية والكوفية مصطلحات بحويه
خاصة بكل مدرسة ، وهذا مالا يتحقق أيضا في المدرسة البعدية
- ٤ - إن لكل مدرسة من المدرستين مسائل خلاصية ذكرتها كتب
الخلاص ، وليس للمدرسة البعدية مسائل خلاصية تذكر ، ما عدا مسائل هي
عبارة عن موافقة للبصريين أو الكوفيين^(٢)

(١) انظر كتاب « أبو علي الفارسي » ، د. عبد الفتاح شلبي ، طبع به مصر ، ص ٦٦ و ٤٤٥
وانظر الخصائص ٢ ١٣٧ و من صناعة الإعراب ، طبعه الخليلي ١ ٢٦٧
(٢) انظر نقد كتاب « مدارس النحوية » شوقي صيف بقلم الأستاذ علي السجدي ناصف ، محمده مجمع
نعمه العربي في القاهرة ، الجزء ٢٢٢ ، ص ٨
٣ - انظر كتاب « الدساتير النحوية » للنحوي عبد الرحمن شلبي ، د. فاضل السمرني ، ص ٣١٤
و ص ٤٤٤

٥ — إن القدماء أطلقوا على مذهب البصريين اسم المذهب ، ومثله مذهب الكوفيين ، وهم يقصدون بهذا الاسم ما يقصد بال مدرسة ، ولكنهم أطلقوا على تلاميذ البرد وتعلب « الجماعة الذين حلطوا اذهيين » ، ولم يطلقوا عليهم اسم المذهب وعياً منهم لطبيعة هذا المذهب ^(١)

٦ — إنه لو كانت دعوى الانتفاء من اراء المدرستين والمرح بينهما تشكل مذهباً خاصاً في النحو لا فترصاً أن الأحفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) واحد من متقدمي نحاة مدرسة بغداد ؛ لأنه عاش في بغداد ، وانصل بالكسائي ، شيخ المدرسة الكوفية ، وقد تابع الكوفيين في خمسين مسألة ^(٢) ، وقد خالف سيبويه في مسائل كثيرة ، ولم يقل أحد إن الأحفش الأوسط بعدادي ، وإذا خالف البرد سيبويه وتبع كلامه في « مسائل العلق » فلا يعني هذا أن البرد بعدادي ^(٣)

وما قيل عن المدرسة البعدادية فإنه يطبق تماماً على بقية المدارس النحوية الأخرى ، كالمدرسة الأندلسية ، والمدرسة المصرية ؛ لأن هاتين المدرستين لا يخرجان عن كونهما نسخة مكررة لنحو بغداد ، القائم على الانتقاء والاختيار والمرح

فقد رأى عدد من الباحثين أنه ليس هناك مدارس أخرى كالأندلسية والمصرية والشامية ومن هؤلاء الباحثين الأستاذ علي السحدي ناصف ^(٤) ومهم الأستاذ طه الرواوي ، إلا أنه اعترف بوجود مدرسة في الأندلس ، وم يعترف بوجود مدرسة في مصر ^(٥) ويرى أن مذهب البعداديين مرجعه إلى الكوفيين ، ومذهب الأندلسيين مرجعه إلى البصريين ^(٦)

(١) التبرسات النحوية عند العرب ، د محمد حسين بن ياسين ، ص ٣٩٢

(٢) المدارس النحوية ص ٣٣

(٣) انظر كتاب « بن الحاجب النحوي » ، اثاره ومذهبه ، د طارق الحناي ، د التربية لطبيعة الشعر والتوريج ، بغداد ص ١٧

(٤) انظر بحثه السابق ص ١٨١

(٥) انظر البحث النحوي عند العرب ، د أحمد مختار عجم ، ص ٩٦

(٦) انظر بحثه بعنوان « نظرة في نحو » ، مجلة المجمع العلمي دمشق ، عدد ٤ ج ٩ — ص

وأما الدكتور عبد العال سام مكرم فعلى الرغم من أنه قام بدراسة باسم « مدرسة النحوية في مصر والشام » إلا أنه لم يحرم بإطلاق مصطلح « مدرسة » على المهجيين في كتابه « لقرآن الكريم وأثره في الدراسة النحوية » ، حيث يقول « والواقع أن إطلاق اسم (مدرسة) على حركة النحو في مصر والشام فيه تحوير ، إذا اعتبرنا وحدة الهدف ووحدة الأصول ووحدة المقاييس ووحدة المنهج ، لأن هذه الحركة كانت تتعدد فيها المناهج ، وتختلف الأصول ، وتباين المقاييس ولكن يشع لي في إطلاق اسم المدرسة على هذه الحركة أن حركة النحو في البصرة أو الكوفة لم تقم على أفراد المنهج ، أو وحدة في الهدف فقد اضطرت الأصول في كل مدرسة ، واحتفت النحاة فيما بينهم ^(١) »

ثم انتهى إلى أن اتجاهات النحو في مدرسة مصر والشام تنحى وجهتين الأولى وجهة متأثرة بالنحو البصري بمقاييسه وأصوله وعلله ومروعه ، وهذه يمثلها ابن الحاجب

الثانية وجهة لا تنكر النحو البصري ولا تنكر النحو الكوفي ، لكنها مع ذلك لا تنكر نفسها ، ولا تنكر أن لها رأياً في هذه المشكلات ^(٢)

وهذه السجعة التي انتهى إليها يدل على أن منهج هذه المدرسة قائم على الاختيار والاحتياز من المدرستين ، ولم يكن لها أصول ومناهج تختلف عن أصول المدرستين البصرية والكوفية

وإذا دققنا النظر في الأوصاف التي يطلقها القدماء على الدراسات النحوية غير البصرية والكوفية وجدناها لا تخرج عن وصف هذه الدراسات أو المدرسين بأنهم حطوا المذهبين أو النحويين ، أو مرجحوا بينهما وهذا يدعو إلى أنه ليس هناك خلاف بين هذه النحويين الآخرين خلافاً لما يدعى من

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ١٧٩

(٢) مرجع السابق ص ١٧٩

العروق بين مهجي البصرة والكوفة ، وهذا ينتهي بنا إلى القول بأنه ليس في
الحق العربي إلا مدرستان ، أو مذهبان فقط هما مذهب البصرة والكوفة
وسوف نخصص الفصول التالية لدراسة مصادرهما وخصائص مهجهما في
الدرس الحوي

الفصل الثاني
مصادر المدرسة البصرية

المصدر الأول السماع عن القبائل المتحد بها في الفصاحة

لقد كان من مميزات الفصاحة لشي أحد بها بحاة ابصرة الأوائل خصوص النعة من التأثيرات الخارجية ؛ ولذلك حرصوا على وضع صوابط دقيقة في المادة المعوية التي بوا عليها قواعدهم ولدي دعاهم إلى ذلك أمران

الأول - خشيتهم أن تبتعد النعة العربية عن خصائصها المعروفة عند عرب القرآن الكريم ، مما يؤدي إلى ظهور لغة ثانية ذات خصائص معيرة نعة الأولى

الثاني الخوف من دخول سيل غرام من الألفاظ الأعجمية إلى اللغة العربية ، مما يبعدها عن خصائصها وعروبته

ولتحقيق هذه الغاية جتوا في الوصول إلى وضع صوابط محكمة في الأحد عن القبائل ، وقد توصلوا إلى مبدئين مهمين ، هما

١ - عدم الاختلاط والبعث عن مبادئ لدحيل

٢ - التوغل في البدوة

وهذا دعاهم إلى تحديد عصر الاستشهاد ، وتحديد القبائل التي تؤحد عن اللغة وهذا لتصنيف الرماني والمكاني كان دافعهما هو لتأكد من سلامة لغة المحتج بهم وعدم تطرق الفساد إلى ألسنتهم

أما من حيث التصنيف الرماني فقد فلو الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية ومصحاء لإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري سواء أسكو الحصر أم الحديثة

وأما لشعراء فقد صمموهم إلى أربع طبقات جاهليين لم يدركوا الإسلام ، ومحصريين أدركوا الجاهلية والإسلام ، وسلاميين لم يدركوا الجاهلية ، ومحدثين فأحد أقوال الطبقة الأولى والثانية واحتصروا في لأحد عن النظمية الثالثة أما الطبقة الرابعة ، وهم المحدثون ، فلم يصموا على

كلامهم وسوف نتكلم عن ذلك بتفصيل عند المصدر الثالث من مصادر البصريين ، وهو : الشعر .

وأما الأحد عن البادية فقد استمر العلماء يوثقون لعائهم حتى فسدت سلاتهم في القرن الرابع الهجري ، على الرأي السائد في التحديد الرماني للاحتجاج عند تقدماء من السحاة والعمويين ، والذي يبدو واضحاً في مؤلفاتهم ، ككتاب سيبويه وما بعده من مؤلفات

وهذا يمثل التحديد الرماني في اعتبار منتصف القرن الثاني نهاية للاحتجاج من مصحاء الحواصر وشعرائها . وأما بالنسبة لبادية فإن منتصف القرن الرابع ، أو ربه الأخير هو آخر الاحتجاج بلغة أبنائها . وهو ما أشار إليه بن جني الذي عاش في القرن الرابع الهجري (ت ٣٩٢ هـ) ، حيث ذكر أن لغة البادية قد أصابها الاحتلال والفساد ، وأنه ينبغي التوقف عن الاحتجاج بها (٢)

وفي وقت الحاضر اتحد مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرار بتحديد الرماني في الحاصرة والبادية ، وهذا القرار هو : أن العرب الذين يوثق بعريتهم ، ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني ، وأهل بلد من حريرة العرب إلى آخر القرن الرابع (٣) وحنة المجمع في ذلك تنحصر في أمرين ، هما

الأول أن العربية طلت سليمة في بوادي العرب حتى نهاية القرن الرابع ، وفي حواصرها حتى نهاية القرن الثاني

الثاني أن ما ظهر من اللحن خلال تلك الفترة ضئيل يسير يمكن الإغضاء عنه . (٤)

وأما من حيث التصنيف المكاني فالأساس الذي يقوم عليه هو قربه أو بعده عن الأعاجم فالقبائل الجميلة عن مجاورة الأعاجم هي المعتمدة في النقل عنها

(١) خزانة الأدب ١ ٢ وانظر من تاريخ النحو سعيد الأماني ص ١٩

(٢) الخصائص ٢ ٥

(٣) انظر مجله مجمع ، الجزء الأول ص ٢ ٢ ، واللغة والنحو ، عباس حسن ص ٢١

(٤) اللغة والنحو ص ٢٤

عزم يأخذوا إلا عن القبائل التي في قلب جزيرة لعرب البعيدة عن السواحل ومحالطة الأعاجم . وهذه الخصلة في طبيعته لاستقراء تدل على سلامته الدراسة العموية التي قام بها بحذاء البصرة الأوائل ، كما تدل على وحه كبير من وجوه الشبه بين مهاجمهم ومهاجم المعاصرين الذين يحلون في اللغة المحكية مصدرهم المَهْم ، ويجعلون اللغة المدونة ثانوية ، أو مساعدة ليس غير .^(١)

وقد نبه ابن جني على أهمية هذا المبدأ ، وهو أن احتلاط العرب بعربها من الحواضر يرب عليه فساد لغتها ، يقول في (باب ترك الأحد عن أهل المدر كما أحد عن أهل الوبر) : « وعنه امتناع ذلك ما عرص للعدت الحاضرة وأهل المدر من الاحتلاط والفساد والخطل ، لو عزم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم تعترض شيء من الفساد لغتهم ، لوجب الأحد عنهم كما يؤحد عن أهل الوبر . »^(٢)

كما نبه عليه أيضا الجاحظ ، حيث يقول : « وصى واحد الحواريون أعرابيا يهيم هذا (يعني اللحن) وأشباهه بهزجوه ، وم يسمعوا منه ، لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدر التي تفسد اللغة ، وتقص البان ، لأن تلك اللغة إلى انقادت ، واستوت ، وأطردت ، وتكاملت بالخصال التي اجتمعت لها في نبت الجزيرة ، وفي تلك خيرة »^(٣)

فالاحتلاط يؤثر في فصاحه العربي ، ولو كان من القبائل التي يحتج بها قال السحوي اللعوي أبو علي ، سماعيل بن القاسم سعدادي القاي (ب ٣٥٦)^(٤) في أماليه : « حدثنا أبو بكر بن دريد ، حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال لقيت أعرابيا بمكة ، فقلت ممن أنت ؟ قال أسدي ، قلت ومن أيهم ؟ قال : بكري ، قلت من أي البلاد ؟ قال من عمان ، قلت فأنى لك هذه الفصاحة ؟ « والذي أحل بفصاحة هذا الأعرابي مع انتهائه لقبيلة أسد ، إحدى لقبائل المعتد بها هو أنه من سكان لسواحل ، وهم ليسوا أهل فصاحة

(١) أصول النحو العربي ، د . محمد خير السحوي ص ٢١

(٢) الخصائص ٢

(٣) البيان والبيان ، د . نكت العلمية ، بيروت ٩

(٤) انظر أثر جهته طبعات بريدي ١٢١ + ١٨٥ - ١٨٨ ورياء رواه ٢٣٩ ٢٤٤ ونعيه بوعاء

على حين كان عدم الاحتلاط هو المرشح للاعتداد بلغة أهل العكوتين في اليمن مع تأخرهم عن رمن الاحتجاج واسر في ذلك ، كما قال باقوت الحموي في معجم اليندان ، هو أن أهلها باقون على اللغة العربية من الحادية إلى اليوم ، لم تعمر لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مآكنهم ، وهم أهل قرار ، لا يظفون عنه ، ولا يخرجون منه ، وأهم لا يسمحون بلعريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث نبال خوفا على نسايم . (١)

وقد اعترضني على هذا المبدأ بقيلة « قريش » ، وهي مقيمة في الحجاز ، وهي مدينة كبرى ، كانت مركز الاتصال التجاري بين أمم شتى ، وهي أيضا تشتمل بالتجارة ، والتجارة تتطلب الاحتلاط بأحاس مختلفة ، والاتصال بلغات هذه الأحاس ، ومع ذلك أجمع علماء العالمون بكلام العرب والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم على أنها أفصح العرب

قال أحمد بن فارس : « أجمع علماءنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة » (٢)

وقد سأل معاوية يوما من أفصح الناس ؟ قال قائل قوم ارتفعوا عن حلحاية العراق ، وثبتموا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليست هم عممة فصاعة وعظممانية حمير قال من هم ؟ قال قريش (٣)

وقد أجاب الأستاذ أحمد أمين عن هذا الاعتراض بقوله : « إن سلامة اللغة من دخول الدخيل فيها أمر غير الفصاحة ، وإن سلامة اللغة كانت في بني سعد خيرا مما هي في قريش ، لأهم أهل وبر ، وأبعد عن التجارة ، وعن الاحتلاط بالناس ، وعلى عكس من ذلك قريش ، مهم أهل مدر ، وكثير مهم كان يرحل إلى الشام ومصر وغيرهما ويتاجر مع أهلها ، ويسمع لغتهم ، فهو من ناحية سلامة اللغة يطبق عليهم ما يطبق على غيرهم من حالط الأمم الأخرى

(١) معجم اليندان انظر حديثه عن العكوتين

(٢) الصاحبي في هذه اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق السيد محمد من ٣٣

(٣) البيان والبيان طبعة الرحمانية ٣ ١٣٣

ولكنهم من ناحية الفصاحة فصحاء ، وأعني بالفصاحة قوة التعبير عما في
بهموسهم (١)

وقد وصف سيبويه اللسان الحجاري بأنه الأول والأقدم فإن سيبويه عند
حديثه عما كان من الأفعال والأسماء على وزن (فعال) ، وأما ما كان حره
رء فإن أهل الحجار وبني ثميم فيه متفقون ، ويختار بنو عجم فيه لغة أهل
الحجار ، كما اتفقوا في (يرى) ، والحجازية هي اللغة الأولى والقديمة (٢)
وأما أن يكون التوغل في ابادية ، أو في ابدوة علامة الفصاحة فلا لغة
البدو لغة محكية موروثه إراثاً عمويًا ، لا يحتاج معه لأية صوابط ، لا من
الناحية الاشتقاقية ، ولا من الناحية الدلالية ، ولا من الناحية التركيبية (٣) لأن
الحاجة كانوا يتصورون أن إتقان اللغة مرجعه إلى الوراثة ، ولم يكونوا يدركون
كما يدرك المحدثون أن إتقان أي لغة عملية مكتسبة لا أثر للوراثة أو الجنس
فيها

ولكن الحاجة البصريين الأوائل كانوا أدكياء بارعين حين اشرطوا التوغل في
البدوة ، لأن البداة قد عرف عنهم القسك بلغاتهم ، وقدمًا يدعونها إلى
غيرها ، وأما أهل الحضر فإنهم لا ينفكون يثارون بكل طارئ (٤) جاء في
حصائص ابن جني : وليس أحد من العرب الفصحاء إلا يقول إنه يحكي كلام
أبيه وسلعه يتوارثونه آخر عن أول ، وتابع عن مئيع ، وليس كذلك أهل
الحضر ، لأنهم يتظاهرون بينهم أنهم قد تركوا ، أو خالفوا كلام من ينسب إلى
اللغة العربية الفصيحة ، غير أن كلام أهل الحضر مصاب لكلام فصحاء العرب
في حروفهم ، وتأليفهم ، إلا أنهم أخلوا بأشياء من إعراب الكلام الفصح
هذا رأي أبي الحسن ، وهو الصواب (٥)

ويقول أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان المغربي الفيلسوف
(ب ٣٣٩ هـ) (٦) : ولما كان مكان البرية في بيوت الشعر ، أو الصوف

(١) غنى الإسلام ، ص الأول هـ ١٩٣٥ جزء الثاني ص

(٢) كتاب ٣ ٢٧٨ و ٤ ٤٧٣

(٣) في النسخات العربية ، د إبراهيم آيس ص ٢٤٢

(٤) نظم أصول النحو العربي د محمد بن الخوي ص ٤٥

(٥) لخصائص ٢ ٢٩

(٦) انظر ترجمته وفيات الأعيان ٥ ١٥٣ ١٥٧ والعبر للذهبي ٢ ٢٥

والخيام والأحسية من كل أمة أجفى وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكن بالعادة
 فيهم ، وأخرى أن يمحسوا بموسمهم عن تحيل حروف سائر الأمم وأنعاطهم ،
 وألستهم عن النطق بها ، وأخرى ألا يخالطهم من الأمم للتوحيش والجمعاء الذي
 فيهم ، وكان مكان المدن والقرى ويوت الممر فيهم أصبغ ، وكانت موسمهم
 أشد انقيادا للنطق مما لم يتعودوا كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمم عن سكان
 البراري منهم ، من كانت الأمم فيهم هاتان الطائفتان ، (١)

وهذا يدل على وعي السحابة الأوائل وفهمهم لتطور اللغة وتأثيرها إذا
 اختلطت بلغات مجاورة فتأثر بها في التعريب والترجمة والصوغ القياسي
 والارتجالي ، وذلك علوا لغة البداوة هي القدوة المثل ، والتمودح الرهيع (٢)
 ولذلك إذا أرادوا أن يتجنبوا على شخص أبلغ عبارات التعريق التي توسم بها
 لغته وصغوه بكونه ينطق كما ينطق البدوي

ومن ثم براهم يحتكمون إلى الأعراب الأجلاف في مسائل اللغة ويظهر
 ذلك جليا في تلك المظاهرات اللغوية التي تعقد في مجالس الملوك والأمراء ،
 حيث يكون الحكم فيها عند الاختلاف هم الأعراب الوافدون من البادية
 ومن هنا فاحر البصريون بذلك فقالوا : إما أحدا عن اللغة عن حرشة الصباب
 وأكلة الرايع ، وهؤلاء أحبوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكنة
 الشوارير (٣)

وقد افترح أبو عبيدة معمر بن المثنى بحرية من اخذ عنهم فقد روى أبو
 حاتم السجستاني أن أبا عمر الجرمي قال لأبي عبيدة : عمن أخذت هذا يا أبا
 عبيدة ؟ فإن هذا خلاف تفسير الفقهاء ، فقال لي هو تفسير الأعراب
 البوالين على أعقابهم ، فإن شئت فخذ ، وإن شئت فذر (٤)

(١) كتاب الحروف والألفاظ لأبي نصر الفارابي ، تحقيق محسن مهدي ، ط ١٩٦٩ م ص ١٤٦

(٢) انظر العربية ، يوهان فث ، ص ١٣ و ١٩

(٣) أخبار النحويين البصريين ص ٩٩ والفهرست ص ٩٢ ، وحرش الصب ص ١١٥ وذلك أن يحدث

لحجر الذي هو عيه فيظه الصب ثعبان فيخرج دبه ، ويزرع حيوان صغير عن حبه احرد الصبر

ودبه طويل يسمى بخصه من نشر قصير نيدس طويل رجلين والكبح ما يؤخذ به

و شوارير جمع شوار ، وهو النيس الرائب

(٤) طبعات الزبيدي ص ١٧٦

كما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه ما كان يأخذ لفته إلا من أشباح العرب
حرشه الصباب في البلدان الكنداب ، وجفاه الكمأة في معاني السداة ^(١)

ولمبدأ مصه ، وهو النوع في اسداوة ، رفض الأصمعي الاحتجاج بشعر
دي الرمة في قوله للمرأة « روحة » ، بدلا من « روح » ، معللا ذلك بقوله
ولأنه أكل ابقر وشمس في حوايت البهالين حتى بشم ^(٢) وكذلك شعر
الكميت معللا ذلك بقوله . « الكميت جزمقاني من أهل الموصل ليس
بحجة » ^(٣)

ولتحقيق هذين الصابطين — وهما النوع في السداوة ، والبعد عن الاحتلاط
والاتصال بسكان الحواصر والأرباب — توصل السحاة البصريون الأوائل إلى
معيين القبائل التي يعتد بالأحد عنها والقبائل التي لا يؤحد عنها
فالقبائل التي يؤحد عنها هي فيس ، وتميم ، وأسد ، وهذيل ، وبعض
كندة ، وبعض الطائيين

وأما القبائل التي لم يؤحد عنها فهي :

- ١ — لحم وجدام ، لمحاورتهم أهل مصر واسبط
- ٢ — قصاعة وعسان ورياد ، لمحاورتهم أهل الشام وأكثرهم مصري
يفرؤون في صلاتهم بغير العريه حيث يفرؤون بالعيرانية
- ٣ — تغلب والشم ، لمحاورتهم اليونان
- ٤ — بكر ، لمحاورتهم للبط والفرس
- ٥ — أهل اليمن ، لمحالطتهم الخيشة والهند
- ٦ — بنو حيفه وسكان اليمن ، وثقيف وسكان الطائف ، لمحالطتهم بحار
الأمم المقيمين عندهم

- ٧ — عند الفيس ، لأنهم كانوا سكان البحرين
- ٨ — حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا النعة صادعهم حين ابتدؤوا
يقبضون لغة العرب قد حاططو غيرهم من الأمم ففسدت ألسنتهم

(١) رسالة العفراء لأبي العلاء معري تحقيق عائشة عبد الرحمن ، مطبعة الشريعة ص ١٦٩

(٢) موسج ص ٣٨٣ ٣٨٤

(٣) حرر ص ٣٤

هذه هي القبائل التي أخذ النحاة عنهم ، والقبائل التي لم يؤخذ عنها ، كما ذكر ذلك أبو نصر العاراني في كتابه « الأنماط والحروف »^(١)

وقد نص أبو نصر العاراني على أن النحاة لم يأخذوا عن قبيلة قصاعة ، مع أنها نجد سيويه قد استشهد بشعر سبعة شعراء من قصاعة^(٢) كما ذكر أنهم لم يأخذوا عن ثقيف ، وقد استشهد سيويه أيضا بشعر أبي محجن الثقفي^(٣) ، والحارث بن كندة الثقفي^(٤) ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي^(٥) ، ويريدون الحكم الثقفي^(٦) كما ذكر أيضا أنهم لم يأخذوا من بكر ونعلب ، وقد استشهد سيويه بعدد من شعراء بكر ونعلب وقد ذكر أيضا أنهم لم يأخذوا عن إباد ، وقد استشهد سيويه بيت من شعر أبي دؤاد الإبادي^(٧)

ولعل مراد أبي نصر العاراني القبائل التي أخذ عنها الشعر والنثر معا ، على حين أخذوا الشعر فقط من القبائل الأخرى . ويؤيد هذا أنما لا نجد سيويه يستشهد بنثر هذه القبائل التي ذكرها العاراني^(٨) . ثم إن شعر هذه القبائل قد رواه سكان نجد والحجاز ، ثم إن للشعر لغة خاصة خاصة بنحو على اللهجات المحلية . وتسج من لغات القبائل العصبية^(٩)

وقد بدل البصريون الأوائل جهدا مُصنِياً في النقل عن هؤلاء العصباء الذين انطبقت فيه شروط العصبية فانتشر العلماء في بوادي نجد والحجاز ومنهم الخليل بن أحمد الرازيدي ، فقد سأله الكسائي من أين أخذت عنك هذا ؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة^(١٠) وقد دون الخليل ما يقرب من عشرين رقلاً^(١١)

(١) كتاب الأنماط والحروف ص ١٤٨ والاقتراح ص ٥٦ والمهر ٢١٧/١

(٢) انظر شواهد الشعر في كتاب سيويه ص ٩٩ و ٣ و ٣٠١

(٣) الكتب ٤٢٧/١ و ٢٨٦/٢

(٤) المصدر نفسه ٨٨/١ و ١٣٠

(٥) المصدر نفسه ٣٢٦/١ و ٩/٢ و ٣١٥ و ٧٣/٣ و ١٥١

(٦) المصدر نفسه ٣٧٣/٢ - ٣٧٤

(٧) المصدر السابق ٦٦/١ ، وانظر شواهد الشعر في كتاب سيويه ، خالد عبد الكريم ص ٢٩٩ وما بعدها

(٨) شواهد الشعر في كتاب سيويه ص ٣٠٢

(٩) أصول النحو العربي ، د محمد خير الحنوي ص ٥٩

(١٠) بنية الوعاق ١٦٣/٢

(١١) تهذيب التهذيب لابن حجر المصقلاني ١٦٤/٣

وهذا النعوي البصري أبو ريد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ذكر في مستهل كتابه «الواد» قوله «ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي عن المفضل بن محمد النحوي (النعوي الكوفي متوفى سنة ١٦٨ هـ) وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي عن العرب» (١)

وقد فصل أبو ريد الأنصاري على أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب لسلامة لغة من نقل عنهم من العرب الذين يعتمد عليهم جاء في الاقتراح «قال أبو المهبان أئمة البصرة في النحو وكلام العرب ثلاثة أبو عمرو بن العلاء، وهو أول من وضع أبواب النحو، ويونس بن حبيب، وأبو ريد الأنصاري، وهو أثبت هؤلاء كلهم وأكثرهم سماعاً عن فصحاء العرب سمعته يقول: ما أقول: قالت العرب إلا إذا سمعته من عُجْر هوار، وفي رواية إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر بن هوار، وبني كلاب، وبني هلال، أو من عالية السافلة، أو من سافلة العالية، وإلا لم أقل» قالت العرب (٢)

ويريد بعالية السافلة وسافلة العالية ما بين نجد وحبل الحجر، حيث فائل أسد وتتم وبعض قبائل قيس.

وقد نبه الخافظ على فصاحة هؤلاء حيث قال «وأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم ألا يرى أن لتسدي إذا جُلب صغراً فإنه لا يستطيع إلا أن يحسن بحم رايا، ولو أقام في عينا نجد وسقى قيس، وبين عُجْر هوار خمسين عاماً» (٣)

ومهم أيضاً أبو عمرو بن العلاء الذي يروى أن كتبه في الفعل عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلى قرب السقف (٤) وقد جاور ابنه أربعين سنة، مع العلم أن انكسائي من الكوفيين لم يقيم في لاديه إلا أربعين يوماً (٥)

(١) انظر ترجمته طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ١٩٣ وإنباه الرواة ٣ ٢٩٨ ٣ ٥

(٢) الوادر في لغة أبي ريد، نطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة ٨٩٤ م ص ٢٢١

(٣) الاقتراح ص ٢٧

(٤) الأبيات والتنبؤ، تحقيق حسن السبوي، طبعة مصطفى عيسى، ط ٢ سنة ١٣٥١ هـ ١٩٤٨

٧٣

(٥) رعيات الأعيان ٣ ٤٦٦

(٦) محاسن العلماء بزجاج، طبعة حكومة الكويت ص ٧

وهذا يونس بن حبيب يذهب إلى البادية ويعود ليحدث في موضع الخليل بن أحمد

ولم يكتف السحاة البصريون الأوائل هذا المهمل الصافي ، بالنقل عن قبائل العرب العصحاء ، بل سألوا من سابع أخرى رأوا أنها ينحقق فيها سلامة اللغة ومن هذه المصادر غير ما سبق

أولاً أعراب الحاضرة الذين كانوا يجاورونهم على مشارف الصحراء ، أو الذين استوطنوا البصرة ومن هؤلاء الأعراب — كما ذكر بن السديم — أبو الجهموس ثور بن يزيد الذي كان يقصد البصرة على آل سليمان بن علي ، وأبو حيرة مهشل بن زيد ، وهو من بني عدي ، وأبو شبل العفيلي الذي وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة ، وأبو مسحل ، أو أبو محمد عبد الرحمن بن حريش الذي قدم بغداد على الحسن بن سهل ، وقد باطره الأصمعي وأخذ عنه ، وأبو مَهْدِيَّة ، وأبو ثروان العكلي ، وأبو صمصم الكلاني ، وغيرهم كثير ^(١)

وأما القبائل التي استوطنت لصره فهي كثيرة ، حيث بلغت ما يقرب من (١٩٢) قبيلة وقد حافظت هذه القبائل على عاداتها ولعنتها ^(٢) وقد كان لهم رؤساء أشبه برؤساء القبائل في الماهلية في السيادة على قبائلهم ، والتعاضد بينهم ، والخصوع لإشاراتهم في السلم والحرب ، ووقوف الشعراء بياهم يتصنون بمدحهم ، ويشدون معاشرهم ، كالأحصف بن قيس ، سيد تمم ، والحكم بن المنذر بن الجارود ، سيد عبد القيس ، ومالك بن مسبيع ، سيد بكر ، وقتيبة بن مسلم ، سيد قيس ^(٣)

ثانياً الأعراب الذين كانوا يمدون إلى سوق المريد بالبصرة الذي يعد بمثابة سوق عكاظ في الماهلية فقد كان يعد إلى سوق المريد فصحاء الأعراب يبعثونهم لبيعوها ويشتروا ما يحتاجون إليه ، وكان نخبة البصرة يشاهدونهم ، ويأخذون عنهم . ولكنهم لا يقبلون عنهم إلا بعد التثبت من سلامة لغتهم ، ولذلك يرى كثيراً من اللعويين يختبرونهم قبل الأخذ عنهم فقد نقل عن أبي

(١) المهرست لأبي السديم ص ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧١

(٢) انظر التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، د . صالح العمري ، ط الأولى ، بغداد سنة

١٩٥٢ م . ص ١٨٢

(٣) فجر الإسلام ١ : ٢١

عمرو بن العلاء أنه سأل أبا حيرة كيف تقول استأصل الله عرقاتهم ؟ ففتح أبو حيرة الفاء ، فقال له أبو عمرو هيباب أبا حيرة ! لأن جلدك (١)

ثالثاً :الأحد عمسُ اشتهر بالمصاحبة

لم يكتب البصريون الأوائل بالقل عن القبائل المعتمد عليهم ، أو الأعراب المصححة الواعدين إلى الحاصرة أو القبائل المعينة في الحاصرة ، بل تعدى ذلك إلى الأحد عمس اشتهر بالمصاحبة من أهل خواصر وعلى رأس هؤلاء التابعي المشهور الحسن بن يسار البصري (ت ١١٠ هـ) ، والوالي الأموي على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥ هـ) يقول أبو عمرو بن العلاء وما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف الثقفي فأيهما أفصح ؟ فقال : الحسن (٢)

ومن هؤلاء أيضاً أبو علي الأسواري عمرو بن قائد ، الذي تصدّر نوعه في مسجده ستا وثلاثين سنة ، فكان يوسس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويخرج به (٣)

وكانت هذه لفظة جيدة من ناحية البصره الأوائل حيث راعوا المستوى الذي تمثله لغة هؤلاء دون أن تطبق عليهم الأسس التي وضعوها لتحديد المصاحبة ولكن هذه النظرة الحديثة التي تراعي المستوى لم يؤخذ بها في المجال النطقي فيما تلاها من عصور

وقد انتقد الباحثون المحدثون مهج النحاة البصريين القدامى في اسماع ، ورأوا أن النحاة بصريهم هذا في التحديد المكاني والرماني قد وقعوا في أخطاء مهجنة ، منها

أولاً :تحديدهم القبائل التي نقلوا عنها ، حيث لا يخلو أن تكون هناك قبائل مصيحة غير التي حددوها ، مما أدى إلى ترك الأحد عن قبيلة بأسرها ، أو من أهل منطقة بأسرها وهذا في نظرهم فيه إهدار ما يكون قد استعمله هؤلاء من التراكيب والصيغ والأساليب لصحيحة المصحيحة كما هاتهم دحر لموي

(١) خصائص ٢ ٣

(٢) وهيباب الأعمد ٢ ٧

(٣) البيان والبيان ١ ٢٤٦

واهم وكثير من منابع الأحد والمراجع التي كشفت عنها الأيام بعد ذلك (١) وكان الأفضل - في نظرهم - الانتقاء بعين النظر عن الصافي الرماني والمكابي ولقبلي ، ووقفوا عند النعمة الأدبية التي جاءتهم موحدة ممثلة في الأدب الجاهلية والقرآن الكريم ، لأن محاولتهم بناء القواعد لئلا العربية من كل ما روي من القبائل قد آل إلى التناقض ، وأبعد النعمة عن الأسس والاطراد في الخصائص فلو فعلوا ذلك لحسبوا أنفسهم الكثير من الخلل حول ما يجوز وما لا يجوز ، ولكهم لجؤوا إلى إقحام تلك لصغات المحكية اللهجات العربية فهدت لهذا القواعد مضطربة متعددة الوجوه . (٢)

ثانياً : اعتبرهم النعمة العربية هي فيها من اللهجات مختلفة لهجة واحدة ، مع أن القبائل تختلف فيما بينها اختلافاً واضحاً في الألفاظ والإعراب .

ثالثاً : عرهم جاباً من اللهجات واللهات ، فأقصوها عن مجال البحث والدراسة والاستنتاج ، حيث لم يحتسبوا إلا بما كان في كبد الصحراء

وقد تلتبس المصنفون للأوائل من التعويض والحاجة أسباباً ، من أهمها الإصرار في الحيلة والحيلة دون تسرب الدخيل إلى العربية ، كما بيّنا ذلك لأن تسرب الدخيل إلى العربية يفسد الفهم ، كما يصيب أصالة اللغة وشخصيتها ؛ لأن مسيحهم يقوم على اعتمادهم على الظواهر الصورية الشائعة وهذه لفظة في الدراسات النحوية تثير الإعجاب بدكاء هؤلاء العلماء وفطنتهم ثم إن الهدف من تعميم القواعد هو المحافظة على القرآن الكريم ، فكان همهم البحث عن بقاء اللغة ومصاحتها ، مما جعلهم لا يسمعون إلا من قبائل قليلة كانت في بوادي نجد والحجاز ونهامه ، وغلبوها فصيحة

وبالجملة فإن النقل عن هؤلاء البداهة والمصحاء يُعدُّ الانطلاق الأولى على الإفادة من المصادر الأخرى فمن طريق هذا المصدر ، وهو السماع عن هذه القبائل وهؤلاء الأعراب الفصحاء ، نقل أشهر الفصحى ، وثبتت الحاجة من صحة لئله ، وعن طريقه أيضاً نقلت الأمثال والأقوال البثرية مما سوف يتضح من خلال المصادر التالية .

(١) انظر اللغة والنحو ، عباس حسن ، ص ٧٥ والرواية والاستشهاد ، د . محمد مرجع محمد ، ص

١٤٨

(٢) انظر في اللهجات العربية ، د . إبراهيم أنيس ط ٢ الأجناس المصرية ، ص ٤٨

المصدر الثاني القرآن الكريم وقراءاته

إن القرآن الكريم يعدّ مصدراً لكثير من العلوم الإسلامية ومن هذه العلوم علم النحو ؛ لأن القرآن الكريم دروه اندرا في الكلام العربي ، فهو أرى الكلام العربي اندي يجب أن يحتج به ، والأئمة جميعا على ذلك متفقون ؛ لأنه النص الوحيد الذي يستطيع الدارس أن يطمئن إلى صحته فهو أصح كلام وأبله .

فصرّ علماؤنا على أنه سيّد الحجج فكان لقدامه صفة السلامه الراسحة ، والصحة الثابتة المطردة فما ورد في القرآن الكريم فهو أصح ما استعمله العرب من أساليب وألفاظ ومن هنا كان من أهم المصادر وأوها ما فيه — كما قد — من معرّفات واستعمالات هي أصح مصدر لهم

فستعد الساجد من آياته انبيات في كثير مما استنبطوه من قواعد نحوية وتطبيقاتها من عن طريق الاستشهاد به ، أو استظهار بعض القواعد النحوية ، كما استعدوا منه في معانيهم ، ومحاوراتهم ، ومناقشتهم اللغوية والنحوية

فهد سيبويه يعدّ القرآن الكريم عنده مصدراً أكثر أهمية لاستنباط القواعد ، أو جبراً للقواعد التي قرّرت ووضعت ، واستشهاداً عليها فكانت آياته انكريمه معرضاً لكثير من الآراء النحوية والتوجيهات الإعرابية ، فحمل كتابه بالشواهد القرآنية لكثيرة ، حيث بلغت شواهده القرآنية ما يقرب من أربع وسعين وثلاثمائة آية (١)

فكان يأتي بالشاهد القرآني لبدعم القاعدة التي توصل إليها وما ساقه عليها من الشواهد وكان يسبق الاستشهاد بالآيات الكريمة من العبارات التي تدلّ على أهمية القرآن الكريم عنده ومن هذه العبارات قوله : « وما يقوي ذلك » ، ثم يأتي بالآية ، أو قوله : « وتصدق ذلك » ، ثم يأتي بالآية ، وعبر ذلك من عبارات ، مثل : « كقوله تعالى » ، أو « منه قوله تعالى » ، أو « هذا في القرآن كثير » (٢)

(١) انظر المختص لاس جسي ٢٢ ١ ٣٣ وحرره الأدب ٤ ١
(٢) انظر بحث أول كتاب في نحو عربي ، د . حسن عون ، مجله كليه الاداب ، جامعه الاسكندرية ، المجلد ١ ، سنة ١٩٥٧ م ص
(٣) انظر الكتاب ٥٩ و ٦٥ و ٧١ و ٨١ و ٨٩ و ٩٥ و ١٠١ و ١٢٢ و ١٤٠ و ٤٣

وقد سجع النحاة نصريون سجع سيبويه بالاستشهاد بلغة القرآن الكريم ،
والاستنباط منه ما فات الأسلاف من قواعد ، أو تصحيح ما سبقوا إليه من
أصول (١) ومن هؤلاء الأحفش الأوسط سعيد بن مسعدة ، فقد نوصل إلى
بعض القواعد التي انفرد بها عن جماعة النصريين مستعينا بديات من القرآن
الكريم ومن ذلك إجارته زياده (من) في الإيجاب محتجا بقوله تعالى
(ويكفر عنكم من سيئاتكم) (٢) ، وقوله تعالى (ويعمر لكم من
ديوبكم) (٣) وإجارته زياده الواو محجا بقوله تعالى (حتى إذا حاووها
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها) (٤)

وأما ما يتعلق بالاستشهاد بالعرائات القرآنية عند البصريين فإن الخليل الأول
من النحاة يرون أن القراءة منه مسبعة لا يصح لتعرض لها بتخطئه أو
نصويب فقد أثر عن الأصمعي قوله : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول :
لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا ، وحرف
كذا كذا (٥)

وهذا سيبويه رحمه الله لم يعقب قارئ ، ولم يخطيء قراءه ، بل كان يذكرها
ليبين وجهها من الوجوه العربية ، ويقوي ما ورد عن العرب ؛ لأنه يرى أن
الديات الواردة عن العرب فصيحة صحيحة ، وإن قل من يتكلم بها

يقول : إذا رأيت عربيا كذلك فلا تربيته خلط في لحنه ، ولكن هذا من
أمرهم (٦) ومراد سيبويه أنه إذا تكلم في الإمالة في المنصوب بعبر ما تكلم به
عربي آخر فلا تظن أنه محطىء

(١) أصول النحو العربي ، د محمد خير الحلواني ص ٣٢

(٢) سورة البقرة ٧٣

(٣) سورة نوح ٤ وانظر معاني القرآن للأخفش ١ ٩٨ ٩٩ و ٩٩ و ٢ ٩ و ٢ ٧ ٣ والبيداهات
٢٤١ ٢٤٣ والمجيب ١/١٦٤

(٤) سورة الزمر ٧٣

(٥) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٨

(٦) الكتاب ٤ ١٢٥

يعون : وأما قوله عز وجل (إنا كل شيء خلقناه بقدر)^(١) فإنما هو على قوله ريد صبرته ، وهو عربي كثير وقد قرأ بعضهم (١) ما نمود مهديه)^(٢) إلا أن القراءة لا تختلف ؛ لأن مرعاه بسبه^(٣) .

فالقراءة معددة لا بخطتها ، ولا بخطىء الفارىء ، بل بحول تحريكها على إحدى لغات العرب ومعنوم أن القراءات م تكن قد سميت أو خُددت في زمانه ، ولم تكن هذه البحوث بصورة في لقراءات ، وفي طبقات القراء ، ولم يعرف القراء السبعة ، ولا العشرة ، ولم يحدد روايتها من بواقره أحد ، ولم يحصل هذا في وقت متأخر عن زمانه بعد تصنيف العرب الثالث المحجري فكأن ابن كثير أو المتكلمين على القراءات السبع والخلاف حولها وقد توفي سنة ٢٧٦ هـ ثم جاء بعده أبو بكر أحمد بن موسى بن عباس بن محمد البغدادي في القرن الرابع المحجري (٢٤٥ - ٣٢٤ هـ) فحدد شخصيه القراءات

فموقف سيئويه من القراءات موقف من يعرف بالقراءة ، وأنها بسبه ، بل إنه منشهد في كتابه بقراءة غير الجمهور قال عبد حديته عن الصميم بمفصل ، حيث ذكر أن كثيرا من العرب يجعلونه ميلا ويرفعون ما بعده على الآخر ، قال : وحدثنا عيسى بن سب كثيرا يقرؤونها : وما ظنهمهم ولكن كانوا هم الظالمون^(٤) وهذه القراءة في عرف المتأخرين شاذة^(٥)

والدليل على احترامه لقراءه أنها براه عبد حديته على العصف على الصميم الجور ، وقد حص دلت بصروره الشعر^(٦) دون أن يعرض لقراءة حمزه : واتقوا الله أندي ساءلون به والأرحام^(٧) بحر الأرحام وكذلك براه لا يجوز لفصل بين المصاف والمصاف إليه إلا في ضروره شعر^(٨) دون

(١) سورة نصر ٤٩

(٢) سورة قصص ٧

(٣) الكتاب ١ ١٤٨

(٤) سورة الم ج ٧٦ نظر الكتاب ٢ ٢٩٢ و (الصابون) م يه عبد الله م ي ر ه

البحرين نظر البحر محيط ٢٧ ٨

(٥) نظر مختصر شواذ القراءات ص ٣٦ والبحر محيط ٢٧ ٨

(٦) الكار ٢ ٣٨

سورة النساء

(٨) الكتاب ١ ١٧٦

الإشارة إلى قراءة عهد الله بن عمر ، وكذلك رتب لكثير من المشاركين قتل أولادهم شركائهم ،^(١) يباء (رتب) سمحهم

وبخلة فإن مبع سيويه في فراءات يقوم على جوار الترجيح بين الفراءات المتواترة ، وذلك بتحكم سائيت العرب ، وموردية المعنى ، وعدم مي قراءة بالبحر أو خطأ ، مهم بيع من صفعها أو سرتها ، لأنها شاهد نطق به فصيح

ويتصح اهتمام سيويه بالشواهد القرآنية إذا عرفنا أن المسائل السجوية التي ورد فيها الاستشهاد بالقرآن الكريم تبلغ ما يقرب من (١٨٩) مسألة ، اعتمد سيويه فيها على القرآن الكريم وحده في (١٣٨) مسألة دون أن يسوق معها شعرا ، على حين أورد الاستشهاد بالآيات القرآنية قبل الشواهد الشعرية (٣٥) مسألة ، واستشهد بالآيات القرآنية ناية للاستشهاد بالشعر في (١٦) مسألة

وقد حكم الأستاذ الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه : سيويه والقراءات^(٢) بأن سيويه رحمه الله يصنف بعض الفراءات ، أو يردّها مثل قراءه : سواء بحياهم ومماثهم^(٣) بآيا حكمه على شبه ظنون ، لا على حقائق صريحة واضحة

فعلى حين يقول سيويه : واعلم أن ما كان في السكرة رفعا غير صفة فإنه رفع في المعرفة من ذلك قوله جر وعرف : أم حسب الذين احترحوا السيئات أن يحدهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماثهم^(٤) ، وتقون مررت بعبد الله خيرّ منه أبوه فكذلك هذا وما أشبه ومن أجرى هذا على الأول فإنه يسعي له أن يصبه في المعرفة ، فيقول مررت بعبد الله خيرا منه أبوه وهي لغة رديئة ، وليس بمسألة العمل نحو صارب ، وملازم ، وما صارعه نحو حسن الوحة^(٥) ،

(١) سورة الأعراف ١٣٧

(٢) انظر كتاب سيويه والقراءات ص ٦٤ وما بعدها

(٣) سورة طه ٢١

(٤) الكتاب ٢ ٣٣ ٣٤

ولدي يظهر من كلام سيويه أنه يفرق بين كلمة (حير) ، وبين المشتقات العاملة كاسم العامل أو الصفة مشتبه ، هذا حكم على نصب (حيرا) بالرداءة ، وهذا بعيد عن « سواء » لأنها بمعنى « مستو » ، فهي في معنى المشتق العامل ، ونمثيه الآية لكرمه بقوله « مررت بعبد له حير منه أبوه » إثم من جهة رفع الصفة ، ولا يستلزم منه أن الأسلوبين في نظره سواء من جميع النواحي ، وعلى فرائض أن الأسلوبين في نظره سواء فإنه قد ضعف الأسلوب ونعاشى التعرض لقراءة ، وهذا مما يحمد به ، وليس يأخذ عليه ، فإنه لم يعمد بحوي بصدد تقبين لدعه ووضع قواعده ، ومهمه أن يحكم على الأسلوب الدعوي بالحدوده أو الرداءة ، أو بالترجيح أو انتصاف في ضوء ما ثبت به من كلام العرب الموثوق بهم فإن ما صحح عن العرب — ومنه لقراءات القرآنية — يمكن ترجيح بعضه على بعض دون توصيف بالخطأ أو السحق

كما ذكر الدكتور أحمد مكي لأبصارى أن سيويه يصنف قرآنه « هؤلاء باقى من أظهر لكم » (١) وهذا رجاء إلى كتاب وجد أن سيويه نقل رأي أبي عمرو بن العلاء عن طريق شيخه يونس بن حبيب ، حيث يقول « ورغم يونس أن أبا عمرو رآه لحا ، وقال احتسب بن مروان في ده في النسخ » (٢) ولكن الدكتور أحمد مكي لأبصارى اعتمد على كلام ابن جني في المختص ، حيث ذكر أن سيويه ذكر هذه القراءة وضعفها ، وقال فيها احتسب بن مروان في لغة (٣) وقد تابع البرمخشري ابن جني في هذا التساهل في النقل (٤)

ولكن الذي طعن في هذه القراءة صراحة — بعد أبي عمرو — هو المبرد ، حيث قال في المعتصب « وأما قرعة أهل المدينة » هؤلاء باقى من أظهر لكم « فهو حسن فاحش ، وإنما هو على فراءة ابن مروان ، ولم يكن به علم بالعربية » (٥)

(١) سورة هود ٧٨

(٢) الكتاب ٢ ٢٩٦ - ٣٩٧

(٣) ص ٣٢٥

(٤) نظر الكشف ٢ ٢٩٦

(٥) المعتصب ٤ ١٥

فالجيل الأول من السحاة البصريين كان موقفهم من القراءات موقف من يعدّ القراءة سه مسبعة ولكن هناك طائفة من سحاة البصرة المتأخرين تجاوزوا موقف أساتذتهم الأويين ، وعرضوا لبعض القراءات بالخطئة تارة ، وبالرفض والإنكار تارة أخرى فوقفوا منها موقفهم من سائر النصوص الدعوية الأخرى ، فأحصوها لأصوهم وأقيستهم ، مما وافق منها أصوهم ولو بالتأويل قبوه ، وما أبها رفضوا لاحتجاج به ، ووصفوه بالشذوذ ، أو لبعث ، حتى لو كانت هذه القراءات من القراءات السبعة (١)

ومن هؤلاء المبرد الذي يعدّ واحدا من السحاة البصريين الذين قادوا الحمم على القراء ، والسحرية منهم (٢) يقول المبرد : « لو صليت خلف إمام يقرأ : وما أنتم بمصرحني » (٣) — بكسر الياء ، وقوله تعالى : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » (٤) — بكسر الميم ، لأحدث علي ومصيت » (٥)

وقد دافع أبو حيان في البحر المحيط عن هذه القراءة ، أي قراءة كسر الياء (٦) ، كما قد ين يعيش قول أبي العباس المبرد هذا فعلا : « هذا انقول عمر مرصي من أبي العباس : لأنه قد رواها إمام ثقة ، ولا سبيل إلى رد الثقة » (٧)

كما طعن المبرد أيضا في قراءة حمزة ، ورمها بالخطأ في قوله تعالى : « ثلاثمائة سبيل » (٨) — بإضافة (مائة) إلى (سبيل) وقال : « وهذا خطأ في الكلام غير جائز ، وإنما يجوز مثله في الشعر للضرورة » (٩)

وقد اتهم القاريء نافع بن أبي نعيم بالسوء في فهم العربية في قراءته « معائش » بضمير ، فقال : « وأما قراءة من قرأ « معائش » (١٠) فمهر فإنه

- (١) حكمة الكوفة ص ٣٣٧
- (٢) انظر مقدمه المحقق للمقتضب ١١١/١
- (٣) سورة إبراهيم ٢٢
- (٤) سورة النساء ١
- (٥) انظر تفسير القرطبي ٢ ٥ ومقدمه للمقتضب ١ ١ ١
- (٦) بحر المحيط ٤١٩ ٥ ٤٢
- (٧) شرح المفصل لأبي يعيش ٧٨/٢ والبرهان في علوم القرآن ٣١ ١
- (٨) سورة الكهف ٢٥
- (٩) للمقتضب ١٧ ٢
- (١٠) سورة الأعراف ١٠ ، وسورة الحجر ٢

عبط ، وإنما هذه القراءة مسوبة إلى نافع بن أبي نعم ، ولم يكن له علم
بالعربية ، وله في القرآن حروف قد وقف عليها ، (١)

واتهام النحاة لقراء بعدم فهم أسرار العربية قد أشار إليه أبو حيان في
معرض البعد نهج النحاة ، حيث يقول : « فادّعى النحاة أن العربية صناعة
لا يفهم القراء أسرارها ، ولا يدرون ما هي » (٢)

وقد حارى بعض لبصريين المبرد والنحاة المتأخرين في موقعهم من
القراءات فهذا من جني يقول عن قراءة عاصم في قوله تعالى « وقبل من
رق (٣) — بياك النوب من (من) يقول » فهذا معيب في الإعراب ضعيف
في الأسجاع ، (٤)

وكان على ابن جني أن يبره سانه من الوقوع في لقراءة الصحيحة فتواتره
عن الرسول ﷺ ، وبخاصة إذا علمنا أن هذه السكتة الطبيعية قصد رفع
اللسان ألا يتوهم أن (من راق) هي (مَرَّاق) فقال من « مرق » (٥)

ولكن ابن جني في الوقف نفسه يرد على المبرد في إنكاره قراءة حمزة من
قوله تعالى « تساءلون به والأرحام » سبعة ، حيث يقول : « وليس هذه
القراءة عندنا من الإبعاد ، والمحش ، وشدعة ، وبعصف على ما راه فيها
ودهب إليه أبو العباس ، بل الأمر فيها دون ذلك ، وأقرب وأحف وأنطف
ودلك أن حمزة أن يقول لأبي العباس إسي لم أحمل (الأرحام) على العصف
على لجرور المصنم ، بل اعتقدت أن يكون فيه باء ثالثة ، حتى كأنني قلت
(وبالأرحام) ، ثم حذف الباء تقدم ذكرها ، كما حذف لتقدم ذكرها في
نحو قولك : بمن نمرر أمرر ، وعلى من نرل أمرل ، ولم يقل أمرر عليه ،
ولا أمرل عليه . » (٦)

(١) مصدر سابق ١٢٢

(٢) البحر المحيط ٢٧١

(٣) سورة نعيمة ٢٧

(٤) الخصائص ٩٤

(٥) راجع نشر ، طبعه دمشق ١٩٩٠ ج ١ ح ١٢١ تعالي للأوسى ومفسر العرطبي في تفسير سورة
النعيمة وانظر هذه الخصائص ٩٤

(٦) الخصائص ٢٨٥ . ٢٨٦

وقد دافع ابن جني في كتابه « المختص » عن القراءات وما جاء فيه قوله « ولما يقول هذا تعريضا للعدول عما أقرته الثقات منهم ، ولكن عريضا أنا بري وجهه هو ما يسمى الآن شادا » وكيف يكون هذا ، والرواية تنسبه إلى رسول الله ﷺ الذي يقول عنه الله جل ثناؤه . (وما أتاكم الرسول فخذوه) (١) ، (٢)

ومن السحابة الذين تابعوا النصريين المتشددين الرمحشري ويتصح ذلك من موقعه من قراءة عبد الله بن عامر في قوله تعالى « وكذلك رآي كثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » (٣) — يساء (رآي) للمجهول ، وجر (شركاء) ، قال الرمحشري « والمفصل بينهما (أي بين المصاف والمصاف إليه) بعير الطرف شيء لو كان في مكان الضرورات ، وهو الشعر لكان منجما مردودا ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن بطله وجرانه ! والذي حمله (يعني عبد الله بن عامر) على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء ... » (٤)

ويعلم من كلام الرمحشري أن هذه القراءة مصنوعة من لدن القاريء أوقعه فيها نقط الألفاظ ، كما يرى أن القراءة عند القراء احتجارية ، وليست رواية وينقل عن رسول الله ﷺ .

وقد تلقف المستشرق جولد نسيهر رأي الرمحشري في قراءة ابن عامر ، وحول الدس على القرآن الكريم مدعيا أن القراءة مصنوعة ، وأن السبب في اختلافها إلى سبع قراءات أو أكثر يرجع إلى سببين هما عدم نقط الألفاظ ، وعدم وجود حركات الإعراب . وفي هذا الرأي المسموم إيهام أن المسلمين قد قرؤوا القرآن كما شاؤوا ، وحرروا في حروفه وألفاظه دون وحي من الله أو أمر من الرسول محمد ﷺ (٥)

(١) سورة المشر ٧

(٢) مختص ، المقدمة ١ ٢٢ — ٢٣

(٣) سورة الأعمام ١٣٧

(٤) بكشاف ٥٣٣ ، طبعه الخبي سنة ١٩٦٦ م

(٥) سم تصحف ولا حجاج به في القر ، د . عبد الفتاح شبيب ص

ويدحض رأي هذا المستشرق المأثور أن هذه القراءات رويت وشاعت قبل تدوين المصاحف ، كما كان القرآن الكريم محفوظا في الصدور قبل كتابته في المصاحف فكانت القراءات على حسب ما يروون ويفنون مع اشتراط العلماء في القراءات المشافهة والسماع حتى يتصل الإسناد بالصحابي الذي أخذ عن رسول الله ﷺ فهي ليست اختيارية ، ولكنها توفيقية ولا انتعانت إلى كلام الرمحشري الذي يهيم منه أنها اختيارية من المصحف وحتهد من ابلعاء (١)

فالخط ليس هو العمدة في القراءة ، بل العمدة ابروايه ، لأن هناك قراءات يستوعبها الخط ، ولكنها لم تعتمد في القراءات ا سبع ، ولا الأربع عشرة ، وإنما هي مسكرة ومن هذه القراءات « تستكبرون » بالشاء المثثة من قوله تعالى « ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفهم بسيماهم قالوا ما أعنى عبكم جمعكم ، وما كنتم تستكبرون » (٢) فهذه القراءة يستوعبها الخط ، ولكنها مسكرة ، مما يدل على أن الخط ليس عمدة في القراءات .

وفي المقابل فقد وجد من البصريين المتأخرين من وقف من القراءات موقف المصنف داعياً إلى الاحتجاج بها والاعتماد عليها في تقعيد القواعد ، وإجارة بعض الاستعمالات في العربية وعلى رأس هؤلاء الحجة البصريين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي العرناطي ثم المصري (ت ٧٤٥ هـ) (٣) فقد اشتمل كتابه البحر المحيط على الدفاع عن القراء ، فكثيرا ما يقول « ليس العلم مقصورا ، ولا محصورا على ما نقله وقانه البصريون ، فلا ينظر إلى قولهم . إنه لا يجوز » (٤)

فكان لا يتردد في البحث عن وجه صحيح من العربية لتوجيه القراءات ، سواء أكانت متواترة أم صعيمة أم شاذة . يقول مسكرا موقف الرمحشري من قراءة حمزة (والأرحام) : « أعجب لعجمي صعيص في النحو يرد على عربي

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ، ط الخلي ، سنة ١٩٥٩ م ١ ٣٧٢

(٢) سورة الأعراف ٤٨

(٣) انظر لترجمته بهذه الوعاة ١ ٢٨ . ٢٨٥ ومقدمه لمحقق لتعريب المقرب ١٧ — ٧٥

(٤) البحر محيط ١٤٦ ٣ و انظر ١ ٢٥٤ و ٢٨٨/٢ و ١ ٢٧ و ٣٧٠ ٧ و ٤١٧ و ٤٩٣ ٨

صریح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت (١)

فمعظم انقراء السبعة عرب أقحاح عدول ، تلقى أكثرهم انقراءة عن الصحابة رضوان الله عليهم . يضاف إلى ذلك أنهم كانوا رؤساء مدارس الإقراء في الإمبراطورية الإسلامية وقد قال حمزة بن حبيب : « ما قرأت حرفاً من كتاب الله إلا بأثر » (٢)

وقد سار على نهج أبي حيان عمر من السجدة ، كابن الجاحظ ، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يوسف المصري (ت ٦٤٦ هـ) (٣) الذي يرى أنه إذا خلف الحويون والقراء كان المصير إلى انقراء أولى . لأهم ما يقبضون على ثبت عصمته من الخط ، ولأن القرآن ثبت متواتراً ، وما نقله الحويون فأحاد ، ثم لو سلم أن ذلك ليس بمتواتر فانقراء أعدل ، فالرجوع إليهم أولى . وأيضاً لا يعقد جمع الحويين بدوهم ؛ لأهم شاركهم في القراءات السبع (٤) وقريب من هذا ما ذهب إليه بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر القرشي المخرومي ، المعروف بابن الدمامي (ت ٨٣٧ هـ) (٥) أيضاً حيث يقول : « لا يكون نقل القراء هذه الأشياء أقل من نقل باقي لعربية من الأشعار والأقوال ، فكيف يطعن فيما نقله القراء الثقات » (٦)

وقد عاب فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) السجدة لاعتمادهم على بيت مجهول في إثبات اللغة مع عدم اعتمادهم على القراءات يقول : « وكثيراً ما يرى الحويين متحيزين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فراحوا به فأنا شديد التعجب منهم ، فإنهم إذا جمعوا ورود البيت المجهول على وفقها دليلاً على صحتها ، فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها أولى » (٧)

(١) المصير بعد ٢٢٩/٤ - ٢٣
٢) نشر ١٦٦/١

(٣) انظر ترجمته بغية الوعاة ١٣٤/٢ - ١٣٥ ومقدمة المحقق للكافية

(٤) عيب يقع في القراءات السبع لنصفها من ص ٦٥

(٥) انظر ترجمته بغية الوعاة ١ - ٦٦ - ٦٧ وكتاب « الدمامي حياته وآثاره » ومبحة في كتاب معين المرائد ص ٧ - ١٢٢

(٦) انموذج الفتحة حمزة فتح الله ٥٤/١

(٧) تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير) ، دار الطباعة ، القاهرة ، سنة ١٢٨٩ هـ - ١٩٣٢

وشبه هذا ما قاله أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حرم الطاهري
الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦ هـ) ، حيث يقول : « والعجب ممن إن وجد
لأعرابي جلف أو لأمريء العيس أو شجاع أو حسن البصري لفظ في شعر
أو أثر جعله في النعمة واحتج به على خصمه ، ولا يستشهد بكلام حاتم
الذعاب ، ولا بكلام الرسول ﷺ ، وهو أفصح العرب ، وما في اتصال بعد
هذا ! » (١)

ويدل أن السبب الذي جعل بعض النحاة يصرون برقص بعض
القراءات يعود إلى الاختلاف في المسح بين سحاه والقراء فإن مسح سحاه
يقوم على القياس والاعتقاد على أشهر دعاب وأكثرها شيوعا واستعمالا
وأحفظها بالشواهد ، ثم تعليل هذه ظواهر على حين يقوم مسح القراء على
الرواية دون الانتفاع إلى شيوع النعمة أو سحرها أو شهودها وقد أبان عن
مسح انقراء أبو عمرو الداني حيث يقول : « وأئمة لغوا لا يعمل في شيء من
حروف انقراء على الألف في السعة والأفيس في العربية ، بل على الألف في
الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردده قياس عربي ولا
مشو لغة ؛ لأن القراءة سه متبعة يلزم قبولها ، وتصير إليها » (٢)

وهذا الرقص من قبل بعض نحاة البصرة أهدر كثيرا من الاستعمالات
للمصيبة والذهجاب العربية التي تفوق فصاحه ما سشهدوا به من بعض
لشواهد الشعرية ، وإن في رقص انقراءات محجير واسع ؛ لأن أحدا لا يدعي
أنه أحاط بجميع كلام العرب ، ثم كيف يجوز الاحتجاج بالأحد بأقوال نقلها
عن العرب من لا يعتمد عليه لجهله أو لعدم عدائه ؟ وينرك الأحد والتمسك بما
تب نواتره

وقد وجد في العصور المتأخرة من عند باقرات انقرايه واعتمد عليها في
التفميد ، وفي مجال لتطبيق وساء لقواعد ومن هؤلاء العلامة جمال الدين أبو

(١) الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن حرم الطاهري ، مطبعة السعادة ، القاهرة - ١٣٤٥

(٢) نشر في نزهة العشب - ١

عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الحناني (ت ٦٧٢هـ)
مما سببه في مكانه إن شاء الله

(١) ينظر ترجمته بفتح الوجة ١٣٠/١ - ١٣٧ وتمهيد محقق التسهيل ١ - ٦٣ ، وانظر شواهد
التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص ٣٩ و ٤٢ و ٥١ و ٥٢ و ٥٥ و ٨٨ و ٩٧ و
١٢٨ و ١٣٣

المصدر الثالث الحديث البوي الشريفة

م يصرح سيويه في كتابه بالاستشهاد بالحديث ، وقد أورد بعض نماذج من أحاديث بويه معروضة عن السند وقد علل بعض النحاة نفيه من الاستشهاد بالحديث بأن أغلب الأحاديث مروية بالمعنى ، يقول أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكندي : إسناده المعروف بابن نضاعة لأبي سفيان (ت ٦٨٠ هـ) (١) : تجويز الرواية بالمعنى هو السبب — عدي — في ترك الأئمة — كسيويه وغيره — الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتمادها في ذلك على القرآن وصرح الفيل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بخوار العمل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح النعمة كلام أبي سفيان (٢) : لأنه أفصح العرب (٣)

وبعض النحاة يعلل ترك سيويه الاستشهاد بالحديث بخطئه عند زياده حلفه شيعة حماد بن سلمة بن دينار البصري (ت ١٦٧ هـ) ، فقد كان سيويه ممن كان يستعمل الحديث عن حماد وقد استملاه قول أبي سفيان (٤) : ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأحدث عليه ليس أبا الدرداء ! فقال سيويه : ليس أبو الدرداء فصاح به حماد لحب يا سيويه ! فقال سيويه : لا حرم ، والله لأطلس علما لا يلحني معه . فصيح ولزم مجلس الأحفش الكبير والخبيل وسائر المحويز (٥)

وقد تابع المبرد سيويه في هذه الاستشهاد بالحديث في كتابه المختص ، فقد ذكر محقق الكتاب في مقدمته أنه لم يستشهد إلا بأربعة أحاديث (٦)

وقد علل أبو حيان ذلك بعدم وثوق العلماء السابقين أن ذلك لعظ الرسول ﷺ ؛ إذ لو وثقوا بذلك لحرقوا بحرق القرآن الكريم في إثبات القواعد نكالية ، مسنداً على ذلك أن مرواه حوارة البقل بالمعنى ، فوجد قصة واحدة قد جرت في زمانه ﷺ لم تُقل بذلك الألفاظ جميعها ، نحو ما روي من قوله

(١) انظر ترجمته بهبه الوعاء ٢ ٤ ٢

(٢) حزانة الأدب ١ ٢٣ ، انظره ١٣٤٧ هـ عبيد لأساد عبد سلام هارون ، والاقتراح

بسيوطي ص ٥٤

(٣) مجالس العلماء بترجمته ص ١٥٤ — ١٥٥

(٤) مقدمه محقق المختص ص ١٦

« وحكمها كـ معك من القرآن » ، و « منكتكها بما معك من القرآن » ، و
 « حده كـ معك من القرآن » ، وغير ذلك من الألفاظ الواردة في هذه
 قصصه فمن يغير ^{صلى الله عليه وسلم} ^{عليه السلام} لم ينقط بجميع هذه الألفاظ ، بل لا يحرم بأنه قال
 بعضها إذ يحمل أنه قال لمظا مرادفا لهذه الألفاظ غيرها ، فأتت الرواة
 بتدوير ، ولم تأت بنقطه ؛ إذ المعنى هو المطلوب ، معلا ذلك بتعادم
 السماع ، وعدم صحتها بالكتابة ، والالتكال على الحفظ ؛ لأن صيغ اللفظ
 بعد حد ، ولا سيما في الأحاديث انصوائا ، وكل ذلك بالإضافة إلى أنه وقع
 نسخ كثير مما روي من الحديث ؛ لأن الرواة كانوا غير عرب بالطبع
 وقد راعى الحاجة بسبويه والمبرد في التحفظ بالاستشهاد بالحديث السوي
 فهي العرب الرابع يرى أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) لم يحتج إلا بخديشين
 ذكرهما الدكتور عبد الفتاح شلبي ^(١) علما بأنه لم يرد في الجزء الأول من
 الإيضاح المعصدي لأبي علي الفارسي إلا حديث واحد ^(٢) ، وهو « كل مولود
 يولد على الفطرة ، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه »

وأما ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فكان يهمل الحديث تماما في تقرير قواعد
 أو إثبات النصوص المعوية وقد أورد بعض الأحاديث للاستعانة به ، ذكرها
 فاضل السامري ^(٣)
 وأما الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فقد توسع قليلا في الاستشهاد بالحديث في
 النحو ولغة ^(٤)

وقد قسم بعضهم الاستشهاد بالحديث في اللغة ومهم أبو البركات بن
 الأباري (ت ٥٧٧ هـ) ^(٥)

وقد توسع عنه الأندلس أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد
 السهلي (ت ٥٨١ هـ) ^(٦) في الاستشهاد بالحديث ، وبخاصة في أماليه

(١) حواه الأدب ٢٣١ - ٢٤

(٢) أبو علي الفارسي ، ص ٢٣

(٣) نفسه

(٤) ابن جني فاضل السامري ص ١٣٤

(٥) اللسان النحوي ، النحوي عبد الزمخشري ، ص ١٨١

(٦) أبو البركات الأباري در سانه نحويه ، ص ٢٣٦

(٧) نظم ترجمه سير علام النبلاء ٢١ ١٥٧ ، بهمه المؤلفة ٨١ - ٨٢ وطبعات لمعظ ص ٤٨

ومعتمده محقق سائح المعجم ١٦ - ١٧

وهكذا تتابع النحاة في إيراد بعض الأحاديث بالاستشهاد بها في النحو
ولغة ، ولكن بسبب كثرة ما نقلها عنه من ما لا

وقد اختلف النحاة في مر الاستشهاد بالحديث ، فذهب طائفة
مهم إلى معه حامدين قلة استشهدوا به على معانيهم عنه عمد ،
فحسبوا أنفسهم مع قدماء النحاة في معه

ودهب طائفة مهم إلى حوار الاستشهاد به ، ويرون أن فيه الاستشهاد
بالحديث لدى القدماء م نكر لعدم حجة عندهم

وتنحصر حجة الناصحين في أمرين

الأول أن الرواة جَوَرُوا نفل بالنسبة ، فهو ثابت حجة أن هذا الحديث
من لفظ النبي عليه الصلاة والسلام لخار الاحتجاج به

الثاني وقوع اللحن كثير فيما روي في الحديث ، وسبب ذلك أن كثيرا
من رواه كانوا غير عرب بالسليقة ، وما تعلموا العربية بصاعه النحو ، فوقع
اللحن وغير الصحيح من لسان العرب في كلامهم وروايتهم وهم لا يعلمون
ذلك

وأما المخبرون فحفظهم أن الأصل رواية الحديث على نحو ما سمع من رسول
لله صلى الله عليه وسلم ، وأن أهل علم الحديث قد شددوا في ضبط ألفاظه
وتحرروا الدقة في نقله ، وهذا يحصل غلبة الظن بأن الحديث مروي بالفظ
وعبى النص كافية في إثبات الألفاظ لمعويه ، وتقرير لأحكام النحوية

وأما القول بأن في رواية الأحاديث أعاجم فإنه قد يقال مثله في رواية
الشعر والنثر اللذين يحتاجهما النحويون ، فإن في روايتهم كثيرا من الأعاجم
فمن رواه الشعر حماد بن مسيرة بن المبارك المعروف بحماد الرواية (ت ١٥٥ هـ)
الذي كان يكذب ويلحن ويكسر ، ومع ذلك لم يورع الكوفيون ومن تبع
مذهبهم في الاحتجاج بمروياته ثم إنه وصل الأمر برواية الحديث إلى هذه
الدرجة من الجهل بالعربية سليقة وصناعة ما صبح الاحتجاج بمروياتهم في
الشريعة

(١) أسباب في تعريبه وإدخالها ، محمد طاهر حبيب ص ٧

كما أن سحابة يحتجون بكلام الأعراب الوافدين على لمواضع ، وكثير من
أولئك الأعراب ينلقون أحاديث الرسول ﷺ من أكابر الرواة ، ويعجبون
لمصاحبتهم ، مما يدن على سلامه أعاصير لأحاديث

كما أن نقل بالمعنى وتعدد الرويات ليس بمقصود على الأحاديث محسب ،
بل محد تعدد روايات في الآيات الشعرية أيضا والقول بأن منشأه تعدد
نقائل بسر مما يتمشى في كل موضع ، على أن ثبت ذلك في كل باب دونه
حرط القناد

كما أنه قد صرأ على الشعر كثير من التصحييف والوضع والاختلاق من
أمثال بن دأب وابن الأحرر والكلبي وإحوصهم ، ورواة الشعر فيهم أيضا من
الشعرية أهم ، على أن اسمهم في القرون الأولى كانوا أحرص على إتقان
الحديث من حفظ الشعر ونشئت في روايته ، وقد فيص الله سبحانه وتعالى
لأحاديث رسوله ﷺ من جهابذة القناد من نعى عنه ما كان فيه من شبه
الوضع والانتحال ، وهذا حرم الشعر منه

ثم إن كثير من أئمة اللغة واسحوين من غير العرب ، وأكثر مؤسسي
مدرستين بصرية والكوفية في النحو من أصول أعجمية ، ولكم حجة
ثقة ، فكيف لا يعتمد على ما رواه أمثالهم من علماء من الأحاديث ،
وأكثرهم قد وصف بالمصاحبة ، وبمعرفة العربية وأسرارها ، من أمثال حماد بن
سهم ، الذي كان أحد أساتذة سيويه والذي قد أحد عنه يونس بن حبيب
لعربية ويقول فيه أبو عمر صالح بن إسحاق الحرمي (ب ٢٢٥ هـ)
« ما رأيت فقيها أفصح من عبد الوارث (ب ١٨٠ هـ) ، وكان حماد بن
سمة أفصح منه »^١

وما العلامة محمد بن عبد الله بن مائث (ت ٦٧٢ هـ) فقد توسع فيه
توسعا نفس فيه على العربية بعض الشيء ، فأعاد للنحو مصدره الخصب ، بعد
أن ظل مدة طويلة يفتقده مجذب وإنا لنعجب من انجاة في اتجاههم إلى
البحث عن الجذب من اشواهد في ابوابي والصحاري ، ومن الأعراب

(١) أخبار شعوب البصريين ص ٥٩ ، طبقات الزبيدي ص ٥١

(٢) أخبار شعوب البصريين ص ٥٩

البوابين على أعصابهم على حين لخصب محيط بهم من كل جانب ، وخاصة أن
اسحابة تربو في محاسن أهل الحديث ، كحماد بن سعدة ، شبح سيويه ويونس
بن حسب

فقد حصا ابن مالك بالاحتجاج بالحديث خطوه موفقة حين جعل الحديث
مصدر انشائي من مصادر الاحتجاج بعد القرآن الكريم يقول عنه صلاح
الدين الخليل بن أبيك الصمدي (ب ٧٦٤ هـ) : أكثر ما يستشهد
بالقرآن ، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث ، وإن لم يكن فيه شيء عدل
إلى أشعار العرب .^(١)

ويظهر ذلك جليا في كتابه : شواهد تنويع والصحيح لمشكلات جمع
الصحيح ، . د يحتوي على ٢٦٦ حديث ، منها (١٨٢) حديثا هي التي ألف
الكتاب من أجلها ، ومنها (٨٤) حديث استشهد بها لتأييد بعض المسائل
السحوية في الأحاديث السابقة . وقد جرح من هذه الأحاديث بمسائل سحوية
أعدها السحويون فيه

وقد أشاد ابن لطيب القاسمي بهذه الطريقة ، حيث يقول : ما رأيت أحد
من الأشباح المحققين إلا وهو يستدل بالأحاديث على القواعد السحوية والألفاظ
السحوية . ويستنبطون من الأحاديث السوية لأحكام سحوية وانصرممة
واسعوية ، وغير ذلك من أنواع العلوم السنية ، كما يستخرجون منها الأحكام
الشرعية وأخيرا لحق ما قامه الإمام ابن مالك ، علامه حيان ، لا ما قامه أبو
حيان ، وكلام ابن الصائغ كلام صائغ ،^(٢)

وقد شجع أبو حيان محمد بن يوسف بن علي العرناطي (ب ٧٤٥ هـ) على
بن مالك ، واتهمه بالخروج على مس سحويين . قد أكثر المصنف من
الاستدلال به وقع في الأحاديث على إثبات القواعد السنية في مسائل العرب
وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره ، على أن
هو صعب لأولين نعم السحو المستعثرين للأحكام من مسائل العرب كأي عمرو

(١) الوافي بالوفيات حبيب بن بيت الصمدي ، نشره لإسلاميه ٣٨ هـ من ٣ ٢٥٥

(٢) غريب برويه في تعريف الكفاية لأبي الطيب القاسمي تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، نسخة
الآة الكعبة

بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه ، من أئمة البصريين ،
والكسائي ، والعمراء ، وعلي بن المبارك الأحمر ، وهشام الصيرفي من أئمة
الكوفيين لم يمعنوا ذلك وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من العريفيين ،
وعبرهم من بحاة الأقاليم ، كسحابة بغداد وأهل الأندلس (١)

ولا صير أن يتدارك المتأخرون ما فات المتقدمين ، بل إن ذلك هو المستطر
وبخاصة أن العالم من الأوائل قد يعلم روايات محدودة ، وحرهم من صنف
معدرات اللغة في موضوع واحد ، كالأصمعي مثلاً ، ثم جاءت بعدهم طبقة
وصل إليها كل ما صنف السابقون ، فكانت أوسع إحاطة ثم جاءت طبقة
بعد طبقة ولذلك نجد لدى المتأخرين من ثروة بحوية أو لغوية أو حديثية شيئاً
وأمرأ مكتمل من أن يكون نظرتهم أشمل ، وأحكامهم أسد ولو كانت هذه
الثروة في أيدي الأقدمين ، كأي عمرو بن العلاء والأصمعي وسيبويه لعصروا
عليها بالتواجد ، ولغيروا — مخرجين معبطين — كثيراً من قواعدهم التي
صاحبها حين وضعها شح الموارد (٢)

وكان ممن أنكر على ابن مالك الاستشهاد بالحديث أبو الحسن علي بن محمد
بن علي بن يوسف الكتامي ، لإشغلي المعروف بابن الصائغ الأندلسي
(ت ٦٨٠ هـ)

على حين يرى بدر الدين الدماميني (ت ٨٢٨ هـ) يدافع عن ابن مالك
في شرحه التسهيل ، المسمى « تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد » ، قال
ونقد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث البوية وشنع أبو حيان عليه
وقال إن ما استند إليه من ذلك لا يتم له ؛ لتطرق احتمال الرواية بالمعنى ، فلا
يوثق بأن ذلك المحتج به لفظه عليه الصلاة والسلام حتى يقوم به الحجة وقد
أجريت ذلك لبعض مشايخنا ، فصوب رأي ابن مالك فيما فعله ، بناء على أن
اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب ، وإنما المطلوب عليه الظن الذي هو مناط
الأحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل معدرات الألفاظ وقوابير
الإعراب

(١) الاقتراح ص ٥٢ ، تحقيق أحمد قاسم ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م ، القاهرة

(٢) في أصول النحو ٤٩ ٥

فالطعن في ذلك كله كاف ، ولا يخفى أنه يعيب على الظن أن ذلك السمع
اصحح به م يدل ؛ لأن الأصل عدم التدليل ، ولا سيما و تشديد في ضبط
واستحري في نقل الأحاديث شاع بين سلفه والمحدثين

ومن يقول منهم بحوار النقل بالمعنى فإنه هو عنده معنى التحوير بمعنى انسي
لا يباي وقوع نقيضه ، فذلك تراهم يحرون في ضبط و تشدد . مع
قولهم بحوار نقل بالمعنى ؛ فيعيب على الظن من هذا كنهها ثم ثبوت ، ويكون
احتمال استبدال فيها مرحوحا ، فيعيب ، ولا يمدح في صحة الاستبدال ، ثم
إن الخلاف في حوار النقل بالمعنى إلى هو فيما م يدون ولا كتب ، وما مدون
وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه ، من غير خلاف بينهم

وقد علم بعض العلماء ترك الأوائيل كثرة لاستشهاد بالحديث أنهم قد
حافظوا كثيرا من أرباب النساان لعربي ، وتقوى نعمة عنهم فكه هم ديث عن
الاستشهاد بالأحاديث التي يحتاجون فيها إلى التوسط الكثرة فيما بينهم ، بين
قائمين ، وليس كذلك ابن مالك ^(٢)

وقد فتح بين مالك نسخة بعده باب الاستشهاد بالحديث ، و تدفع نسخة
بعده بالاستشهاد به على مسائل لسحو العربي فهذا نجم الأئمة رضي الله
محمد بن الحسن الإسرايادي (ت نحو ٦٨٤ هـ) ^(٣) يستشهد بخمسين حديث
في شرحه نكفية (٢٤) حديث منها في الجزء الأول ، و (٢٦) حديثا في
الجزء الثاني ^(٤)

ويستشهد الخمس بن قاسم بن عبيد الله بن علي مرادي ، المعروف بن
قاسم (ت ٧٤٩ هـ) ^(٥) بسنة عشر حديث في كتابه ^(٦) الحصى الداني في حروف
معاني ^(٧)

(١) حم نه الأدب ١ ٧

(٢) انظر بواهر نكوك برواها نوكب لأبي سعيد التوسي ، مطبعة نموه نوسيه ط
١٢٩٣ هـ

(٣) انظر ترجمته بعه الوعاة ١ ٥٦٧ - ٥٦٨ و حر نه الأدب تحقيق عبد السلام هارو ٢٨
٣١

(٤) الرضي الإسرايادي ^(٥) ترجمه على دوي ص ٩٧ مطبوعات الإدارة العامة كليات البنات ،
الرياض ١٣٩٨ هـ

(٥) انظر ترجمته بعه الوعاة ٥١٧

(٦) الحصى الداني في حروف معاني ص ٦٥١ تحقيق الدكتور محمد النديم هبوه والأسناد محمد مدم
فاصل ، مكتبة العربية حلب ، ١٣٩٣ هـ

وأما أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١ هـ) فقد استشهد في شرح شذور الذهب بسنة عشر حديثاً (١)

وقد استشهد جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه المطالع السعيدة في شرح المفردات بـ (٤٥) حديثاً (٢)

وهكذا يرى ابن مالك قد جسر اسحاده على الاستشهاد بأحاديث لم يورثها عليه السلام ، وقد كان أمة في الاطلاع على حديث كما قال السيوطي (٣) بعد ظهوره بداية مرحلة جديدة في تاريخ النحو اعزني بعض هو فوق قضاها وقد توصل إلى جوار استعمال كثير من الأساليب ، وبته على كثير من أخطاء اسحويين عن طريق اعتماد الحديث مصدر من مصادر الدراسة السحوية (٤)

(١) شرح شذور الذهب من ٦٣١ ، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية مصر ، ١٣٧٦ هـ

(٢) المطالع السعيدة في شرح المفردات ٢ ٣٧٩ ، تحقيق بهاء ياسين حسون ، بغداد ، ١٩٧٧ م

(٣) بنية الوعاء ١ ١٣٤

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح من ٥٢ و ٦٧ و ٦٨ و ٩٦ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٤ و ١١٤ و ١٢١ و ١٣٩

ثم إن رويته الشعر أخرى أن يكون أصبط ؛ لأن الصبط يمثل عصر من
عناصر إبداعه ، فيبحث به في تدوينه وإشارته ، وكل ذلك هو من رويته وهو
الاحتجاج به والاحتفاظ به (١)

وفي هذا يقول أبو الحسن علي بن سيمال ، السبب في خسارة أبي (ت
٥٩٩ هـ) (٢) ، وأما الشعر في نفسه فهو مدرجه العيب في الكلام بعد الكلام
الإلهي والكلام سوي ، فهم فوق كل كلام ، وفوق كل ذي فوق ، لبلاعهم
وشرف انتكلم بهما ، وما سوى هذين من كلام عرب فيكون على مرتبة
عليهما سطوة ؛ لما جمع من بلاعة ونور ، سعة ، سلا ، لث ، شعريه
من نور ، وانعفة (٣)

وقد اعتمد عليه سيبويه في كتابه كثيرا فكثر ما يقول : وهذا في شعر
كثير (٤) ، أو : هذا في شعر أكثر من أن يحصى ذلك (٥) ، أو : وذلك
لأنهم استعملوها كثير في الشعر (٦) ، أو : مثل ذلك في شعر كثير (٧) ،
هذا أكثر من أن يحصى (٨) ، أو : هذا سحر في شعر كثير (٩)

وقد بلغت شواهد شعريه ما يقرب من خمسين وألف (١٥٠)
شاهد ، وبلغت شواهد الضرورات ما يقرب من أربعة وسعين ومائة
(١٧٤) شاهد كما أورد أبياتا كثيرة على أنها هيبة أو شادة أو لعه

وقد استشهد بشعر شعراء يتمون إلى ست وعشرين قبيلة من فئات
عرب وهذا بلغ عدد هؤلاء شعراء ما يقرب من (٢٣٦) شاعر وهؤلاء
الشعراء من شعراء عصور الاحتجاج (١)

(١) نظر رويته والاستشهاد ، د محمد فراج عبيد ، ص ١٤٥

(٢) الشعر لفرج محمد كشف الطوب ص ١٤٩٥ وهدية العارفين ١ ٣ ٧ ومعجم مؤرخين ٧ ١٥٥
ومقدمته المحقق بكتابه : كشف مشكل ص ١١ ٤١

(٣) كشف المسكل في النحو التصريف بحيرة أبي ص ٤٥٤

(٤) الكبير ١٩٦

(٥) السابق ٢ ٤٥

(٦) السابق ٢ ٢٥١

(٧) السابق ٢ ٣٢٧

(٨) السابق ٣ ٥١٢

(٩) السابق ٣ ٥٣٥

(١٠) شعر كتاب : شواهد الشعر في كتاب سيبويه ص ١٩٥ وما بعدها

وكان أهم الشعراء الذين استشهد شعرهم حسب كثرة شواهدهم عنده هم المرردق وحرير ، فالأعشى ورؤبة والعجاج ، وهو أربعة ، وساعة نديي

وهناك شعراء كان حظهم قليلا في كتابه وهم محضرمو البولس لامبو ، وعباسه ، كابن ميادة (ت ١٢٦ هـ) ، وأبي حنيفة ثعلبي (ت ٥٨ هـ) ، وأبي نجيبة (ت ١٤٨ هـ) ، وابن هرمة (ت ١١٦ هـ)

وأما شعراء قمم فهم أكثر الذين احتج شعرهم ، ومنهم امرئ القيس ، وحرير ، ورؤبة ، والعجاج ، والبيث ، ولطيط بن ربيعة وغيرهم كثير . ثم تأتي القبائل الأخرى ، كعضد ، وهذيل ومنهم أبو ذؤيب الضلي ، وأبو سبرة الهذلي ، وساعده بن حويه ، وفرائط طيء ومنهم أبو زيد الصافي ، وحاتم الطائي ، وعامر بن حوث ، وقبائل أسد ومنهم عبد الله بن لبيد ، وبشر بن أبي حارم ، وأقشر الأسدي ، وعبيد بن الأبرص ، والكميت بن زيد

كما احتج بشعراء القبائل التي سكني حاضرة ، مثل فريش ومنهم عمر بن أبي ربيعة ، وعبد الله بن قيس الرقيات ، والأوس وخرج هاشم ، والحلاج ، وحبش بن ثابت ، وهيس بن خطم ، وعمر بن لاطناب

ونكاد شواهد نحو العربي لا تخرج عما توصل إليه مسويه ، غير أن بعض نسخة قد توصل إلى بعض الشواهد شعرية لم ترد في كتبه مسويه ، ولا أبي قنينة . ومن ذلك ما توصل إليه لأحفش الأوسط سعيد بن مسعدة . وهذا المبرد أحد رعماء البصريين يفت شواهد شعرية في كتبه « مصيب » ما يقرب من واحد وسين وخمسمائة (٥٦١) شاهد ، أحد من مسويه منها ثمانين وثلاثمائة (٣٨٠) شاهد .

فإذا جمع ما توصل إليه مسويه من شواهد شعرية وما توصل إليه البصريون من بعده فسجد شواهد شعرية كثيرة كان لها الفضل في ترسيخ قواعد البصريين وأصلها مما يس على أهميه هذا المصدر في دراسة البصريين

الأوتل

١) نظر الكتاب ٤٤ ٢ ١ ٢ فهرس لأشعار والأجزاء ونظم أصوات السجع العربي د

محمد خير الخوي ص ٤

٢) نظم قصائد ٣٤ و ٢٩ و ٣٣٩ و ٣٦ ٢ و ٢٨ و ٢٨٦ و ٢ ٤ ٢ ٥٢ ٢ ١٣٥

ونكس مما يحب لإشهره إليه هو أن يصريين لأوائل صنفو على هذه
الشواهد الشعرية الأسس وتعتبر شي صبقوها على عمل من قبائل في صدد
لأول وهذه الأسس

أولاً التحديد الرمزي والمكاني
ثانياً شرط نوعي في بنياده ، لا يحصر
ثالثاً مدغم دعويه اسيمه

أما من حيث التحديد الرمزي فقد قبلوا الاحتجاج بأشعار عرب جاهلية
وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري ، سواءً سُكرو لحصر
سكرو بنياده

وأما بالنسبة لبنياده خاصة ، فإن منتصف القرن الرابع ، أو بعده الأخير هو
آخر الاحتجاج بهذه بنياده وهو ما أشار إليه بن جني الذي عاش في
قرن الرابع الهجري (ت ٣٩٢ هـ) ، حيث ذكر أن لغة البادية قد أصاب
لاحتلال والفساد ، وأنه ينبغي لتوقف عن الاحتجاج بها (١) - كما يبدد ذلك
قبل

وعلى أساس هذا لتحديد الرمزي قسموا الشعراء إلى أربع صنف ، هي

- ١ - طلبة الشعراء الجاهليين ، وهم شعراء ما قبل الإسلام
- ٢ - طبقة الشعراء المحصرين ، وهم الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا
الإسلام

٣ - طبقة الشعراء الإسلاميين ، وهم الذين عاشوا في العصر الإسلامي
الأول ، والعصر الأموي ثم غلب على شعرهم لفصحاه ولأصالة ، كحزير
و نمرودق وغيرهما

٤ - طبقة المتأخرين أو محدثين ، وهم الذين جاءوا من بعد الإسلاميين ،
وهم شعراء المذنب المخالطين أمثالاً غير فصيحة كشتر بن برد (ت ١٦٧ هـ) ،
وأبي نواس الحسن بن هاشم (ت ١٩٩ هـ) ، ومن عاصروهم أو تلاهم

(١) خصائص ٢ هـ

وقد استشهد لقصيدتين بشعراء الطبعة الأولى وأما به جمعاً ، و حسن في
 طبعه شائعه ، فأبو عمرو بن علاء لا يخرج شعر راجح هذه طبعة ويضعه
 أنه محدث أو مؤلف يقول : « بعد أكثر هذا حديث وحسن حتى هممت أن
 من صديقا بروايته » ، وفي رواية : « لقد حسن هذا البيت حتى هممت أن من
 صديقا برواية شعره »^{١١}

وقد علق بن رشيق على هذا بقوله : « جمعه مؤلف بالإضافة إلى شعر
 الخليلي و مختصر من ، وكان لا يعد شعر إلا ما كان مستعملاً »
 و ذلك قال لأصمعي عنه : « حسب إليه عتد سيب ما سمعته عتج بسب
 إسلامي »^{١٢}

وقد شارح بعض العلماء أن عمرو بن علاء في نظره هذه إلى الشعر
 لإسلامي و طلاق مصطلح مؤلف ، أو « محدث » عنه ومن هؤلاء أبو
 حاتم السجستاني الذي يقول : « فم مثل من كاسه و محمد بن سهل و بهما
 كان عرفان شعر الكعب و الطرمج ، وكان مؤلفين لا يخرج لأصمعي
 شعرهم »^{١٣}

ومن بعد شعر لإسلامي من انبأ عنه بن أبي إسحاق ، و حسن
 لقصري و فقيه يعرف قصي الكوفة أنه شرمه عند أنه بن شرمه (ت ١٤٥)
 فقد كانوا يُنحَوْنَ لهرزدق و كعب و د نرمة و نصرهم في عده أناب
 تحدث عنهم صاهر ، و كانوا يعدهم من مؤلفين ، لأنهم كانوا في
 عصرهم ، و معاصرة حجاب^{١٤}

وسبب ذلك أن هؤلاء العلماء قد صدقوا جهدهم إلى شعر المنفذين ،
 و خافوا منهم بصفة خاصة ببحرهم و بخصوبة و برونه متأثرين في ذلك
 بأدبهم الخاصة أولاً ، ثم بدهنهم بدني من فرقة و بفسير ، فقه^{١٥}

١١ قوله ٣ - ٤ : نسخة (ب) سب ٥٦

١٢ نسخة (ب) سب ٥٦ ٥٦

١٣ قوله ٤

١٤ قوله ٥

١٥ قوله ٢ - ٣

١٦ قوله ٦ : نسخة (ب) سب ٤٥

فأبو عمرو بن العلاء ومن تبعه من العلماء يعلنون الشعر في العصر
 لإسلامي والأموي من مولد أو المحدث ، ومن ثم انصرفوا عن الاحتجاج به
 ويظهر أن أبو عمرو بن العلاء قد طلق على هذا الشعر فكرة « التفصيل
 بالأعصار » ، لا بالأشعار ، التي أشار إليها ابن الأثير في معرض نقده هذه الفكرة
 حيث إنه كثيراً ما يقول : « هذا تفصيل بالأعصار لا بالأشعار » ^(١) ولكن
 هذه الفكرة لم تكن ميراناً دقيقاً عنده لتحديد مرحله الخدائنه التي لا يجوز
 الاحتجاج بنوع شعرائها ومتكلمها ، فحينما نرى الحوي ولو حد يفتص
 كلامه بكلامه حد على سبيل المثال ما قاله أبو عمرو بن العلاء في عمر بن
 أبي ربيعة (ت نحو ٩٣ هـ) ، وما قاله في معاصريه جرير (ت نحو ١١١ هـ)
 والأحطل (ت نحو ٩٢ هـ) فالأول عنده حجة في العربة ، لأنه لم يتعن
 بحرف واحد ^(٢) ، وجرير والفرزدق ولأحطل عنده محدثون ^(٣) ، ومثله تسميه
 الأصمعي ، فهو يعد الطرمح بن حكيم (ت نحو ١١٢ هـ) والكميت (ت
 ١٢٦ هـ) مولدين غير فصيحين ^(٤) ، وهما معاصران لعمر بن أبي ربيعة ^(٥)

فمكره التحديد الرمائي قد سيطر على أبي عمرو بن العلاء ومن بعده مثل
 لأصمعي ، ويدل على ذلك قول أبي عمرو بن العلاء : « لو أدرك الأحطل
 يوماً من اجاهلية ما فصلت عليه أحدا » ، وهو ما قاله أيضا الأصمعي عن
 بشار بن برد ، حيث يقول : « بشار حائفة الشعراء ، والله لولا أن أيامه
 تأخرت لفصلته على كثير منهم » ^(٦)

ولكن نظرة أبي عمرو بن العلاء ومن بعده لم تُسَد في الدرس الحوي عند
 البصريين فقد احتج البصريون بشعر الطليقة الثالثة ، وهم طليقة الإسلاميين ،
 ومن العلماء الذين احتجوا بهم يونس بن حبيب الذي كان ممن يأخذون بشعر
 الفرزدق وجرير ورؤبة ، بل عرف عنه اختصاصه برؤبه ، حتى ولو قال له

(١) انظر الأدب العربي وتاريخه ، محمود مصطفى ، طبعه الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ١ ، ٢ ، ٥١

(٢) موشح ص ٣١٥

(٣) البيان والبيان ٣٢١/١ ، تحرير عبد السلام هارون

(٤) موشح ص ٣٢

(٥) انظر أصول النحو العربي ، د محمد خير الحوي ، ص ٦١

(٦) الأعالي ، نصحيح الشيخ أحمد الشقبطي ٢٣٣

رؤية في كم سأل عن هذه الخربلاب وألوفها ث وأروها لأن ، وقد سمع
منك نشيب ١٩ ١٠

ومن هؤلاء سيبويه الذي يُعدُّ عرردق ورؤبه ودو برمه من أكثر الذين
استشهد بشعرهم ، كما استشهد بعضهم من صفة للإسلاميين ، كحريه ،
والكعب ١

وقد اشتهر عبد العماء الذين تأخرو عن زمن أبي عمرو بن العلاء ،
المولدين تبدأ قوافلهم مع بداية لنوله العباسية ، وهم طليقة أربعة من
الشعراء وقد ذكر عبد القادر البغدادي في خزانة ن العماء لا يتجاوز
شعرهم مطلقا (٣)

وقد حدد لعلاء أول شعراء هذه الطليقة فقد نقل عن الأصمعي (٤ -
٢١٦ هـ) قوله : « حتم الشعر بإبراهيم بن هرمة (ت في حدود ١٧٦ هـ) ،
وهو آخر المحجج » (٥) كما روي أيضا أن بشار بن برد (ت ١٦٧ هـ) حاكمه
الشعراء (٦) كما روي أيضا عن الأصمعي قوله : « ساقه الشعراء ابن مباداة
(ت نحو ١٣٦ هـ) ، وابن هرمة (ت نحو ١٧٦ هـ) ، ورؤبة بن العجاج
(ت ١٤٥ هـ) ، وحكم الحصري ، ومنكين العُدري ، وقد رأيتهم
أجمعين » ٦

وهذا لتحديد يكون من الشعراء المحدثين الذين لا يحتج بشعرهم

١ - بشار بن برد (ت ١٦٧ هـ)

٢ - العباس بن الأحف (ت ١٩٢ هـ)

٣ - أبو نواس (ت ١٩٨ هـ)

٤ - أبو العتاهية (ت ٢١١ هـ)

(١) امرئ ٢ ٣٦٣

(٢) انظر الكتاب ١ ٢٨ و ٢٩ و ٤٩ و ١٦٦ و ٢ و ٣١٩ و ٣٥٨ و ٤٨ و ١١٣ و ٢٣٤ و

٢٥٨ و ٣٤٠ و ٥٢٣ و ١١٦ و ١٧٨ و ١٦ و ٣٤٩

(٣) لخزانة ٦ ٧

(٤) المصدر نفسه ٣ ٤

(٥) الأعي ٢ ٢٣ ، راجعه بشار

(٦) الشعر والشعراء ، لأبي فتيه ، دار رحياء الكتب العربية ، س ١٣٦٧ هـ ، تحقيق حمد شاكرك من

٢٢٩

- ٥ - أبو تمام (ب ٢١١ هـ)
- ٦ - ديبث بن (ب ٢٢٥ هـ)
- ٧ - بن نصر (ب ٢٥٤ هـ)
- ٨ - الخنسي (ب ٢٥٤ هـ)
- ٩ - بن أرومي (ب ٢٨٣ هـ)
- ١٠ - بن جبري (ب ٢٨٤ هـ)
- ١١ - أبو نعلاء مغربي (ب ٤٤٧ هـ)

ووجه البصريين في عدم الاحتجاج بكلامهم أنهم حسبوا بقواه غير فصيح ، ثم بعدهم عن من الغصحاء بعد بهم كما أدى إلى فساد سلاتهم ، وحدث كثير ما يرمون شعر هؤلاء بكثرة السجع يقول أبو نواسم حسن بن بشر عيني لأهلي (ب ٣٧١ هـ) : سجع لا يكاد يعرف منه أحد من شعراء محدثين ،^١ كما ذكر عبد عادر البغدادي أن هؤلاء شعراء وقعوا في أحطاء عرف وأحدث عديهم^٢

وقد شاع على ذلك أيضا جاحظ ، حيث يقول : إن المود لا يؤمن عنه خطا ، إذ كان دحبل في دنت^٣ وسس كالأعرجي لذي بك يحكي الموحور ، يظهر لذي عنه بشا ويعرفته عدي^٤ .

وقد وصف النعوي سجوي كوفي محمد بن ريد المعروف بابن لأعرجي (ب ٢٣١ هـ)^٥ شعر محدثين في معرض المفاصلة بين شعراء جاهلين ومحدثين بقوله : بك شعر هؤلاء محدثين مثل أبي نواس وعمره مثل ، خب يشم يوم فيسوي قيرمي به ، وأشعار القدماء مثل مسك وعبير كلما حركته ردد ص^٦ .

وقد أئعد البصريون لأوائل هؤلاء شعراء من الاحتجاج بهم في محاسن التقعيد وبناء القواعد ، إلا أن سبويه رحمه الله قد احتج بأن زيادة (ب ١٣٦

١ - أبو نواس العائير ، عقيق بن أحمد صم دار المعارف القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢٨

٢ - الخمر ١ ، ٤

٣ - حيوان ٤ ، ٨٣

٤ - نظر ثم حمنة طليقات سجويين ، النعويين ١٩٥ - ١٩٧ وبنه الرواق ٣ ، ٢٨ ، ٣٧

٥ - أبو نواس في مآخذ القدماء على شعراء عصر أبي ، الطبعة المستغنية القاهرة ٣٤٢ هـ ، ص ٢٤

وفي المرحلة برمية التي رفض اسحاق اعناده المسموع مصدرا من مصادر
 عدة النعوية معللين ذلك — كما قلنا — بإسثار الأخطاء النعوية بين القائل
 السوي ، وبين الشعراء المخالطين لأقوام غير فصحة يخرج عينا الرمحشري (ب
 ٥٣٨ هـ) برأي حديد في الاحتجاج ، إذ يرى الاحتجاج بكلام أئمة النعة
 وروايتهم يهول لسيوطي « وأحمو على أنه لا يخرج بكلام المولدين في اللغة
 العربية ، وفي الكشف ما يقتضي تخصيص ذلك بعير أئمة النعة وروايتهم ، فإنه
 ستشهد بأبيات لأبي تمام الطائي » وقد علل الرمحشري ذلك بقوله
 « فأجعل ما يقوله عمره ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بين
 الحماسة ، فيقتنعون بذلك لثوقهم بروايته وإتقانه » (١)

وإذا كان لأوائل يعتمدون في النصوص لبقونه على العصر ، فإن الرمحشري
 برأيه هذا يعدّ المستوى الذي نمته النصوص هو المعتمد. بعض النظر عن العصر
 الذي قيلت فيه هذه النصوص ولكن هذه الأفكار الحديثة طبت في إطار
 الفكر المجرد دون أن يؤخذ بها في المجال لتصفّي قيم نراها من عصور (٢)

(١) الاقتراح ص ٧٠ ، وانظر الخرافة ٤١

(٢) الكشف ٤٣١

(٣) نظر كتاب ظاهرة التأويل ص ٧٧

الفصل الثالث
خصائص المذهب البصري

أولا محكم المقاييس السحوية

مد و صفت مدرسه مصر ، بنا مدرسه قیامیه ، و بد بقول مستشرق
دی بهار « جعل هذه مصره بقیاس شأن کبر فی الأحكام بمعینه و سحره
عن ابن عده الکوفه رخصه فی أمو کثیره بعد عن نه » و
ما یعره و حوله فانی « فی مقدمته بالإصاف بقوه مدسه مصریین
بمدسه ، و مذهب کوفیین بخلاف بفسر »

وقد سب ستمشغول علی حد نفھود ، فبقول یوھان فٹ : « و گاہ بعد از
تبصرہ مذهب معتمدہ فی عیسٰی لبحوثی مختلف علی مذهب کوفہ »
ویقول الاشیر : « ہا ہضمیں گاہوا بحولہا روح کل شیء ضمن قوعد
ثابہ یبحوث دومانی عباسی معتمدیں علیہ ہی درجہ لاسی »

وقد تابع الباحثون عرب مستشرقين في هدد لظفرة من مهب مصر
يعون أحمد أمين ، وقد قصصوا القياس وأمو سبطاه ، وأرو عبه ،
وأهله ما عده ، وقد رأوا حتى له سير على عبس ، وعة لا سير عبه
فصلو التي تسير عبه وضعوا من قمة عدها ، كما وصفهم باحث حر
ناب برعبه برعه فسقيه عيل إلى طرد القياس ولأحد بأحكمه بعمه دور
نظر إلى اختلاف القبائل في بعض الظواهر الدعوية والحقوية الخاصة

ويقوم مهج الغبار عند مصريين على بدء لقواعد على لأعجب ، شائع في
سان العرب ، ومن ثم استخلاص قواعد والأصول العامة من نصيب على
حربته فهو مهج عملي يقوم على القاعدة ونحوها المصدر لكثير العرب في
لاستعمال وقد وصح هذا مهج أبو بركات الأسيدي في « المع الأده »
حيث يقول « فعل هو كلام عربي المصباح المصنوع ، حسن ، صحيح

دار فخر النسخة في الإسلام ص ٢٨٠ ترجمه عید الوهاب بو ید

٧٠٠

⁷ الم يبه به هاء تحت حم

١٦٩ (٤) تاريخ الادب العربي - المجلد ١٦

۱۵ صحیح الاسلام ۲۹۲

(*) معظم حبات سبائك الخفاف في نيجو ، مصطنعي سبائك نحبة بجميع نبيمة جريية ، القاهره ، الجراء
العاشر ص ٩٩

الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة « (١) أو كما قال أبو حيان « أن يشيب ذلك في لسان العرب كثير بحيث يصيد قانونا يمشى على كليه القواعد » (٢)

وأما الظواهر اللغوية التي حلت هذا الكثير اعاب هذا «صطنحوا» عيبا بالشاذ ، أو نقيل النادر ، أو النزر ، وأحيانا يؤولون هذه الظواهر بتوافق ما مرده من قواعد ، وأحيانا يصنعونها بانصروره شعرية ولدلت كثير في المذهب البصري ما يعرف بالشاذ والنادر والضرورة

وهذا المنهج في استبطان القواعد نحوية سلم إذا قيس بالمعايير العلمية السليمة ، لأنه يقوم على دعائمين

الأولى أن مهمة البحث العلمي النحوي أن يسحري الظواهر العامة الشائعة في اللغة ، قبل الظواهر النادرة أو الشاذة التي كثيرا ما تنسب في بعض الأحيان إلى بعض المنهجيات

الثانية قيامه على قواعد ثابتة مضرده ، مما أكسبه الإتقان والبسط (٣)

ولقد جرى الباحثون على وصف المذهب البصري بالقياس والتحكيم المطلق — كما أسلفنا — دون مراعاة عارقي الزمن ، ودون مراعاة لتفروق الفردية بين النحاة (٤) ودلت أن خصائص المذهب البصري في كتاب سيبويه تختلف عما في كتب أبي علي الفارسي وابن جني ، وعما في كتاب « الإصناف » لأبي البركات الأباري ولذلك يمكن تصف منهج البصريين في القياس في ثلاث مراحل تاريخية -

المرحلة الأولى مرحلة أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر التفصي وعمرهما من النحاة الأوائل ، فقد هؤلاء كانت الرواية والسماع أهم من القياس والعنة ، ودلت نتائج عن كثرة علمهم بكلام العرب ولغاتها وعربها (٥)

(١) مع الأدلة ص ٨١

(٢) التمهيد والتكميل ج ٥ ورقة ١٤٥

(٣) راجع أصول التفكير النحوي ، د. أبو الحارث ، ص ١٨ وما بعده

(٤) الخلاف النحوي ، د. محمد خير الحنواي ص ٢٨١

(٥) طبقات الربيعي ص ٣٥

ومن هذا الخيل الأصمعي وقد حزن بن حني أنه من يشتد غمها يس
ولا يحكيه انشعيل (١)

المرحلة الثانية يمثل هذه المرحلة خيل بن أحمد ومن دعه من تلامذه
كسيويه فقد كان خيل بن أحمد وسد قومه وكاشف قناع الغبار في
علمه ، كما في ذلك بن حني (٢) فقد سطر من علمه نحو مام يسير به ،
وكان عاينه في سحر ح نحو وتصحيح عباس (٣)

المرحلة الثالثة وأما المرحلة شاشه فمشتها أبو علي هارسي وتلميذه بن
حني ، فقد اعتمد على القياس عتد كاملا وقد شاش إلى ذلك أبو اله كات
الأساري حيث يقول : قد بطل أن يكون نحو روايه ونفلا وحب أن يكون
فلس وعقلا (٤)

ويختلف هذه المراحل الثلاث ، وانفرد الثلاث في مبحثها في قياس فأما
لخيل بن أحمد وسيويه فإن القياس عندهم نوع من الاستقراء الذي يستل من
الوقائع التي هي النصوص بكثرة إلى كشف عن قومن سيرها وفواعل
صبتها ، بحث يصل في النهاية إلى قدام ومطام يفسر طرد انظوهر خريه
فهو ما يقدم اعلم بالقواعد المطردة التي بها حال بين المتكلم والخطأ في اللغة
فهذا النوع من القياس الذي تصف عليه مصصيح « الاستعراء » يقوم
بوصفين

الأولى مستطاد الفواعل العامة المطردة

الثانية رفض الظواهر اللغوية الخارجة عن الكثير الغالب

وهو هنا أيضا يقوم على قياس طاهرة لغوية على طاهره لغوية أخرى فهو
يربط روح العربي

وأما القياس في المرحلة الثالثة أو عند هرين ثالث فقد صطبغ بالصيغة
العقنية ، فوجد عندهم ما يعرف بالقياس المعنوي الذي هو عمله شكينة يتم فيها

١) خصائص ٢٦٦

٢) خصائص ٣٦١

٣) بناء الزوا ٣٦٨ والفهرست ص ٧

٤) مع الأرم ص ٩٩

إلحاق أمر تآخر ، بينهما من المشابهة ^(١) فيعطى منحو حكم الملحق به ، ومن ثم فإن لهذه العصبية أربعة أركان : المقيس ، والمقيس على الذي هو لأصل ، ثم العلة ، ثم الحكم ^(٢) وكان أساس هذا النوع هو التشابه المعنوي ، لا تشابه اللفظي

وقد عقد بن جني باب في مقاييس العربية ، ذكر فيه أنها صريان أحدهما معنوي ، والآخر لفظي ، وهذا الصريان وإن عفا وفشوا في هذه لغة فإن أقواهما وأوسعهما هو القياس المعنوي ^(٣) وإن قول أبي علي النعماني « أعطى في خمسين مسألة في اللغة ولا أعطى في واحدة من القياس » ^(٤) ، أو كما جاء في معجم الأدباء (لأن أعطى في خمسين مسألة مما بابه الرواية أحت إلى من أن أعطى في مسألة واحدة قياساً) ^(٥) يعبر عن حقيقة منهجية ومنهج من نابعه من النجاة ، ويعبر في جانب منهج الرواية ، بل هو هدم منهج ويقوم منهج آخر فقد جعل هؤلاء القياس منهجاً ذا قواعد ثابتة ومعام محددة ، وعلموه منهجاً رئيساً نسمده القواعد المعنوية ، وحكموه في كتاب العرب ، فكان مهمهم هو البحث في قوانين القياس دون البحث في مواردها من أمثله للغة ، حتى وصل بهم الأمر إلى أنه بما اتفق الإجماع عليه ، وأنه بمنزلة لأداة المعاطعة ^(٦)

وبالجملة فالجيل الأول يعلب عليه اسماع على القاعدة ، على حين يتساويان في الجيل الثاني الذي يمثلته الخليل بن أحمد وسبويه وأما الجيل الثالث — حيل المبرد وابن السراج وأبي علي النعماني وابن جني — فإنه لم يبق للسماع لديهم شأن يؤدي إلى استنتاج نتائج جديدة ، فأصبحت اللغة والقياس هما السائدان ^(٧)

(١) المصنف نفسه ص ٩٣

(٢) الاقتراح ص ٩٦

(٣) الخصائص ص ١٩

(٤) الخصائص ص ٨٨

(٥) معجم الأدباء ص ٢٥٣

(٦) الإيضاح ص ٩٢

(٧) نظر الخلاف الحمدي ص ٢٨ - ٢٨٢

ثانياً الاعتداد بالعقل في الطواهر النعويه

قد مر على التمسك بمسح في عدة محال من صورها بعضها ،
بعض لأحكام عقبيه فحيز عمنه على غير ، حكمه في صور
نعويه . وخاصة عند ما خرج منه أصبح عده على بعض كذا من
بعض .

ومن مصادره تأثيره في بعض ، بعض وصف بعد من حكمه ،
لاستخدام^(١) ، قرب و بعد ، فشيء صور نعويه ، ظهور مديه

جاء في الإصناف^(٢) « وليس في من ، خروج عن حكمه »^(٣)
« مثله قوله » « قد ورد به يقع حيث لا يقع من عند سماع على
السوء ، ومثل ذلك أن يحسن إعلام حيث لا يحسن سب ، ففعل مره
فوق مرتبه لسيد ، وحدث عدول عن حكمه وخروج عن قصه بعده »^(٤)
« فظهر فكره القرب و بعد في باب سارع »^(٥)

وهذا مع خصوص لأحكام العقل وموربه في هو مصديه شكلا آخر
وهو استخدام لأحكام منطقيه وتصنيفه على تفسير عده من النعويه

فهو يرون أن إصافه « لا تأثير به » من تأثير في عمل يسمى أن يكون
لا تأثير به ، وحدث رده على خصوصهم كقوله « أهم في أن الفعل و بعد على
يعملان مع في المعنوي به ، ويقود به ، وقد قد رت حسب المعنوي هو
عمل دون ما على ، وحدث لأن أجمع على أن عمل به تأثير في عمل ،
بما عمل فلا تأثير له في العمل ؛ لأنه سم ، ولأصل في الأسماء ألا تعمل ، وهو
باق على قصه في لاسميه ، فوجب ألا يكون به تأثير في العمل ، وإصافه
من لا تأثير به في العمل من له تأثير يسمى أن يكون لا تأثير به »^(٦)

(١) مر به كذا مر ، ومبجده في معجم - بعد ص ٣٠

(٢) مقدمه إصناف جوه فيل

(٣) إصناف - ه - لم

(٤) إصناف - ه - ساعه

(٥) إصناف - ه - ساعه لثالثه عمره

(٦) مر ساعه عديده عشره في إصناف ، خلاصه جوي ص ٢٨٥

ومن مظاهر الخسوع لأحكام العقل عندهم ما توصوا إليه من قواعد وأصول عقلية ، ومن هذه الأصول والقواعد

١ — فكرة العوامل المختصة وغير المختصة ، فالحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصا ، كحروف الجرم ، وحروف الجر ، فاحتصت حروف جر بالأسماء هضمت جر ، واحتصت أدوات الحرم بالفعول محرمات (١)

٢ — لا يجوز إعمال عاملين في معمول واحد (٢)

٣ — عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال

٤ — عمل الشيء في نفسه محال ، فلا يعمل شيء في نفسه

إلى غير ذلك من الأصول التي توصل إليها البصريون ، ويتضح ذلك من خلال ردود البصريين على الكوفيين في كتاب الإنصاف لأبي البركات الأيباري .

ثالثا : ظاهرة تخطيط العرب في لغتهم

لقد كان من نتائج تحكيم القياس أيضا عند البصريين أنهم مجرؤو على تخطيط العرب ، وظهرت هذه البرعة عند عيسى بن عمر الثقفي وشيخه عبد الله بن أبي إسحاق من متقدمي البصريين . ويدل ذلك على ذلك ما ذكرناه سابقا من المشادة التي وقعت بين عبد الله بن أبي إسحاق والفرزدق ، وذلك أن الفرزدق حصر مجلس عبد الله بن أبي إسحاق محصرمي فقال كيف تشد وعيان قال الله كونا فكانت فعولان بالأللاب ما فعل الخمر فقال له ابن أبي إسحاق ما كان عليك لو قلت « فعولين » ، فقال الفرزدق « لو شئت أن أصبح لسبحت » ، وهههه ، ولم يعرف أحد في مجلس قومه « لو شئت أن أصبح لسبحت » ، فقال ابن أبي إسحاق « لو قال « فعولين » لأحير أن الله خلقهما وأمرهما وأراد منهما أن تفعل بالأللاب ما تفعل الخمر » (٣)

(١) الإنصاف ، المسألة الثامنة والستون

(٢) الإنصاف ، المسألة الثالثة والعشرون

(٣) محال الصماء لأبي القاسم الزجاجي مجلس قم ٣٨ ص ٨٥ ، تحقيق عيد السلام هذرون

ومنه ما حصل بينهما حين أنشد هرردق قصيدته
وعسى رمان يا بس مروا لم يدغ من الما لا مسح أو محسف
فساله اس أي إسحاق م رفه ه محسف ه ؟ فله هرردق كاسه
ويوؤك، ثم قال « علي أن أقول وعبيكم أن محجو ه (١)
ورب في قول هرردق ه علي أن أقول وعبيكم أن محجو ما به حي
الفرق بين بعين

أولهما معيار منكم الذي يراعيه بعمده مستوى صوته
ثانيهما معيار الباحث الذي حققه بنفسه ويريه أن يرضيه في الاستعارة
ويجده مستوى صوتي ودرج ه الباحث يرضى بعمده لحنه القياسه
على الاستعارة ، ويضعها موضع معيار الذي يجب أن يرضى في كل صيغة
لحنية ونغمية (٢)

ولكن هذه السرعة بين من مذهب البصريين بعمامه ، فإن يونس بن حبيب
وشقيقه أن عمرو بن العلاء كانا ينحدران من خطفة لغوي ويعتمدان قوة وزن
حافظ لقياس ويدل على ذلك أن أبا عمرو بن العلاء لم يخصه في رفعة
ه محسف ه في السب السابق معللا ذلك بأنه حائر على المعنى ، أي لم يبق
سواه ، أي أن ه محسف ه مرفوع يعمل محذوف

رابعاً : كثرة التأويل والتقدير

يلاحظ على المذهب البصري أنه قد كثرت فيه تأويل بخصوص لعمدة وصيغها
التي لا تنص مع القواعد النحوية التي توصلوا إليها وذلك لوافق هذه
الخصوص المخالفة لتلك القواعد التي توصلوا إليها ، ولم يحدو وسيلة لربط هذه
لخصوص المخالفة بما هو موافق غير سبل لتأويل

وقد تعددت أساليب لتأويل عند البصريين ، ومن أهمها الخذف التقدير
والشدود والضرورة فاصصوص النغمية التي حافت كثير مما توصلوا إليه
رموها بالشدود ، أو بالندور ، أو بالبقية

(١) شعر والشعر ، لا فيه ، عقيق أحمد مكرم ، ص ٨٩ . ونظر طبقات النحويين والنغويين

ببريدي ص ٣٢

(٢) نظر حول هذه القضية كذا : اللغة بين لغوية ووصفية ه د عام حساب : الثقافة ، الدار

بيضاء ، ص ١٣

وقد تعددت مصطلحات الشذوذ عند سيويه ، فاحيانا يسمى الخرج عن القاعدة (قليلا) ، وأحيانا يسميه (قليلا حيثاً) ، وأحيانا يصفه بالفتح قال : « ورعّموا أن ناسا يقولون كيف أنت وريدا ؟ وما أنت وريدا ؟ ، وهو قليل في كلام العرب »^(١).

ويقول « ورعّم يونس أن قوما من العرب يقولون أما لعبد قنوع عبيد ، وأما العبد قنوع عبد ، يخرجونه بحري المصدر سوء ، وهو قليل حيث »^(٢).

وقال عبد حديته على أسلوب « ألا ماء ولو باردا » « لأنه لو كان « ورو أثاني بارد » كان قبيحا ، ولو قلت آتيك بجيد ، كان قبيحا حتى يقول بدرهم جيد »^(٣) وهناك أساليب كثيرة رماها سيويه بالصعف والشذوذ والعطف^(٤).

ومن أساليب التأويل عندهم الضرورة ، فهم يلجؤون إليها إذا وجدوا أن الشواهد لا تقبل تأويلا أو تقديرا ، وأعتبتهم الحجة في توجيهها

ولكن الخذف والتقدير يعدان من أهم مظاهر التأويل في المذهب البصري وقد تحدث العلماء عن هذه الظاهرة وأشبعوه بحثا ، ومن بينهم ابن جني الذي سمي الخذف شحاعة العربية^(٥) ، في حين يسميه سيويه اتساعا وإيجارا^(٦).

والحق أن هذه المظاهر السابقة تعدّ نتيجة لتحمّس البصريين بالقياس وليس البصريين — كما هو في كتاب سيويه أو في كتاب « الإيضاف » — ينمير بالصحة والدقة ، وبالإحاطة بظواهر العلاقات لدعوية التي يحمى عنها مسائل النحو وقواعده ، فيربط الأشياء بالطائر ، ويميز العروق بينها على عكس قياس الكوفيين ، فإنه في معظم المسائل تنقصه الدقة والإحكام

(١) الكتاب ١ ٣٠٣

(٢) مقصده ١ ٣٨٩

(٣) مقصده ١ ٢٢٧

(٤) انظر الكتاب ١ ٣٥ و ٢١ و ٣٩٧ و ١٥٥ ٢ و ١٤٩ ٣ و ٤٢١ ٤ و ٤٧٣

(٥) الخصائص ٢ ٣٦

(٦) الكتاب ١ ٨١ و ١٩

وهذه الميزة . . . وهي الدقة والإحاطة — تريح المتعلمين من كثرة انقواع
والأحكام ، على حين يعاد النحو الكوفي بكثرة انصوصه لخلعة في المسألة
لو حده من قواعد لا يصيب بصابط واحد يسهل حفظه ويمكن التطبيق عليه

فانصريون يريدون أن يشتقوا قواعد يسودها السطام والمنطق ، ويتحسبوا كل
سبب القوصي من رويته ضعيفة أو موضوعه أو قول لا يتمشى مع المنطق ^(١)
وهذا مادعهم للحرص على الصبط والتدقيق عند نقل اللغة وهي الخاصة
لخمسة من خصائص المذهب البصري

خامسا الضبط والدقة

تبرر ظاهرة الصبط والتدقيق عند بصريين من خلال ما توصلوا إليه من
قوانين عامة وأصول نحوية وهذا مباح قويم يتطلبه السمع العلمي السليم صبطا
سعة من جهة ، وتيسيرا للدارسين من جهة أخرى وتتضح ظاهرة الصبط في
شئين

الأول أن تكون الشواهد محل الاستنباط والتفعيد جارية على ألسنة
المصححاء الموثوق بهم .

والثاني . أن تكون شائعة وكثيرة

وهو ما يسمى بلقواعد والعنوم من طرادها وسط سطامها على خريبات
المخنة المدرجة فيها وهذا سر بقاء القواعد البصرية

ويذكر على ظاهري الصبط ما براه من عبارات سيويه في الكتاب ، من
أمثال

- ١ — سمعت من أثق به من العرب ^(١)
- ٢ — فكل هذه البيوت سمعها من أهل الثقة ^(٢)
- ٣ — وهذا قول جميع من شق بعلمه وروايته عن العرب ^(٣)

(١) صحاح الإسلام ٢ ٢٩٥

(٢) الكتاب ١ ٢٣

(٣) لغة ٣ ١٢٧

(٤) لغة ٣ ٣ ٣

وعبر ذلك من العبارات التي صرح بها بسبويه رحمه الله كثير في كتابه

وتوصلون إلى لفظ والندقة كانوا يحذرون من يفتنون عنهم ومن ذلك ما يحكى من أن أبا عمرو بن العلاء متصمف فصاحه أبي حنيفة فسانه عن قول العرب (سأصل الله عرفهم) فصاح أبو حنيفة نداء من (عرفهم) ، فقال أبو عمرو هيهات يا أبا حنيفة ، لا حديث ، ذلك أن أبا عمرو كان قد سمعها بالكسر (١)

وقد نسي المتصمف كنهجهم أسدنا دعب سحاه إلى صبيهم هذا ففعل بهم لأسباب هو تحري و خبطة في جميع شوره حتى عتوه فصاحه سليمه ، لأجل أن يصموا لهو عدهم سلامه و دعه وهد لاجه فتصمه ظروف عساد متكاب لسانيه نتجه لموح الإسلاميه ومحاطة الأعاجم و أوحا شك في صفاء نعرية ومائها على لسان بيانها

(١) نظم فيها من الكتاب شيخ عبد الحاف عتيقه ص ٣٦

(٢) ص ٣٣ - ٣٢ - ٣١

الفصل الرابع مصادر المدرسة الكوفية

كما يقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأقوال
فجاء أقوالهم يقيسونه على لغتي أشياخ قطرتين
فكنههم يعمل في نقص ما به نصاب الحق لا يأتسري
إن الكسائي وأصحابه يرقون في نحو إلى أسف

وجاء فيه أيضا : كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا عور ولا انحراف
فيجعله أصلا ويقيس عليه فأفسد بذلك النحو ؛

وقال عنه أبو حاتم السجستاني : وعلمه مختلط بلا حرج ولا عيب إلا
حكايات عن الأعراب مطروحة ؛ لأنه كان يلفهم ما يريد ؛ ^(١) وأهمه عيسى
بن عمر أنه يأتي بكلام ليس بكلام العرب ^(٢)

وهذه الأقوال في الكسائي تحتاج إلى تحقيق وتدقيق ؛ لأنها جاءت من طريق
مناصبه البصريين . والحق أن الكسائي مشهود له بالبرهنة والعقل والثقة
وهي أوصاف أطلقها عليه ابن جني ^(٣) وقال عنه : وكان هذا الرجل كثير
في السداد والثقة عند أصحابه ؛ ^(٤) وكان أبو علي الفارسي يثق بالكسائي
ويجعله قرين سيويه في النقل عن العرب والاعتداد بما نقل ^(٥)

جاء في إنباء الرواة : وقال المرء : لقيت الكسائي يوما فرأيت كالبياكي ،
فقلت له : ما يُكيك ؟ فقال : هذا الملك يحيى بن خالد (البرمكي ، وزير
هارون الرشيد المتوفى ١٩٠ هـ) يوجه إليّ فيحصرني ، فسألني عن الشيء ،
فإن أبطأت في الجواب لحضي منه عتب ، وإن يادرت لم آمر برذل . قال
المرء : قلت له محتثا : يا أبا الحسن ، من يعترض عليك ؟ قل ما شئت ،
فأنت الكسائي فأخذ لسانه بيده وقال قطعته الله إذا إن قت
ما لا أعلم ! ؛ ^(٦)

(١) بهية الوعاة ٢ / ١٦٤

(٢) مراتب النحويين ص ١٢ - ١٣١

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٤٢ ومجالس العلماء ص ٨ و ٢ و ٧ و ١ و ٥ و ١

١١٩

(٤) الخصائص ٣ / ٣١١

(٥) المصدر نفسه ٢ / ٨٩

(٦) نظير كتاب : أبو علي الفارسي ، د . شيب ، ص ٤٢٥

(٧) إنباء الرواة ٢ / ٢٦٦

وقد صلت المناهضة بين الفريقين دروتها حين امتنع البصريون عن الأخذ
عن الكوفيين وعدم الثقة بروايتهم جاء في مراتب النحويين « ولكن أهل
البصرة يمتنعون عن الأخذ منهم ؛ لأنهم لا يروون الأعراب الذين يحكون عنهم
حججه » (١)

وقال أبو حاتم السجستاني « إيد فسرت حروف القرآن المختلف فيها ، و
حكيت عن العرب شيئا فإيما أحكيه عن الثقات منهم ، مثل أبي ريد والأصمعي
وأبي عبيدة ، ويونس ، وثقات من فصحاء الأعراب وحمله العلم ، ولا أنتهت
إلى رواية الكسائي والأحرر والأموي والمراء ونحوهم ، وأعود بالله من
شرهم » (٢) ويلاحظ أن هذا النقد لموجه إلى الكوفيين جاء على لسان
حصولهم البصريين ، وبخاصة من أبي حاتم السجستاني ، مما يفسر أن ذلك
لا يعدو إلا أن يكون أثرا من آثار المناهضة بين المذهبين

وهذا النقد الموجه إليهم فيه شيء من المبالغة ويدل على ذلك ما عرف عن
الكسائي من كثرة رحلاته إلى البادية . فقد روي أنه خرج إلى البصرة فلقى
لخيل بن أحمد وجلس في خلقة ، فقال له رجل من الأعراب : تركت أسد
الكوفة ونميما وعندهما نعصاحة ، وحثت إلى البصرة فقال لتحليل من أين
أحدث علمك هذا ؟ فقال من بوادي الحجار ونجد ونهامة فخرج ، وقد
أعد خمس عشرة قبة حبرا في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ » (٣)

ومثله ما ذكر عن المراء الذي أخذ عن أعراب وثق بهم ، مثل أبي الخراح ،
وأبي ثروان ، وأبي الكلاني (٤) وقد ذكر ابن اسد هؤلاء الأعراب من جهة
المصحاء من الأعراب الذين سمع منهم البصريون والكوفيون ، كما أخذ
الكوفيون من ربيعة وقيس وأسد ونعيم وباهنة وعقيل (٥) وسمع المراء من
صبيء (٦)

(١) مراتب النحويين ص ١٤٣

(٢) مراتب النحويين ١٤٣

(٣) بهجة الوعاة ٢ ١٦٣ ومعجم الأدباء ١٣ ١٦٩

(٤) معاني القرآن للمراء ١ ٥٦ ر ٢ ١٣٩ ومراتب النحويين ص ١٣٩

(٥) شرح السبع الطوال ٥٩ ومعاني القرآن للمراء ١ ٢٩

(٦) معاني القرآن للمراء ١ ٤٥٩

وقد وصف أبو حيان نساء دمشق في سفر عن العرب (١) كما شهد به يصف
أبو عبيدة معمر بن مثنى ، وهو بصري معروف (٢)

وهو يعوي الكوفي نزل بعد دأبو عمرو ، سحاف من مرر شيباني (٣)
هو (٢١ هـ) قد دخل سادته ومعه مسيحات من حرمة خرج حتى فاهم
يكتب سمعه من عرب (٤)

وإنما لا نذكر أن اسمه ير أكثر حيطه في سفر عن العرب ، كما نذكر
من قبل ونكتا سمعهم في سادته في رمي كوفيين بسادته وعدم شيب
في الفعل وقول بلعاب ، أو أنهم أقل بصاعه من مفسهم بصريين

ثانيا القراءات القرآنية

نحو عدد كوفيين صنف بالأعمال لقرآنه ، ويرجع ذلك لأسباب ،
منها

١ - أن الكوفة كانت مهبط الصحابة ، صوب منه عليهم فقد نزل بها عدد
كثير من صحابه ، وقد كان أشهرهم عمر بن الخطاب في قصصهم ، مما جعل
الكوفة مهبط القراءات القرآنية

٢ - أن ندين أسسوا اسحو الكوفي كانت هم اهتمامات بالدرس العربي
قرآنه وتفسير فاستند كوفه كسائي إمام من أئمة القراءه المتوتره ، كما أن
مرحل شي ، وهو لقرآ ، كانت به عديده حاصه بالعرب الكريمة فقد كان
كتابه « معاني القرآن » واحد من الكتب التي عيب بانقر الكريمة ومرجع
مهما من مراجع تفسيره ومعدنه ، بالإضافة إلى أنه المصدر لأساس نسخو
الكوفي أصولا ومروعا وقد قال في أهمية مصدر القرآني في نسخو عربي
« انقرآن أعرب وأقوى في نسخة من لشعر » (٥)

٣ - صول اشتغال الكوفيين بالقرآن الكريم ولفظهم به ، على حين كان
لبصريون مشغولين بوصف أسس اقو عد الحوية فقد ظهرت كوفه بثلاثه

(١) عنه الخدمع ٢

(٢) عنه الخدمع ٩٤ ٥٥ : إياه ٢٥٦ ٢٢٤ ورمم ١٣٢

(٣) عنه مصدر السمع خافى د : عنه الخدمع ٩٣

(٤) معاني القر ٤

من قراء السبعة ، وهم عاصم بن أبي السجود ، وحمزة بن حبيب الزيات ،
وعلي بن حمزة الكسائي ، ولم يظهر كل من مكه المكرمة والمدنية امسورة
والنصرة واشتم إلا بقارىء واحد

والقراءه — كما يقولون — سه متبعه ، والمعول فيها على الروايه وسنده ،
لا على نفعه وشيوعها ، فأكسب كوفيين نوعا من نهت النص والتخرج من
إهدره . وبدا كان موقفهم من انقراءات محافل موقف البصريين في الاستبطاء
والاحتجاج^(١) فالكوفيون الذين لم يكونوا من القراء شاركوا أصحابهم
الكوفيين بأعمال تنصل بالقرآن الكريم ، كما فعل القراء في « معاني القرآن »
وهذه الأسباب كانت القراءات القرآنية أهم المصادر في النحو الكوفي

وقد جرى الدخول عند المقارنة بين منهجي النصرة والكوفة من حيث
الاحتجاج بالقرآن أن يجعلوا النحاة الكوفيين أبدا في صف القراءات ، وأهم
يستشهدون بها ، على حين يسبون إلى البصريين ردّ القراءات وعدم الاحتجاج

٢

يعول الدكتور المحرومي عن القراء « والقراءات المختلفة وإن شدت في نظر
نحاة البصرة يستشهد بها ويصونها ويحتج بها »^(٢)

وقال الدكتور عبد الفتاح شلبي « إن الكوفيين يعدلون بالقراءات ويرون
قواعدهم عليها »^(٣) وهو ما فهمه صاحب كتاب « مدرسة النصرة » عند
الحديث عن المقارنة بين المنهجين^(٤)

وقد كانت هذه المكرة الميثقة عن منهج الكوفيين مردّها إلى أني بركات
لأساري في كتابه « الإيضاح » ، بما قوّت على الباحثين سائحه التحقيق في
كلام الكوفيين والبصريين^(٥)

إن الرجوع إلى كلام الكوفيين في كتبهم يبيّن لنا أن هذا المنهج غير صحيح
على إطلاقه . فالقراء الكوفي قد شارك البصريين في رفض بعض لقراءات

(١) انظر بحث عن النحوي ناصف ، مجله مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ج ٥ ص ١٨٨

(٢) مدرسة الكوفة ١٤ و ١٤٣ و ١٤٤

(٣) أبو علي الفراء ص ٤٤٤ ٤٤٥

(٤) مدرسة البصرة ، د عبد الرحمن السيد ، ص ٢٣

(٥) انظر خلاص النحوي ص ٣٢

المتواترة وغير المتواترة فقد شاركهم في ردّ فرءه حمزة جبر (الأحزام) من قوله تعالى «واتقوا الله الذي يسئلكون به والأحزام» حيث قال عن لحر «وفيه فيج : لأن العرب لا ردّ مخصوصا على مخصوص وقد كُتبي عنه وقد قال لشاعر في حوارته

بَعْدَ فِي مَثَلِ السُّورِيِّ سَيُوفُ
وَمِنْ بَيْنَهَا وَالْكَعْبُ عَوَظُ مَعَالِفُ
وَلَمَّا يَجُورُ هَذَا فِي الشَّعْرِ نَصِيغُهُ ٢

فهو هذا لا يخرج عن مذهب البصريين وقد قال سيويه عن هذه المسألة
« وقد يحور أن تشرط به الظاهر والمصمر على المرفوع والمخروور إذا اضطر
الشاعر » (٢)

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشٍ عَدُوِّ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ : وَكَذَلِكَ رَأَيْتُ بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ * — بَيْتٌ (رَأَيْتُ) لِلْمَجْهُولِ ، وَجَرَّ (شُرَكَائِهِمْ) ، قَالَ : وَلَيْسَ هُوَ مِنْ قَالٍ ، بَلْ أَرَادَ مِثْلَ هَوْلِ الشَّاعِرِ
فَرَحَّحَ مِمَّا كُنَّا نَحْمِلُهُ مِنْ قَالٍ
رَحَّحَ الْفِعْلُ مِمَّا كُنَّا نَحْمِلُهُ مِنْ قَالٍ
بَشْيَاءُ وَهَذَا عَمَّا كَانَ يَقُولُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَمِنْ بَعْدِ مِثْلِهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ * (١٠)

وقد أنكر هذه النسخة أيضا نعب ، حيث لا يرى الفصل بين المتصايعين
يعبر منه الحمزة ، حيث يقول : « ولا يجوز إلا في الشعر » (٦) وهذا يصح
قول أبي البركات الأمازي في كتابه « الإصناف » : « إن الكوفيين أحصوا
هاتين القراءتين » (٧) غير صحيح على إطلاقه

(١) سورة قلعة

(٢) معاني القرآن ١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - وهو يجمع السارية ، وهي الأسطوانة ، والمعود
 ينطش من الأرض ، يعصف ، جمع نصف ، وهو اهواء بين الشبهتين ، واليهب كناية عن طول
 هبوبه

(٤) الكتاب ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٢٨٣

۱۳۷ هجری قمری (ک)

(۵) معنی العربیہ ۱ ۳۵۸

(۶) مجاہدین بعلب عام ۳۶

(٧) نظر الإصحاف عصاة لهم ٦ ٥ ٥

وقد ردّ المرء أخص قراءة حمزة « إلا أن يحذف » بصم الياء ، من قوله تعالى (لا أن يحذف ألاً يمسها حدود الله) حيث قال « وقرأها حمزة على هذا المعنى « إلا أن يحذف » ولا يُعجبي ذلك »^(١)

كما رمى بعض القراءات بالشذوذ أو اندرة قال « وقد قرأ بعض القراء « هل أنت مظهر فطبع »^(٢) ، فكسر النون ، وهو شاذ ؛ لأن العرب لا تختار على الإضافة إذا استلوا فاعلاً مجموعاً أو موحداً إلى سم مكسٍ عنه »^(٣) وهذه القراءة مسبوقة إلى ابن محيص^(٤)

ومن اقراءات نبي وصعها المرء بالشذوذ مرة (سرق) من قوله تعالى « إن ابك سرق »^(٥) حيث قال « لا أشبه ، لأنها شاذة »^(٦)

وقال عن قراءة نافع المدني ، أحد السبعة (عسيم) من قوله تعالى « هه عسيم إن يوتيم أن تمسوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم »^(٧) قال عنها مستعربا « وقرأها نافع المدني « ههل عسيم » بكسر السين ، وهو كات كذلك لقان (عسي) موضع (عسى) ، ولعلها لغة بادرة »^(٨)

وقد قبل المرء بعض القراءات ، فقد قبل قراءة (فلتصرحوا) من قوله تعالى « هل بمصل الله وبرحمته بذلك فليصرحوا »^(٩) في حين عدّه شبحه الكسائي قبيحة ؛ لأن نظائرها فيله^(١٠) وقبل قراءة نصب (أي) من قوله تعالى « لسرع من كل شيعة أيهم أشد على برحم عتي »^(١١) ، وقد يُدّ هذه اقراءه سيويه وقال « وهي قراءة جده »^(١٢)

وقد يخرج في ردّ القراء أحياء ، فيبحث إلى مقارنتها بأخرى ، والخاصة بينهما ، مستخدماً تعبيرات ، مثل (أحب إلي)^(١٣) أو (أحوذ)^(١٤) أو (أحسن)^(١٥)

(٢) معاني القرآن ١ ١٤٥

(٤) معاني القرآن ٢ ٢٨٥

(٦) سورة يوسف ٨١

(٨) سورة محمد ٢٢

(١) سورة يوسف ٥٨

(١٢) سورة مريم ٦٩

(١٤) معاني القرآن ١ ٨٨ و ٣٧٥ و ٤١٦

(١٦) نفسه ١ ١٢٤

(١) سورة البقرة ٢٢٩

(٣) سورة الصافات ٥٤

(٥) الضعيف ٢ ٢١٩

(٧) معاني القرآن ٢ ٥٣

(٩) معاني القرآن ٣ ٤١٩٢ والإيضاح مسأله ٧٧

(١١) معاني القرآن ١ ٤١٩

(١٣) الكتاب ١ ٢٩١

(١٥) نفسه ١ ١٢٤

هكذا نجد أن الكوفيين المتقدمين لا يفرحون في مسجدهم في الاحتجاج
بالقراءة عن مسج البصريين القدماء ، كسيبويه في أكثر الأحيان

ويتضح لنا من خلال موقف القراء من القراءات أن للكوفيين موقفين
موقف يقبل القراءة ويقوم عليها القواعد وموقف يرفض بعض القراءات
ويعدّها شاذة ، مما يجعل قول أبي البركات الأسدي — ومن بعده من الباحثين
المحدثين — إن الكوفيين يقبلون القراءات ويحججون به ليس صحيحاً على
إطلاقه

ثالثاً الشعر العربي

ذكرت المصادر أن للكوفيين عناية بمحط كثير من الشواهد الشعرية ،
فاشتهر عدماؤهم بكثرة المحط للشعر فقد روي أن علي بن المبارك ، الأحمر
صاحب الكسائي كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو^(١) ، وأن أبا بكر
الأصمعي كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القراءات^(٢) بل كان منهم من احتص
برواية الشعر ، دون العناية باللغة والنحو ، وهو المفصل بن محمد نصيب ،
حيث كان من الثقات في رواية الشعر ، وقد روي عنه اللحيي البصري أبو زيد
الأصمعي شعراً كثيراً^(٣)

وعلى الرغم من ذلك فقد اتهم الكوفيون بعدم عايتهم بصدق الراوي
وصبطه ، فكثرت في شواهدهم الشعرية المصوغ والمصوغ جاء في مراتب
النحوين : « والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ، ولكن أكثره
مصوغ ، ومسبوب إلى من لم يقله ، وذلك بين في حوارهم^(٤) .

وقد ألصقت هذه التهمة — وهي تهمة صناعة الشعر ومخله وسبته إلى عمر
قائمه — بحمد بن ميسرة بن المبارك الكوفي المشهور بالرواية (ت ١٥٥)
قال عنه أبو حاتم السجستاني : « وكان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل
حمد الرواية وغيره وكانوا يصنعون الشعر ويقتعون المصنوع منه ، ويسبونه إلى

(١) نزهة الألباء ص ١٢٦

(٢) السابق ص ٣٣١

(٣) مراتب النحوين ص ١١٦

(٤) السابق ص ١١٩

عبر أهله (١) بن إسمعيل بن حبيب حمادا الرواية بالنحو في الشعر
وتكسيره ونصحيته (٢)

وقد نصفت هذه التهمة إلى اللعوي البصري حلف الأحمر بن حنّان بن
محرر ، إذ اتهم بأنه كان يقول لقصائد امرئ و يُدحّنها في دواوين شعراء (٣) ،
ولا أنه قد حاول أن يحمل الكوفيين ورره ، حيث حكى أبو زيد الأصبغى أنه
حدثه حلف الأحمر فقال : أثبت الكوفة لأكتب الشعر فاحتوا علي فكتب
أعطيهم لمحول و أخذ النصحيح ثم مرصص فقلب هم وينكم أن تثب إلي
الله ، هذا شعري ، فلم يغبنو مي ، فبقي مسبويا إلى العرب هذا السب (٤)

وقد شاع هذا الفهم عند العلماء فشككوا في روايتهم لشعر فهذا أبو
عثمان الأمارني قد نقل عنه أنه سأل أبو جعفر عن تأييد (سكين) ، فقال
سكين مذكر ولا يؤثثه فصيح ، فأشده العراء في مجلس له

فجاء في لسان عدة قر بسكين موثقة الصواب
فقال من هذا ؟ ومن صاحبه ؟ وأراه أخرج من لكم ، وأين صاحب هذا
عن أبي دؤيب حيث يقول
فذلك سكين على الخلق حادق (٥)

وهذا اللعوي الناقد البصري محمد بن سلام الحمصي يعقب على قول
لعوي الكوفي المفصل الصبي « للأسود بن جعفر ثلاثون ومائة فصيدة » ،
حيث يقول ابن سلام « ونحن لا نعرف له ذلك ، ولا قريب منه ، وقد
علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما يروي ، ويتحورون في أكثر من
تجوير (٦) »

وقد تأثر الباحثون المحدثون بهذه التهمة الموجهة للكوفيين ، فذهبوا إلى
القول بأن الكوفيين قد احتجوا بالأشعار المصنوعة والمجهولة القائل ، وقد

(١) مراب لتجوير ص ١٧

(٢) السبب ص ٨

(٣) نظم طبعات سحرية و شعريين بريدني ص ١٦٢ وإليه رواية ٢٨٣ - ٢٨٤

(٤) وجاب الأعيان ١ - ٢٦

(٥) مجالس العلماء ص ١٢٩

(٦) طبعات محبو الشعراء ، تحقيق محمود شاكر ، ص ٤٨

ألصق بهم هذه التهمة من طريق استدالات أبي البركات الأسدي في
«الإيضاح» الذي كان من استدالاته في الرد عليهم استدلالهم بأبيات مضمونة
القائل، وأحياناً يتناول هذه الأبيات على وجه ذي قياس وسوف نتحدث
عن ذلك بتفصيل عند حديثنا عن خصائص المذهب النكوي

(١) «الإيضاح» مسأله رقم ٢٢، ٦٣، و ٩٠

الفصل الخامس
خصائص المدرسة الكوفية

أولا احترامهم للمسموع عن العرب

بأنثر الكوفيين بعلوم روايته التي بصحت وتميزت في عدها وأصوبها في الكوفة ، وبذلك كان لشعر لعربي — وهو المعروف عنه في كثير من الأحكام الحوية — أكثر وأفضى في الكوفة منه في بصره . وهذا أشهر مذهب بكوفي عند الباحثين بأنه مذهب صحاح ، أو هوؤه بيد السماع لا يحضر به دقة ، ولا ينقص به عهد ، ويهون على الكوفيين نقص قاعدته خوفاً أو نقص أصل من أصول النحو ، ولا يهون عليهم إصراح المسموع ^(١)

ويتمش الاستماع في السماع والرواية في لأحد بجميع عباد العرب ، سكان بادية وحصارة ، سواء أكانو معربين أم محاطين لعربهم من الأمم . وللسيوطي « إن الكوفيين إذا سمعوا نقطا في كلام نادر جعته ببا » ^(٢) و « مر قولهم في بكسائي » به كان يسمع الشاذ لذي لا يحور من الخصا والنحو ، وشعر غير أهل لفصاحة ، وانصرورات فجعل ذلك أصلا ^(٣)

ويقول « حولد هابل » في مقدمته لـ « لإبصار » « إن الكوفيين يعدون كل تعبير مسموع صحيحا ، إذا صحت عندهم رواية ، وتصحح ذلك دقوه تعدل قوه لقاعدته ^(٤) أي أنهم يجيرون كل مسموع عن العرب بحرف سطر عن لقائل ، ولا يمنعون ذلك من تعبير أقيسهم وهو أعدهم تتوافق ما يسمعون فهم يريدون أن يصنعوا قواعدهم لموجود ، حتى أشاد ، من غير أن يهملوا شيئا ^(٥)

و قد يدس على عنايتهم بالسماع واحترامهم له ما ذكره أبو بكر كات الأساري في كتابه « لإبصار » ، فقد بين أنهم قد اعتمدوا على السماع وحده في تسع وعشرين مسألة ^(٦) ، و اعتمدوا عنه إلى جانب انقباس في سبع وعشرين

(١) انظر نظرة في النحو ، طه الراوي ، محله مجمع العملي بدمشق ١٤٠٠ ج ٩ ، ص ٩٠

(٢) مجمع الموامع ، طبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٤٠١

(٣) بعية الرعاة ٢ ٦٤

(٤) مقدمه الإبصار

(٥) صحي الإسلام ٢ ٢٩٥

(٦) هي مسائل دات الأرقام ثمانية ٨ و ٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٩ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٧ و ٤٨

و ٥٧ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٧٠ و ٧٧ و ٨١ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

مسألة (١) على حين نجد البصريين قد احتجوا بالنقل وحده في خمس عشر
مسألة فقط (٢)

وقد اعترف أبو البركات الأباري في إحدى مسائل التي وافق فيها الكوفيون
وحالف أصحابه البصريين اعترف بكثرة المسموع عندهم ، وذلك في مسألة
السبعين التي دار الخلاف فيها حول ترك صرف ما يصرف في صروه
الشعر ، حيث ذهب الكوفيون إلى جواره ، والبصريون إلى عدم جواره ، وقد
رجح الأباري رأي الكوفيين ، وقال : « والذي أذهب إليه في هذه مسألة
مذهب الكوفيين لكثرة العمل الذي خرج عن حكم الشكوك ، لا غيره
القياس »

والحقيقة أن الكوفيين ليسوا كنهم على مذهب واحد في هذه المسألة فهي
حين نجد انكسائي يتأثر بمدرسة الفراءات التي تؤثر السماع — كما يرى
الدكتور المزمعي — يرى الفراء يجمع الأصلين السماع والقياس فهو يعقل
ويقيس كالخليل وسبويه ، ويعتمد على السماع كشيخه انكسائي ، مما جعلنا
نعيل إلى أن الفراء هو مرشح الأصول الكوفية

نقد كان من مظاهر الانساع في السماع وروايه أن كثرت في المذهب
الكوفي ظاهرة تجوير بعض الأساليب ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد عند
انكسائي من تجوير بعض الأساليب والقياس عيب فقد أجاز بقول مررب
بثلاث حمامات ، ورأيت ثلاث سحلاب ، يعبر عن تأنيث مع اعداد ، وإن
كان الواحد مذكرا (٣) كما أجاز أن يكون سم (لا) النافيه للحسن عندما ،
فيجوز عنده لا يريد في الدار (٤)

(١) وهي مسائل داب الأقدم التالية ٥ و ٦ و ١٣ و ٦ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ و ٣٢ و ٣٣ و ١٥
٥٢ و ٦٢ و ٦٣ و ٧١ و ٧٢ و ٨٠ و ٨٢ و ٨٤ و ٨٧ و ٩١ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٩ و ١٠٠
٧ و ٨ و ١٢

(٢) وهي مسائل داب الأقدم التالية ٩ و ١٣ و ٨ و ٢٤ و ٢٦ و ٣١ و ٣٩ و ٥ و ٦٢ و ١٩
١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠

(٣) شرح الأنصوري ٩٣ -

(٤) مع المصاحف ١٥٢

وأجاز الكسائي أيضا إعمال (إن) الساعة عمل (ليس) مستدلا بشواهد شعرية وشواهد نثرية ، من مثل قور أهل العاليه إن أحد حمرا من أحد ، وإن دنت ناعكت لا صارك (١)

كما أجاز دحور لام التأكيد على الفعل الماضي المتصرف بإصماد (قد) ، نحو إن ريد نعام (٢) وغير ذلك من الأساليب الكثيرة التي أجازها ساء على السماع (٣)

وقد شاركه الغراء أيضا في هذا التجوير السبي على السماع القليل ، فحذف للكثير فقد أجاز أن يقور عدي أحد عشر رجالا ، وقام ثلاثون رجالا ، يجمع التجميع مع الأعداد المركبة وألفاظ العقود (٤) كما أجاز نصب الجرائم بعد (ليت) ، فيقال : ليت ريدا قائما (٥) وقد أجاز أيضا إضافة اسف إلى العشرة ، فيحور عنه هذا خمسة عشر (٦)

وقد علل بعض الباحثين هذه الظاهرة بأن الكوفيين أرادوا ، وهم مؤيدو الخنساء وأولادهم أن ييسروا على هؤلاء في الدراسات النحوية بتصويب ما يجري على ألسنتهم من التغيرات التي تخصم لقاعدته طرذها الكوفيون وقسوا عليها لأجل التيسر عليهم والتخفيف عنهم (٧)

ثانياً التوسع في القياس

الكوفيون يُعَوَّنون بالقياس كما عُني به نصريون ، ولكمهم يختلفون عنهم في التطبيق فالنصريون لا يفسون إلا على الشائع الكثير النافع من استفراء حرييات كثيرة من اشواهد موصولة إلى قواعد كلية صائغة ، وأن الكوفيون فقد توسعوا فيه وأحدوا به وقد أقر أبو البركات الأنباري في « إلهاف » بظاهرة القياس عندهم واعتمدها من استدلالهم ، وأخذ به في بعض مسائل

(١) معنى اللبيب ٢

(٢) السابق ٢٥٢

(٣) انظر شرح الكافية ٢٩٦ وإلهاف ، مسأله قبل ٢ ومع الخوامع ٤٢

(٤) مع الخوامع ٣٥٣

(٥) الخ ٤ ٢٩ ، معنى اللبيب ٢١٦

(٦) شرح كتاب سيويه لسراني ص ٧

(٧) ٢ على نحاسي عبد حاج سبي ص ٤ ١٤٢

لنحوية ، وهي المسائل دلت الأرقام التالية ١٠ و ١٨ و ٢٦ و ٧٠ و ٩٤ و ١٠١ و ١٠٦ ولقد نسب إلى الكسائي قوله

بما نحو قياس يسع وبه في كل علم يتعلم^(١)

وقد عرأ بعض الباحثين تأثير الكسائي بالنقيس إلى تلميذه علي البصريين ، وخاصة الخليل بن أحمد ، فجمع بين مسيحين في الدراسة النحوية مسيح فيه آثار مدرسه البصرية الملفحة بالأسماح العقلية ، ومسيح فيه طابع مدرسة انعماء الكوفة البعيدة عن أحكام العقل مما يحسنه مريجا من المسيحين بصوره جديدة فيها مزايا بصورتين ولكنه أمين إلى مسيح انعماء ، وهو مسيح يقوم على الرواية والنقل وسند صحيح ، وإسناد هو لأصل الأعظم عند انعماء ، لأن انعماء لا يجوز القياس بقطع فكل قراءة لا تسند إلى رواية فهي مردودة وقد ترك هذا مسيح في نفس الكسائي آثار عميقة الخسور^(٢)

فالبصريون يقيسون ، فانكوبيون أكثر قياسا إدراعيًا (انكم) ، حيث إنهم يقيسون على القليل والكثير والندر وشاذ وبصريون أكثر قياسا إدراعيًا والكيف ، لأنهم لا يقيسون إلا على لأعجب الأكثر ، وهم في لقياس أصول عامة محكمة يراعونها^(٣)

وقد ذهب لأسناد ابن أحمد أمين وطه الراوي إلى أن الكوفيين هم أهل لسمع بحيرة^(٤) في حين يرى الأسناد سعيد لأفعالي أن السماعين هم البصريون ، لا الكوفيين ، لاحترامهم لسمع وصيائمه وحفظه من كل ما هو موضوع ، واحترام تحري حال المسموع^(٥)

ومن مظاهر التوسع في القياس عند انكوبيين القياس على القليل والندر والنداء وذلك ناتج عن احترامهم للمسموع عن العرب ، حيث أجازوا للناس أن يستعملوا استعمالهم ، ولو كان استعمالا قليلا لا يطبق على القواعد العامة التي توصل إليها البصريون ، بل يجعلون هذا تقييل والندر أصلا وأساس

(١) بنية النوعة ٢ ١٦٤ وإليه الرواة ٢ ٢٦٧

(٢) نظر مدرسة الكوفة ص ١٦ وانظر ص ٣٧ - ٣٧١

(٣) انظر من تاريخ النحو ، سعيد الأفعالي ص ٧٣

(٤) صحاح الإسلام ٢٩٥/٢ وبجده الجمع العلمي دمشق ١٤ ، ٩ ، ٣١٩

(٥) من تاريخ النحو ص ٧٣ - ٧٤

لوضع قاعدة عامة وقد مر أن الكسائي كان يسمع شدد الذي لا يجوز إلا في
لصورت ، ويجعله أصلاً وليس عليه ١

وقد قال السيوطي عن الكوفيين « لو سمعوا بت واحد فيه حوار شيء
عذب بالأصول جعلوه أصلاً وبؤبوؤ عنه » (٢) وقال أيضاً عنهم « يد سمعوا
لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً » (٣)

ومن أمثلة الاحتجاج بالنادر عند الكوفيين ما ذهب إليه كسائي من حو
الحرم - (س) ، والنصب - (م) ، وخر - (عل) عود على شوه
إسادة (٤) وما ذهب إليه القراء من حوار دخول اللام على حد (لكن)
محذوا بقول الشاعر نادر

يوم موسى في حب ليلي عوادلي ولكنسي من حب كعبد (٥)

وقد عتمد الكوفيون على القياس النظري أيضاً ، ولكنه قليل ،
ولا يبحثون إليه إلا إذا عذبوا الشاهد النظري ومن أمثلة القياس على سطر
عذبهم يحويزهم انصاف - (لكن) في الإيجاب حملاً على (بل) ومن ذلك
أيضاً ما ذهب إليه الكسائي من أن الفعل (رصي) يعدي - (على) في قول
الشاعر

إذا رصيت علي بســــــــــــــــو فشير عمر الله أعجسي صده (٦)

لأن (رصي) ما كانت صد (سحط) ، وسحط م يتعدى (على) ،
عدي (رصي) - (على) قياساً على الصد (٧) والقياس على لظير وصد
عنة ذهبية شارك فيها الكوفيون أصحابهم البصريين

(١) معية الوعلة ٤٢

(٢) الاقتراح ص ١٥ ، طبعه حيد ناد

(٣) معجم الخوارج ٤٥

(٤) نبي ٨٣

(٥) معاني القراء ١ ٤٦٥ والإيضاح ص ٢٥

(٦) البيت بتقديف بن سليم المعيني ، انظر المقتضب ٢ ٣٢ وأدر الك ب ٥٢٧ ، ٢ ٣١ و

٣٨٩ و ٣٨٩ والأهية ٢٨٧ والأماي شجره ٢ ٢٦٩ وشرح كناية الشاه ٢ ٩ ٨ وصد

نبي ٤٣٤ والحقى الذي ٤٤٥ والمعي ١ ١٤٣ وسعد ٢ ٢٦٩ ، خرنه عقيب عبد سلام

هارو ١ ١٣٢ ١٣٩

(٧) خصائص ٢ ٢٨٩

وقد علق بعض الباحثين عماد الكوفيين لتقدمين على انشود عليه
والساذرة بأنهم كانوا يسمعونهم من شيوخهم ، وهم يسمعونهم عن عرب ابودي
أو من الأعراب لمصحاء مقيمين في محاصره ، كسي أسد ، وبني كيم المقيمين
في الكوفة وقد ذكر العمماء أن لشاهد من هذا النوع إن صدر من ثقته يعتمد
عليه قل (١)

كما علق الدكتور شوقي صيف يعويل الكسائي على لشاد بأنه كان من القراء
مدكر الحكيم ، وكانت تحري في مراءاته حروف تشد على قواعد النحو
ابصري ، فحشي أن يظن أنها غير حائره ، أو أنها لا تحري على العربية
لسليمه ، ولرى حشي بدثاره (٢)

ولكن ليس معنى ذلك أن الكوفيين اعترفوا بكل لصور الشادة وقسو
عليه ، فقد وصف لقرء بعض الأساليب والاستعمالات بالشدود ، وم يفس
عنها فقد رمى اتصال لصمير بالكاف لخرة بالشدود ، فقال : « وحكي
عن الحسن ابصري أن كك ، وأنت ككي ، واستعمال هذا في اسعه شدود
لا يلتفت إليه » (٣) وقد حكم على أسلوب « عسي لعوير بؤسا » بالشدود ،
وقال : « (عسي) لا يقاس ولا تجوز إلا مع (أن) » (٤) وقال عن « يش
عذك » : « لا يجوز نقياس على هذا في شيء من كلام » (٥)

وقد وصف به كثرة بالقبح والقله ، حيث يقولون في « كلا » رُيت
كفي ارجلين ، ومرتت بكلي ارجلين (٦) كما حكم على محيء الحال فعلا
ماصيا بالشدود محالفا بذلك أصوب مذهبه (٧)

وقد مرّ بنا أنه قد وصف بعض القراءات المتواترة وغير المتواترة بالصعف أو
لشدود أو السدره

(١) خلاص النحوي ص ٣٤٤

(٢) مدارس النحوية ص ١٧٦

(٣) حرة الأدب ٤ ٢٧٥ طبعة دارو ، و بولي في النحو الكوفي ص ٤

(٤) مجالس لعب ٢٥١

(٥) معاني القرآن ١ ٢٨١

(٦) معاني القرآن ٤ ١٨٤

(٧) بصير بصير ١ ٢٤

وهذا يدعو إلى التحقيق فيما نسب إلى الكوفيين عن طريق مفسريهم البصريين ويتحقق ذلك بالرجوع إلى آراء الكوفيين في كتبهم ، وفي كتب غير البصريين ويدرس على ذلك ما شهد عليه سابقا من عماد الباحثين على أحكام مسبقة كان مصدرها في كثير من الأحيان كتب « الإيضاف » لأنبي البركات الأباري

ثالثا البعد عن التأويل والتقدير والأحكام العقلية

لقد ظهر من تطبيق المهجين السابقين في انقياس والسماع عند الكوفيين ، من إخراج الكلام في الغالب على حسب الظواهر ، والضعيف والتفصيل من صور الحدود والتقدير لتوسيع القواعد الخارجة عن القياس ، كما هو عند البصريين ، أن قل عند الكوفيين ما كثر عند البصريين من التأويل والخص على الشلود والاضطرار والاستنكار (١) فلم يحاولوا كثيرا التوفيق بين المثال المخالف للقاعدة ، والقاعدة نفسها ، أو أن يدرجوا النصوص تحت القاعدة بواسطة التأويل

وإن في إجابة الكسائي حين مثل عن شلود (أي) الموصولة في الاستعمال عن سائر أحوالها ، حيث قال : « أي كذا خلقت » ما يشير إلى منهج مدرسة الكوفة القائم على التسع الدعوي وعدم لدخول في التأويلات البعيدة ، أو الإبعاد العقلي الذي حجت إليه مدرسة البصرية (٢)

ويتضح هذا المنهج من استدلالات الكوفيين في كتاب « الإيضاف » لأنبي البركات ، ومن خلال كثير من المسائل النحوية التي كان هم فيها رأي مخالف رأي البصريين (٣)

(١) نشأ النحو ، محمد الطبطبائي ص ٤٣

(٢) الاجتهاد في النحو ، أمير الخوي بحاصره في مكتبه جامعة القاهرة ع ٢٨٨-٢٨٩

(٣) نظر معاني العرب ١ ٣٨ ، وإيضاف ، مسأله ٨ و ١٤ و ٣٥ و ٥٤ و ٨٣ ، شرح الأشموني ١ و شرح لتصريح على التصحيح ٢ ٥٧ و نظم كتاب « صوره التأويل في الدرس النحوي » ص ٣٧ وما بعدها

سادسا : قائمة المحتويات :

٥ — ٧	المقدمة
٩ — ٦٥	الباب الأول : نشأة النحو
١١ — ٣٢	الفصل الأول : زمن وضع النحو ومكانه وأسبابه
١٣	أولا : الفترة الزمنية لنشأة النحو
١٨	ثانيا : مكان وضع النحو العربي
٢٠	ثالثا : أسباب نشأة النحو
٢٠	١ — شيوع اللحن
٢٨	٢ — الحرص على المحافظة على الكتاب والسنة
٣١	٣ — فساد الملكة اللغوية بالاختلاط
٣٣ — ٤٧	الفصل الثاني : آراء القدماء والمحدثين في راضع النحو
٣٥	أولا : آراء القدماء
٤٣	ثانيا : آراء المحدثين
٤٩ — ٦٥	الفصل الثالث : مصطلحات نشأة النحو العربي
٥١	أولا : النقط :
٥١	١ — نقط الإعراب
٥٧	٢ — نقط الإعجام
٥٩	ثانيا : العربية
٦٢	ثالثا : علم الإعراب
٦٤	رابعا : النحو
٦٧ — ١٤٢	الباب الثاني : مراحل النحو العربي :
٦٩ — ٨٤	الفصل الأول : المرحلة الأولى من تاريخ النحو مرحلة الوضع والتأسيس :

٧١	الطبقة الأولى من نحاة هذه المرحلة
٧٣	منهج رجال هذه الطبقة
٧٦	الطبقة الثانية من نحاة هذه المرحلة
٧٦	الجهود النحوية عند رجال هذه الطبقة
٧٦	١ — بناء الأصول والأسس
٨١	٢ — ظاهرة الخلاف النحوى
٨٢	٣ — ظاهرة تحطئة العرب
٨٢	٤ — ظاهرة التأويل والتفسير للنصوص اللغوية
٨٢	٥ — ظهور التلوين النحوى

الفصل الثانى : المرحلة الثانية من تاريخ النحو :

٨٥ — ١٠٧	مرحلة النمو والإبداع
٨٧	أولا : رجال هذه المرحلة
٩٦	ثانيا : مظاهر الإبداع فى هذه المرحلة
٩٦	١ — نضج القياس
٩٨	٢ — نضج التعليل
١٠٠	٣ — نضج فكرة العامل
١٠٢	٤ — نضج المصطلحات

الفصل الثالث : المرحلة الثالثة من تاريخ النحو :

١٠٩ — ١٢٢	مرحلة النضوج والاكتمال
١١١	١ — رجال هذه المرحلة
١١٢	٢ — الجهود الإبداعية فى النحو فى هذه المرحلة
١١٢	أولا : استقلال علم التصريف عن النحو فى التأليف
١١٧	ثانيا : محاولة صياغة المادة النحوية صياغة جديدة

الفصل الرابع : المرحلة الرابعة من تاريخ النحو :

- مرحلة الترجيع والاختيار والاجتهاد ١٢٣ — ١٤٢
١ — بغداد والبغداديون ١٢٥
٢ — الفترة الزمنية لتطور البغدادى ١٢٧
٣ — تطور مصطلح « البغداديين » ١٢٩
٤ — خصائص الدرس النحوى فى هذه المرحلة ١٣١
أولا : ظاهرة الخلط والجمع بين النحويين ١٣٢
ثانيا : التوسع فى القياس ١٣٧
ثالثا : التوسع إلى أفكار جديدة فى الدرس النحوى ١٣٩
رابعا : العثور على قواعد لائمت إلى المذهبين بصفة ١٤١

الباب الثالث : المدارس النحوية

١٤٤ — ١٤٣

الفصل الأول : المدارس النحوية بين القبول والرفض

١٤٥ — ١٦٠

أولا : التعريف بالمصطلح

١٤٧

ثانيا : المدارس النحوية بين القبول والرفض

١٥١

الفصل الثانى : مصادر المدرسة البصرية

١٦١ — ٢٠٤

المصدر الأول : السماع عن القبائل

١٦٣

المصدر الثانى : القرآن الكريم وقراءاته

١٧٥

المصدر الثالث : الحديث النبوى الشريف

١٨٧

المصدر الرابع : الشعر

١٩٥

الفصل الثالث : خصائص المذهب البصرى

٢٠٥ — ٢١٦

أولا : تحكيم المقاييس النحوية

٢٠٧

ثانيا : الاعتداد بالعقل فى الظواهر اللغوية

٢١١

ثالثا : ظاهرة تخطئة العرب فى لغتهم

٢١٢

رابعا : كثرة التأويل والتقدير

٢١٣

خامسا : الضبط والدقة

٢١٥

٢٢٨ — ٢١٧	الفصل الرابع : مصادر المدرسة الكوفية
٢١٩	أولا : السماع عند العرب
٢٢٢	ثانيا : القرآن الكريم وقراءاته
٢٢٦	ثالثا : الشعر العربي
٢٣٧ — ٢٢٩	الفصل الخامس : خصائص المدرسة الكوفية :
٢٣١	أولا : احترامهم للمسجموع عن العرب
٢٣٣	ثانيا : التوسع في القياس
٢٣٧	ثالثا : البعد عن التأويل والتقدير والأحكام العقلية
٢٣٩	الفهارس الفنية :
٢٤١	أولا : فهرسة الآيات القرآنية
٢٤٣	ثانيا : فهرسة الأحاديث والآثار
٢٤٥	ثالثا : فهرسة الأشعار
٢٤٧	رابعا : فهرسة الأعلام
٢٦٣	خامسا : قائمة المصادر والمراجع
٢٨٠	سادسا : قائمة المحتويات